المجلة
العربية
مجلة الثقافة العربية
473



النساء والحضارة الإسلامية

حسن المشاري التحول الاقتصادي

دراما الحموات

الموهوبون آمال المستقبل



منشورات العربية













الرياض وعرسها الثقافي الكبير

يتزامن صدور هذا العدد من "المجلة العربية" مع انطلاقة معرض الرياض الدولي للكتاب، الذي يُعد واحداً من أبرز الأحداث الثقافية العربية، وواحداً من أهم معارض الكتب العربية، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، وذلك نظير حجم الزوار والقيمة الشرائية له. إذ أصبح - ومنذ انطلاقته قبل عشر سنوات- محط أنظار الناشرين، المحليين والعرب، وهو المعرض الوحيد الذي يتزاحم على أبوابه مئات الناشرين الذين يتطلعون للمشاركة فيه وعرض ما لديهم من جديد، لكنّ مساحات صالاته الخمس لا تتسع لطموحات وآمال الناشرين والمثقفين العرب، وهو ما نؤمل معه، وفي هذا العهد، عهد ملك الثقافة والتاريخ والأدب، الملك سلمان بن عبدالعزيز أن يقام ويُشاد مركز معارض دولي في شمال مدينة الرياض، يليق بالمملكة العربية السعودية ومكانتها الثقافية وقيمتها الاقتصادية وموقعها المتميّز بين دول الشرق العربي.

هذه النسخة من معرض الرياض الدولي للكتاب هي النسخة العاشرة، وكانت انطلاقته في عام 2007م من رحم وزارة التعليم العالي، وكان وما يزال حدثاً ثقافياً رفيعاً، وقد تم نقله إلى وزارة الثقافة والإعلام، التي واصلت دورها في إقامته ورعايته، وقد تراكمت لدى الوزارة الخبرات الكافية لإقامة مثل هذا المهرجان الثقافي، سواء من خلال موظفيها أو من خلال الخبرات والكفايات التي تستعين بها من خارجها.

وبحسب تصريحات للمشرف العام على المعرض الأستاذ سعود الحازمي، ومدير المعرض، ورؤساء اللجان، التي نُشرت خلال الأيام الماضية في عدد من الصحف، يُستشف منها أن هذه الدورة تمثل نقطة انعطاف في تاريخ المعرض، من حيث إدارته بكفايات شابة، ومن حيث هويته، التي استلهمت ذاكرة المكان، وتحديداً مدينة الرياض القديمة، أو مدينة الرياض داخل أسوارها، حيث ستكون أسماء الممرات بأسماء محلات وشوارع الرياض القديمة، وسيكون هناك معرض فوتوغرافي يعرض ما جاد به التاريخ من صور قديمة لمدينة الرياض، وبما أن هوية المعرض هي ذاكرة المكان، لذلك كان شعار المعرض "الكتاب.. ذاكرة لا تشيخ"، وتضمّن البرنامج الثقافي ندوة بعنوان "ذاكرة الإدارة" يُشارك فيها عدد ممن شاركوا في مسيرة العمل الإداري طيلة العقود الماضية، وهي ندوة جديرة بالاهتمام والمتابعة، ونتمنى أن تتواصل مثل هذه الندوة خارج فعاليات معرض الكتاب.

في هذا المعرض، تشارك "المجلة العربية" بجناحها الخاص، الذي تعرض فيه جميع منشوراتها وبعضاً من أعدادها، وسيكون القراء على موعد مع المنشورات التي قدمتها المجلة بمناسبة مرور أربعين عاماً على انطلاقتها.

تستقبل الرياض، ومعها المثقفون العرب والناشرون، هذا العرس الثقافي، الذي نتمنى له النجاح، والمزيد من الإبداع في الدورات القادمة.

محمد السيف

المجلة العربية

العــدد
473

جمادى الآخرة 1437هـ | مارس 2016 م

رئيس التحرير
محمد بن عبدالله السيف

مدير التحرير
عبدالعزيز الصقعبي

سكرتيرا التحرير
عبدالرحمن الشايع
سعيد الدحية الزهراني

هيئة التحرير
عبدالعزيز المزيني
بدر عبدالله السند
محمد العميريني

www.arabicmagazine.com
لمراسلة المجلة على الإنترنت
info@arabicmagazine.com

الرياض: طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين)– شارع المنفلوطي
تليفون: 4767345-11-966 4777943-11-966
فاكس: 4766464-11-966
ص.ب 5973 الرياض 11432

صفحة المجلة العربية على facebook
@arabic_mag
arabic_mag

امتياز التوزيع



هاتف مباشر: 4871389 | هاتف: 4871414 فاكس: 4871460 | تلكس: 406725
كوندس إس جي | ص.ب: 84540 – الرياض 11671

الرياض	4871414	الباحة	7251869	الدمام	8112222
الزلفي	4222343	القصيم	3821942	القريات	6424512
أبها	2245984	الدوادمي	6423365	الطائف	7327711
الحوطة	5550777	المدينة	8361332	حفر الباطن	7222100
حائل	5323231	الجوف	6246733	تبوك	4230096
بيشة	6223073	مكة	5377730	جازان	3170381
جدة	6390333	ينبع	3223679	الأحساء	5922381
الخرج	5484020	نجران	5322654	عرعر	6625741

محمد العجيان

محمد بن جريدي العجيان صحفي سعودي ولد في مدينة الرس عام 1362هـ / 1943م، درس الابتدائية ثم المعهد العلمي بالرياض، بدأ الصحافة متعاوناً إضافة إلى عمله الحكومي، بدءاً بجريدة البلاد ثم الرياض التي عمل بها مديراً للتحرير، ثم رئيساً للتحرير لفترة قصيرة، ثم انتقل بعد ذلك لجريدة اليوم، وبعد ذلك أشرف على مجلة اليمامة، وتفرغ بعد ذلك للعمل الحر حيث أسس وكالة أهلية للإعلام.









كتاب العدد

يرصد الكاتب محمد القاضي من خلال كتاب "مساجلات نقدية" معارك ومناقشات ومناوشات، عرفها الأدب العربي المعاصر، دارت منذ وقت مبكر بين الأدباء والمبدعين والنقاد حول قضايا أدبية، وفكرية، ولغوية، وثقافية، وفلسفية. ولعل أشهر هذه المساجلات تلك التي تبادل فيها النقد إبراهيم اليازجي وأحمد فارس الشدياق سنة 1871م، حيث رسمت أبرز ملامح النقد الأدبي في تلك الفترة الباكرة.

سعر العدد

السعودية 10 ريالات | الكويت دينار واحد | الإمارات 10 دراهم | قطر 10 ريالات | البحرين دينار واحد | عمان 800 بيسة | مصر 3 جنيهات | ليبيا 400 درهم
تونس ديناران | الجزائر 2 يورو | المغرب 10 دراهم | موريتانيا 40 أوقية | السودان 300 قرش | الصومال 100 شلن | سوريا 200 ليرة | لبنان 4000 ليرة
الأردن دينار ونصف | اليمن 100 ريال | بريطانيا 4 يورو | الاتحاد الأوروبي 4 يورو | أمريكا 4 دولار | كندا 4 دولار | أستراليا 4 دولار

الاشـــتراك الســـــنوي: سعر الاشتراك الفردي (140) ريالاً سعودياً أو ما يعادلها سعر الاشتراك الحكومي (400) ريال سعودي .

بورتريه العدد : بريشة رضوان الرياحي



وكلاء توزيع المجلة العربية

مؤسسة الهلال للتوزيع - البحرين 0097317534559 | شركة الإمارات للتوزيع - الإمارات 009714391650 | دار الشرق للتوزيع - قطر 009744557810 | مؤسسة العطاء للتوزيع - سلطنة عمان 0096824492936 | المجموعة الإعلامية العالمية - الكويت 009654826820 | الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر والصحافة - المغرب «الدار البيضاء» 341622/341621 مؤسسة الأهرام - مصر «القاهرة» 002025786100 | الشركة التونسية للصحافة - تونس: فاكس 332499 - 343004 | المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - سوريا «دمشق» 223772 الدار العربية للنشر والتوزيع - اليمن «صنعاء» **فاكس:** 331797 **جوال:** 00967711523996 | وكالة التوزيع الأردنية أرامكس ميديا - الأردن 0096265358855

خارج المملكة (250) ريالاً (أو ما يعادلها) للهيئات (120) ريالاً (أو ما يعادلها) للأفراد.

رقم الإيداع 15/1881 ردمك ISSN: 101103460

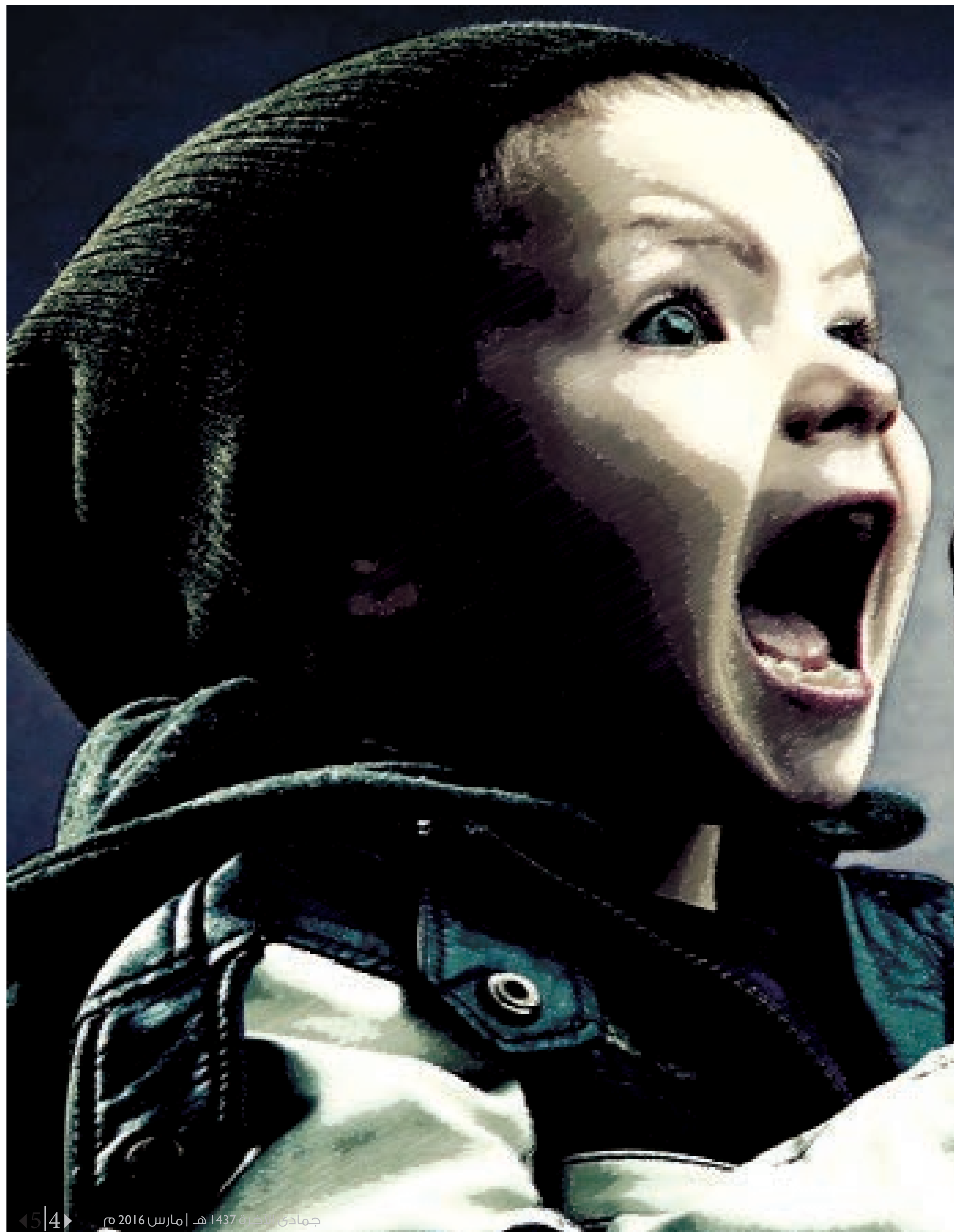
الأمل موهبة

تركي التركي: الرياض

(ليس الأمل مادة ولا فكرة، إنه موهبة)، هكذا يصف الشاعر محمود درويش الأمل. وهكذا أيضاً يضع يده، بقصد أو عن غير قصد، على جرح الموهبة، تلك الغائبة الحاضرة في عالمنا العربي المضطرب والمهجوس بكوابيس الإرهاب والحرب. فكيف لموهبة بذرتها الأمل، وتربتها الأمن والاستقرار؛ أن تنشأ وتترعرع؟ كيف للاستثمار في الشباب/الأمل أن يكون تداركاً لتراجع حضاري، واستشرافاً لمستقبل عربي، يزهو بشبابه الموهوبين والمبدعين؟

الأكيد، أن الوطن العربي لم يصب بالعقم بعد، إذ ثمة أجيال جديدة في مراحل التعليم المتقدمة تمتلك الموهبة، ولديها القدرة على الإبداع، بعض تلك المواهب وجدت التشجيع والدعم، فتم صقل موهبتها، فحققت نجاحات في مجالاتها المتعددة.

"المجلة العربية" تطرح قضية "المتميزين" في الوطن العربي من صغار السن: هل يتم تشجيعهم ودعمهم؟ هل هنالك مؤسسات حكومية أو عامة تعنى بالمواهب الناشئة؟ وماذا عن برامج المواهب في الإذاعة والتلفزيون؟ هل أصبحت وسيلة لتسليط الضوء على إبداع تلك المواهب؟ وهل أثمرت تلك البرامج بانتشارها؟ وأخيراً، كيفية دعم المتميزين وتشجيعهم، باستخدام طرق علمية وتجارب محلية وعالمية، يمكن الاستشهاد بها على سبيل الاستنارة و"الأمل".





تمكين الشباب
دعه يعمل دعه يمر

هاني المقبل: الرياض

(الحقنـي في المصـعد، أمامك 5 دقائـق لتعرض علي ما يجب أن نقرر فيه. ليس لدي وقت، لالتزام مفاجئ، سأضطر أن أغـادر المـكان حالياً)، هذا ما قاله أحد رؤسـاء الشـركات الكبيـرة العالميـة لأحد مسـؤوليه الكبار، بعـد إلغاء اجتماع مهـم لا يحتمـل تأجيلـه، ومقـرر عقـده مـن فتـرة طويلـة، ومتوقـع أن يسـتمر لمـا يقـارب سـاعتين، وخـلال الخمس دقائق اتخذت قرارات مهمة وفقاً لما عرضـه المسـؤول، لذا سمي (اجتماع المصعد).

موقف يعكس كيف أن العالم سريع التغير، وشديد التأثر بالمواقف والشخوص، فالأمر لا يتعلق بقرار فقط، بل يمتد إلـى أن الشـخص -أيـاً كان- لا يتحكـم بالظـروف وعليـه أن يتماشى معها لا أن (يمشي) معها.

في دراسـة عن الشـباب السـعودي أجرتها مؤسسة الملك خالد الخيرية في السعودية بالتعاون مع المنظمة العالمية للشـباب (منظمـة غيـر حكوميـة دوليـة تأسسـت فـي العـام 1990، وتعمـل علـى مسـاعدة الشباب على بناء مسـتقبلهم، ومقرهـا أمريكا)؛ أوصت النتائج بأهمية مشاركة الشـباب السـعوديين مشـاركة فعالة، بصفتهم شـركاء و/أو قادة، في التعامل مع التحديات الذي تفرضـها مشـاكل الشباب، وفي حالة العكس سـيقلص من مدى اهتمامهم ومشـاركتهم في البرامج المُعَدّة لمسـاعدتهم فـي تمكينهم، ويقلص بالتالي من نجاعة هذه البرامج وفعاليتها.

والشـباب اليوم، مشـروع طويل الأجل تحـول في الثلاثة أعوام الأخيرة إلى ميدان خصب جداً، الكل يريد أن يقطف ثمار زرعه قبل أن يكتمل، وأكرر يقطف دون أن يسـاعد على نمـوه واكتمالـه وتجـذره، فهنـاك فهـم خاطئ قائـم على أن الشـباب مشكلة يجب حلها، والصحيح أنهم قادرون على حل مشاكلهم والتخطيط لمستقبلهم ومستقبل دولهم.

قالهـا أحد مسـؤولي شـركة آبل، أثنـاء زيارتنـا في يونيو الماضـي لمقـر الشـركة فـي وادي السـيلكون فالي (تأسـس الـوادي فـي أوائـل الثلاثينـات): (لتتقـدم يجب أن تحيـا بالتعليـم والتمكيـن)، وهـذا المسـؤول الـذي تشـرب ثقافة العمل في شركة غيرت معالم كثيرة في النظام العالمي، كما أنه التحق في الشركة قبل (المتمكن) ستيف جوبز، ولا يزال موجوداً لأكثر من 18 عاماً، ضمن جولة لوفد شباب الأعمال السـعودي بمبـادرة من مركز الملك سـلمان للشـباب، وتمت زيارة ما يقارب 19 شركة ومنظمة خاصة وغير ربحية.

التمكين كمفهوم ومنهج ممتد منذ أن نزل القرآن الكريم، إلا أنـه لا يـزال غير متوافر بالشكل المناسـب في المنطقة العربيـة، وتحديـداً فـي الخليج العربي، الذي تتجاوز نسـبة الشـباب فيـه أكثـر مـن 65 %، فالواقع يتطلب الحاجة إلى تعبئـة أكبـر فـي هـذا الحقل ليـس علـى المسـتوى الفردي الذي يفرض نفسه بحضوره وبمبادراته الشخصية، بل على المستوى المؤسسي والحكومي.

في قرية الشـيحية شـمالي مدينة حائل (640 كم شـمال العاصـمة السـعودية) انطلقـت مبـادرة تنمويـة تطوعيـة تحت اسـم (مبـرّة)، وهو عبارة عن مكتب خدمـات، إذ يعتبر أول مكتـب فـي العالم يقدم خدماته الإلكترونية والصـحية والقرطاسـية وخدمـة الإيجـار المجانـي بـدون أي رسـوم لسـكان القريـة، حيـث يقـدم المكتـب 100 خدمـة إبداعيـة مجانيـة، ويعمـل بـه (12) شـاباً متطوعاً على مدار السـاعة، هنـاك (مكّـن) الشـباب أنفسـهم مـن تقديـم هـذا المكتب، ليوفروا على أهالي القرية السفر 120 كم لتلبية متطلباتهم الحياتيـة أو الصـحية، وهذا مثال يعطي أهلية الشـباب لأن يبنوا واقعهم ويخططوا لمستقبلهم.

دعونا ننظر للشباب على أنهم (ودائع) في بنك الحكومات، ممـا يعنـي أن اسـتثمارهم سـيعود عليهـا بفوائـد كبيـرة في المسـتقبل، لا تحتاج إلى أن تقترض عقـولاً من دول أخرى، فالشباب هم المستقبل، والمستقبل ينتمي للشباب.

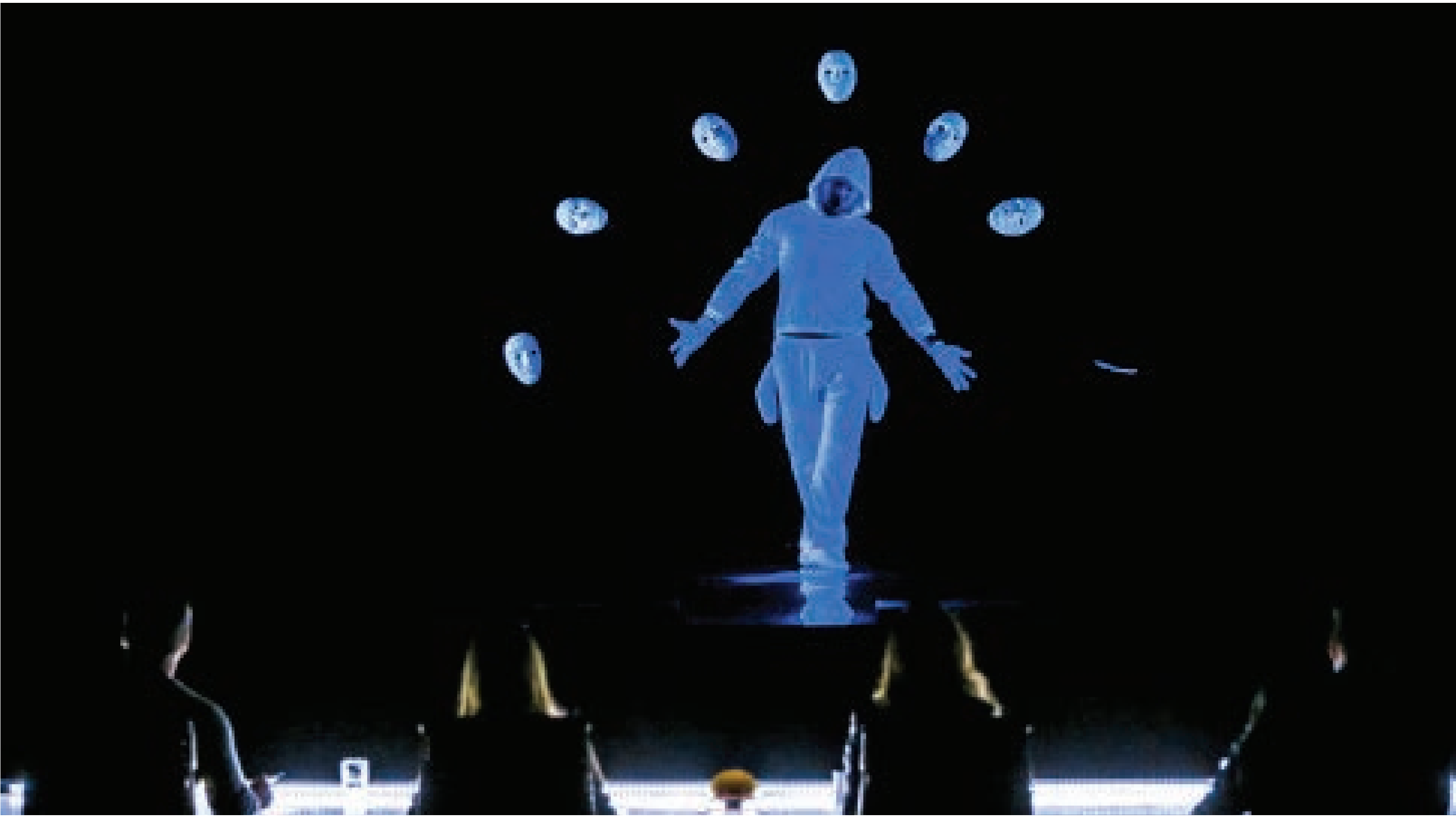
حيـن نلقي نظـرة على الخطط الإسـتراتيجية المختلفة للقطاعـات، فهـي تركـز على بنـاء وخلـق الفرص المناسـبة للشـباب في المسـتقبل، وبنـاء البرامج والمبـادرات النوعية ذات الأثـر الكبيـر لمسـتقبل بلادنـا، إذن نحـن نتحـدث عن (مسـتقبل الشـباب)، وكيف نصـل إلى مرحلـة تتلاقى فيها أحلامهم مع واقعهم، تلتقي فيها أمانيهم مع تمكينهم.

ألخص مـا أود قولـه بمـا قاله أبو الاقتصـاد آدم سـميث: (دعوه يعمل دعوه يمر)، وليسـمح لي سميث أن أستعير منه مقولته الشهيرة بأن أقول: (تمكين الشباب.. دعه يعمل دعه يمر)!.

دعونا ننظر للشباب على أنهم ودائع في بنك الحكومات مما يعني أن استثمارهم سيعود عليها بفوائد كبيرة في المستقبل

الموهوبون

الاستثمار في المستقبل



أسماء العبودي: الرياض

في موهبة وأخواتها برامج ترعى الطلاب والطالبات في مجالات أدبية وثقافية ومجالات فنية.. لكن الغالب

مـا زلـت أذكـر ومن خـلال عملي الصـحفي قصـة المعلم (سـلطان البركاتـي)، معلـم رياضيـات فـي ينبع الصـناعية. وكعـادة هـذه المـدن التـي تغلـق أنوارها مبكـراً؛ كانت أنوار المدرسة التابعة للهيئة الملكية للجبيل وينبع تبقى مضاءة حتى منتصف الليل في كل إجازة أسبوعية، حيث كان المعلم يدرس الماجسـتير في الرياضيات بجامعة (كاوست)، ولكنه يعود نهاية كل أسبوع ليجمع طلابه الموهوبين في المدرسة، ليدربهـم ويوجههم ويعطيهم خبراتـه، وحققت المملكة في ذلـك العـام قفـزة فـي ترتيبهـا العالمـي برعايـة الموهوبين إلـى المرتبـة 29 متقدمـة علـى دول مثـل فرنسـا وإيطاليـا، وتحقق لفريقه أثناء تدريبه لهم العديد من الجوائز، فنالوا المركز الأول والثاني والثالث والرابع والعاشر في الأولمبياد الوطنـي، وميدالية برونزية في أولمبيـاد البلقان في 2012، وبرونزيـة فـي هولندا 2012، وفضـية وبرونزية في أولمبياد الأرجنتين 2012، وحققت المملكة المراكز الستة الأولى في أولمبيـاد الخليج للرياضيـات 2013م، وكان لفريق البركاتي أربعة مراكز هي الأول والثالث والرابع والخامس، معلم حمل فـي قلبـه حـب المهنـة والتطوع والتحـدي (لا طريـق يمهد بالـورود دون مقابـل)، بهـذه القاعدة يقـود البركاتي طلابه (نؤمـن بالهـدف ونحمـل المسـؤولية، فالمصـاعب لا بد أن

تـزول). هي قصـة واحـدة، وربما هناك الكثير من القصص المماثلة، كل الأطفال يولدون بمواهب، وأعتقد أنني اختبرت هـذا جيـداً حين عملت مـع الأطفال على مـدار ثلاثة عقود، بعض مواهبهم تظهر مع بداية خطوهم ونطقهم، ويمكن أن تكتشـف جيداً في سنوات الروضـة والتمهيدي، لكن كثيرين منهـم يفقـدون مواهبهـم فـي ظـل برامـج تعليـم تقليديـة، وخصوصاً في المراحل الأولى وما قبل المدرسة.

حقاً، المدرسـة الابتدائية هي المكان الأول الذي يمكن أن تكتشـف فيه المواهب والعقول المبدعـة، وهذا لا يتحقق إلا في حال وجود معلم يتماهى جيداً مع مهنته ويحبها وينتمي إليها، وخصوصاً أن المجال متاح الآن لتطوير هذه المواهب ورعايتها وتنميتها واستثمارها.

ففي العقدين الأخيرين بدأت وزارة التعليم توجهاً جديداً نحو الموهوبين، في الحين الذي ظهرت فيه مؤسسة الملك عبدالعزيـز ورجاله لرعاية الموهوبين، وكانت أول مؤسسـة وطنيـة وحضـارية تظهـر إلـى الضـوء، وهدفهـا الرئيس هو الكشـف عـن الموهوبيـن ورعايتهـم فـي إطـار نظـام التعليم بالمملكة، وبعدها أنشئت الإدارة العامـة لرعاية الموهوبين في وزارة التعليم، وتوسـعت مهامها، وأنشـئت وحدات فرعية لها كوحدة الكشـف والتعرف على الموهوبين، وإدارة لرعاية البرامـج الإثرائيـة، وأخـرى خاصـة للتخطيـط والتدريـب. وأصـدرت مـن خلالهـا عـدة برامـج إثرائيـة عاملة فـي هذا المجال، هي: برنامج رعاية الموهوبين، الرعاية المدرسـية للملتقيات الإثرائية الصـيفية، المسـابقة الوطنية للإبداع، البرامـج الإثرائيـة المحليـة والدوليـة، وبرامـج التوعيـة الإرشادية، برامج خارج الدوام الرسمي، برنامج إثرائي دولي فـي الإنسـان الآلـي (الروبـوت)، وبرنامـج إثرائـي دولي في الكيمياء والطب.

وكـم يبهجنـا ويجعلنـا نزهو فخـراً، حين نـرى ما حققته المملكـة من جوائـز، ففي كل محفل تشـارك فيـه (موهبة) لنا نصيب من المراكز الأولى والميداليات، ففي 2015 حقق فريـق (موهبـة) فـي أذربيجان أربـع ميداليـات برونزية في الكيميـاء، وقبلهـا في كوريا حققت المملكة ثـلاث برونزيات بمشـاركة 73 دولـة مـن العالـم فـي 2013، أمـا فـي 2014 فقـد حققـت ثـلاث برونزيـات فـي فيتنـام. وفـي 2012 فـي الأولمبيـاد الدولي للفيزياء والرياضـيات في لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية، فتحقق لنا بمشاركة 41 طالباً وطالبـة خمس جوائز فـي معرض (إنتـل)، وتحقق للمملكة أربـع ميداليـات ذهبيـة فـي المعرض الدولـي للاختراعات والابتكارات في ماليزيا، والعديد من الميداليات في أولمبياد الرياضـيات الدولـي بالأرجنتيـن ومعرض (آيتكس) فـي ماليزيـا، ومؤخـراً فـي المسـابقة الدوليـة الذهنية للصـغار مـن 6-15 سـنة وبمشـاركة 280 طالبـاً وطالبة مـن 12 دولة حصـل مجموع 15 طالباً وطالبة من (موهبة) على المراكز ما بين الأول إلى الثالث على مسـتويات متعددة. ولمن يتابع جيـداً مـن حين لآخر نقـراً عن إنجـازات فردية أو مؤسسـية لطلابنا في الداخل أو من المبتعثين في الخارج لاختراعات واكتشـافات فـي غايـة الأهميـة فـي مجـالات علميـة وطبية وأبحاث مختلفة.

هل نحن نرعى الموهوبين حقاً؟

تبهرني كثيراً هذه الإنجازات والتي تجعلني أشعر وأنا أقرأ عنهـا أننـي لا زلت (أمية)، ولكن ما يشـغلني كثيـراً: ماذا بعد هذه الإنجازات والميداليات والنجاحات التي نسمع عنها؟ أود كثيراً أن أستطيع تتبع ذلك الطالب الذي حصد المركز الأول أو الرابـع عـام 2008، أو 2010، ماذا حل به؟ وإلى أين وصـل؟ وماهي إنجازاته خلال السنوات الخمس أو السبع الماضية؟ هـل مـا زالت موهبة تتواصـل معه؟ هل تم تسـجيل اختراعه أو ابتـكاره في مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية؟ هل تبنـى أحـد المصـانع هـذه الاختراعـات والإنجازات؟ هل تم تسـجيل صـناعتها محلياً؟ وهل تتوافر في الأسواق المحلية والعالميـة؟ كل هـذه الأسـئلة نحتـاج إلـى مـن يجيب عنها، وإلا فـإن مـا نعمله من أجل الموهوبيـن والمبدعين هو هدر لاقتصاديات الوطن التي لم ندرس مخرجاتها جيداً.

وفـي جانب آخر، بحثـت فـي (موهبـة) وأخواتهـا عـن برامـج ترعى الطـلاب والطالبات فـي مجالات أخـرى أدبية وثقافيـة ومجـالات فنيـة، ولكنـي وجـدت أن الغالـب كانت فـي المجـالات العلميـة، وإن كانت تفرحنـا كثيـراً، ولكنها لا تكفـي علـى الإطلاق، فهنـاك العديد من المواهب أيضـاً في المجـال الرياضـي، وهـو أحـد المجـالات المهمـة الآن فـي التسـويق لاسـم الوطـن، ويمكننـا فقط فـي هذا المجـال أن نعـرف أنه في دولة جنـوب أفريقيا يتم اكتشـاف الموهوبين مـن الرياضـيين الصـغار من خـلال وزارة التربيـة والتعليم بالتعـاون مع حكومة مقاطعة (غوتنـغ) حين أطلقت مبادرة وطنيـة لتحديـد الموهوبيـن المهرة رياضـياً فـي المدارس، وذلـك مـن خلال التوسـع فـي الأنشـطة الرياضـية وتنظيم الدورات والمسـابقات الرياضية المختلفة، وفي إنجلترا من المزمع حتى عام 2018 ربط الأنشـطة الرياضية في التعليم العـام بالأنديـة والشـركات الرياضـية، واسـتثمروا فـي هـذا المشروع أكثر من 450 مليون جنيه إسترليني لأجل تحسين الكيفية التي تدعم الرياضـيين الموهوبين من الصـغار، ولا يزال في البرازيل دوري المدارس بين المقاطعات البرازيلية مـن أقوى الدوريات الرياضـية على مسـتوى العالم، ويعتبر لاعبوها هم الأكثر شهرة بالعالم.

المدرسة الابتدائية هي المكان الأول الذي يمكن أن تكتشف فيه المواهب

صناعة النجوم

أم اكتشاف المواهب؟



محمد محمود البشتاوي: الأردن

ما بين الاكتشاف والصناعة مساحة لا يمكن معها تقريب الخطى، لاسيما أن الموهبة تولد مع الإنسان، فإما أن تندثر بفعل البيئة المحيطة وطبيعتها، وإما أن تزدهر وتنمو وتتراكم لذات الأسباب، وفي حال وجدت تلك البذرة، فإن عملية اكتشاف المواهب تقتضي تتبع أولئك الموهوبين في الصغر، عبر وضع مجموعة اختبارات للطفل، لاكتشاف توجهاته العلمية والثقافية مبكراً، وقياس مدى تفوقه عن أقرانه، وتعزيز ما تميز به، ومن ثم دعمه، حتى يصبح قادراً على إتمام مشواره في المستقبل.

وفي المقابل تأتي الصناعة كحرفة للخبراء والمختصين لأجل تشكيل نموذج ريادي ومتفوق في المجتمع، والعملية إن لم ترتبط بموهبة الفرد الأصيلة التي ولدت معه، فإنها قد تفضي إلى (صناعة مزيفة)، تأخذ بريقها لفترة ثم تخبو، لاسيما أن الصناعة في كثير من توجهاتها تهدف إلى تحقيق الربح، وهو الأمر الذي انتشر مؤخراً، وتعزز مع ظهور ما يسمى بـ(البرمجة اللغوية العصبية)، وبرامج (تطوير الذات)، يضاف إلى ذلك دخول اختصاص أكاديمي -مستحدث عربياً- حمل عنوان (الموهبة والإبداع).

وإن كان هنالك إمكانية لصناعة النجوم عبر الإعلام، وبرامج التلفزيون، والترويج الإعلاني، فإن الأمر ليس كذلك في عملية اكتشاف المواهب، والتي تفترق عن الصناعة من حيث هدفها القائم على الاستثمار في الإنسان، وهو هدف ترعاه بعض الدول، لأنها تنظر إلى المستقبل، وكيفية الحفاظ على مكانتها المتقدمة بين الأمم.

وفي سبيل ذلك، تحتاج عملية اكتشاف المواهب إلى تعزيز الموهبة وتنميتها، ورعايتها من قبل العائلة والدولة ومؤسسات المجتمع، الأمر الذي من شأنه أن يمنح الطفل طريقاً واضحاً، وبوصلة تحدد له موقعه الحالي، والاتجاه الذي يجب عليه السير فيه، للوصول إلى مرحلة يصبح فيها مبدعاً ومتميزاً في مجال ما من مجالات المعرفة المتعددة.



برامج اكتشاف المواهب

مالك العثامنة: الأردن

في ظل انتشار المحطات الفضائية، وحمى التنافس التجاري لاستقطاب أكبر عدد من المشاهدين؛ تغيرت نوعية برامج الترفيه العربية، ليصبح البذخ الإنتاجي فيها واضحاً، بهدف الوصول إلى مردود إعلاني ورعايات تجارية ضخمة تدر الأموال على المنتجين.

كانت برامج المواهب العربية على رأس قوائم برامج الترفيه العربي، وربما كانت أكثرها إنتاجاً بأشكال وصيغ مختلفة، منها ما هو مبتكر عربياً، ومنها ما كان نسخة معرّبة لبرامج عالمية لها علامتها التجارية.

فهل حققت برامج اكتشاف المواهب على مختلف المستويات الهدف الرئيس منها، وهو اكتشاف المواهب؟ وهل جوهر تلك البرامج الموهبة فعلاً؟

الإجابة عن السؤال لا تحتاج إلى دراسة مستفيضة للوصول إلى نتيجة مفادها أن الإعلام الفضائي العربي عموماً محكوم بقواعد التجارة والربح لأي منتج يتم تقديمه على الشاشات، وأن ما يتم بثه يتم احتسابه بالدقيقة كسلعة تجارية لا بد أن تحقق إيرادات مضمونة، خصوصاً بعد أن كان خلفه إنتاج ضخم، ومن ذلك برامج اكتشاف المواهب التي باتت مترفة في عمليات الإنتاج، وتحت رعايات تجارية ضخمة، لشركات كبيرة، يهمها جداً أن تحقق عائداً من وراء ما ضخته من أموال في تلك البرامج.

قبل مرحلة الفضائيات، وفي محطات التلفزة الأرضية التي كان أغلبها يبث بنطاق محلي لا يتجاوز جغرافية البلدان التي هي فيها؛ كانت برامج اكتشاف المواهب تسعى فعلياً لاكتشاف المواهب المحلية، لا في مجال الغناء وحسب، بل في مواهب العلوم والتكنولوجيا والمعرفة والشعر والقصة، وغيرها من مواهب متعددة يتمتع بها الشباب، وكان الإنتاج المتواضع حينها يعمل على التنسيق غالباً مع المؤسسات التعليمية من مدارس وكليات وجامعات ومراكز شبابية محلية لانتخاب مرشحي تلك المواهب، ثم تسجيل حلقات المسابقات مع تلك المواهب التي تصل في مراحل نهائية إلى التأهل النهائي وكسب الجوائز المتفاوتة بين كؤوس نحاسية أو مكافآت مالية برعايات متواضعة.



لكن، في عام 1972، كان التحول الأول والجذري بمفهوم مسابقات الغناء واكتشاف المواهب الغنائية على يد صانع النجوم اللبناني سيمون أسمر، وهو المخرج والمنتج لأول برنامج اكتشاف مواهب على مستوى عالٍ من الحرفية والإنتاج والإبهار على محطة تلفزيون لبنان.. برنامج (ستوديو الفن). كانت الحلقات التي أنتجها سيمون أسمر في محطات التلفزة اللبنانية منذ فترة السبعينات كافية لإنتاج أجيال متعاقبة من نجوم الغناء في العالم العربي. فعلى الرغم من أن السيدة ماجدة الرومي هي ابنة الفنان والموسيقار الكبير حليم الرومي الذي اكتشف السيدة الكبيرة فيروز أول مرة؛ إلا أن المفارقة تكمن في أن ابنته الفنانة ماجدة كانت من المواهب المكتشفة عند سيمون أسمر في برنامجه ستوديو الفن، بالإضافة إلى أن ستوديو الفن دشن نجومية كبار آخرين مثل وليد توفيق وراغب علامة وأليسا ووائل كفوري.. وغيرهم. ومن برنامج ستوديو الفن، بدأت محطات عربية أخرى بإنتاج برامج مشابهة له، لاكتشاف مواهب أغلبها في فن الغناء، وبعضها كان في اكتشاف مواهب الشعر والشعراء، خصوصاً في محطات التلفزة لدول الخليج العربي.

طورت فضائيات -الخليجية خصوصاً- فكرة برامج اكتشاف المواهب في مجالات أخرى كالشعر، مثل برنامج أمير الشعراء أو شاعر المليون، وهي برامج وجدت جمهورها الواسع، مما يعني أنها أيضاً وجدت رعايات تجارية سخية ساعدت على استقطاب الإنتاج الضخم وبناء علاقات عامة ترويجية حققت لبعض المشاركين حضوراً جماهيريا لافتاً.

في مجالات أخرى، مثل العلوم والتكنولوجيا، فإن شبكة إم بي سي، التقطت الفكرة مؤخراً لتنتج على إحدى قنواتها برنامج (نجوم العلوم) الذي دخل موسمه الثاني بحضور جماهيري مقبول، لكن لا يمكن قياسه بالحضور الجماهيري لبرامج اكتشاف مواهب الغناء، وربما يعود ذلك إلى أن النجوم المشاركين في برامج الغناء والفنون هم عنصر استقطاب رئيس للمشاهدين. ويعزز ذلك أن هناك برنامج مواهب متنوعة آخر تنتجه أيضاً شبكة إم بي سي هو (أرابز غت تالنت) الذي لا يعنى بالغناء حصراً بل بكل موهبة تستحق الوقوف على المسرح وتبهر المشاهدين، ولكن لجنة التحكيم تتشكل من مشاهير في عالم التمثيل والغناء والإعلام وليسوا بالضرورة من المتخصصين.

عموماً، التسابق المحموم في عصر الفضائيات على تحقيق السبق في برامج اكتشاف المواهب؛ أفقد تلك البرامج هدفها الأساسي في اكتشاف المواهب لحساب الجانب التجاري الذي يدر أرباحاً، فغدا المظهر أهم من الأداء، والأداء أهم من الصوت، والعرض ترفيهي أكثر من أن يكون فنياً إبداعياً، فاختلط الفن بالترفيه وبالاستعراض.

وربما أخطر مخرجات تلك الحالة التلفزيونية العربية هو في البطالة الفنية التي تخلفها تلك البرامج وراءها، فالكثيرون ممن يفترض أنهم أصحاب مواهب أبرزت نجوميتهم تلك البرامج؛ سرعان ما يخفت ضوؤهم بعد آخر حلقة على الهواء، لنصل إلى حالة بطالة فنية تشكل مصدراً جيداً لصحافة صفراء تتسابق لنشر ثقافة الخبر الخالي من المضمون والمعنى.

التسابق المحموم في عصر الفضائيات على تحقيق السبق في برامج اكتشاف المواهب أفقد تلك البرامج هدفها الأساسي في اكتشاف المواهب لحساب الجانب التجاري الذي يدر

صحيح أننا لا يمكن أن نبخس بعض برامج اكتشاف المواهب حقها في تعريف الناس بفنانين حقيقيين، لكن لا يمكن من جهة أخرى إنكار أن تلك البرامج عموماً، وعبر تنافسها الساخن؛ أفرزت ظاهرة الترفيه على حساب الفن الحقيقي والإبداع والموهبة، وفي الوقت نفسه لم ترتق بذائقة الجمهور قدر ما قادته بإعلام ذكي ومضلل نحو كرنفالات الألوان والتشويق والتسلية وما يريده المنتجون في





قصة إبداع

في ظل الاحتلال

راشد عيسى: فلسطين

لطالما جرى الحديث عن ستيف جوبز، مؤسس شركة آبل، وصاحب اختراع العديد من أجهزة الكمبيوتر التي بين أيدينا اليوم، كحالة نموذجية للسؤال حول أثر البيئة التي تنشأ فيها الموهبة، فهل كان جوبز، الأمريكي، سيكون على ما هو عليه لو بقي في مدينته الصغيرة المغمورة المحكومة بصراعات مريرة إلى اليوم، ونعني مدينة حمص السورية؟ بالنسبة لي فإن الجواب هو قطعاً لا.

لن يكون جوبز هو الذي نعرفه اليوم، لأن الرجل ليس ثمرة ذكاء جيني وحسب؛ بل هو ابن بيئة ناهضة في كل شيء، خصبة وجاهزة لتلقّف واحتضان المواهب وإطلاقها. وهذا ما يعني قبل كل شيء تضافر الجميع، مؤسسات وشخصيات قيادية وعائلة. لكن هل هذا يعني أننا إذا كنّا أبناء بيئة فقيرة بهذا التضافر والنهوض سيكون محكوماً علينا بأن تعدم مواهبنا مبكراً. هنا يحضر في البال نموذج آخر يعيش في بيئة نموذجية في تمثيلها للعنف والفقر والصراع والعيش تحت الاحتلال. هي الفلسطينية حنان الحروب، التي تقف هذه الأيام على رأس القائمة المرشحة لنيل جائزة (أفضل معلم في العالم)، والتي تبلغ قيمتها المليون دولار. واجهت حنان الحروب، ابنة مخيم الدهيشة الفلسطيني، مع أولادها، صدمة مروعة، لدى عودتهم من المدرسة، حين جرى إطلاق النار عليهم، فأصيب الأب، وعانى الأولاد صدمة لم يتماثلوا بعدها بسهولة للتعافي. ولذلك فإن الأم نفسها صدمت مرة أخرى بحال أولادها. (شعرت أني وحيدة)، تقول الحروب، وتتساءل: (ماذا يمكن أن أفعل كي أخرج أولادي من الصدمة؟). لم تضع الحروب رأسها بين يديها لتبكي وتئن، فهي تعرف جيداً أن ذلك لن يفيد أولادها بشيء. استدعت أولاد الجيران إلى بيتها كي يلعبوا مع أطفالها. لعبت معهم، ابتكرت ألعاباً تعلّم.

هكذا استطاعت أن تستعيد أولادها من صدمتهم، وملأتهم بالثقة. النتيجة حفّزتها لتعميم التجربة، فقررت أن تخوض تجربة تعليم الأطفال بانتهاج أسلوب (نلعب ونتعلم) أو (التعليم عبر اللعب). من يرى اليوم الفيديوهات التي تصور حنان الحروب وهي تعلم الأطفال الفلسطينيين عبر اللعب، سيلاحظ كم استطاعت هذه المعلمة أن تبني بيئة ناهضة، جزء منها على الأقل، تلك التي بإمكانها أن تكون حاضنة لمواهب وشخصيات قيادية مستقبلاً. إننا هنا أمام نموذجين، المعلمة نفسها كنموذج للموهبة والفرادة الشخصية والمقدرة على القيادة، والبيئة التي هيّأتها كنموذج لبيئة مفعمة بالموهبة. لقد استطاعت البيئات الفقيرة أحياناً أن تنتج نماذج شديدة العبقرية، غاندي، على سبيل المثال، وبالتأكيد هنا العديد عبر التاريخ. لكن لا شك أنها ستبقى قليلة مقارنة مع ما تنتجه المجتمعات المتقدمة.

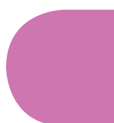
لا مناص من القول إن المواهب العظيمة، والعبقريات الفذة، يصعب أن تنمو في مجتمع متخلف، مكبل بآلاف الأغلال، وبالطبع لن نتمكن من إحصاء كم العبقريات والمواهب التي وُئدت في موطننا، لأنه، ببساطة، لم يكتب لها الحياة، لم يسمح لها أن تكبر وتستمر، لم تجد الرعاية الكافية. لكن، والحال على هذا النحو، هل نخدع أنفسنا لو تحدثنا عن الأمل؟ أبداً، ما دامت الحياة كريمة بشخصيات مثل حنان الحروب، لديها كل هذا الإخلاص والتفاني، وقبل كل شيء الرغبة في العيش والاستمرار، فلن تضن علينا بمواهب أخرى. مواهب فردية صحيح، لكنها في المجموع هي من سيشكل بيئات ومؤسسات ومجتمعات ناهضة.

> استطاعت البيئات الفقيرة أن تنتج نماذج شديدة العبقرية كـ(غاندي).. ولا مناص من القول إن المواهب العظيمة والعبقريات الفذة يصعب أن تنمو في مجتمع متخلف


ALI
NAJWA
AHMED

مواهب للمستقبل في وطننا العربي

المجلة العربية: مصر



على الرغم مما تعانيه بلدان عدة في وطننا العربي، ومع وجود حالات ماثلة من التشرذم والتردي في كثير من أوجه حياتنا؛ فإن ثمة بارقة أمل مبعثها هذه المواهب المبشرة والقدرات الفذة لجيل من الشباب، تتجاوز نسبته 50 % من عدد السكان في البلدان العربية، ويتجاوز بموهبته وطموحه، كل عوامل الإحباط ودواعي اليأس والقنوط، ويبقى فقط أن تستجيب المؤسسات بمبادرات أكثر فاعلية وآليات أكثر عدالة لهذا الطموح المشروع، وأن تصير أكثر جدة في التعاطي مع هذه الصناعة الأهم.. صناعة الأمل.



حقول المواهب

إمكانيات معدومة وثوب ممتلئ

محمد عدوي: مصر

ليس من الإنصاف تجاهل دور برامج اكتشاف المواهب في إثراء الحياة الفنية وتقديم

في صباح شتوي برده قارس، وقفت سهام تغني بهمس وكأنها تسمع ما حفظته في أحد أركان المسرح المترامي.. على جانب آخر ظلت أمها ونفر من أسرتها يتلون ما تيسر من كتاب الله في ركن آخر استطاعوا بعد معاناة الحصول فيه على كرسي تناوبوا عليه.

المكان.. مسرح مدينة سما 20 كيلو شرق القاهرة.

الحدث.. اختبارات القبول ببرنامج اكتشاف المواهب ذائع الصيت «أرابز جوت تالنت»، تلك الاختبارات التي اصطلح على تسميتها «الأوديشن»، وتلك التي حضرت سهام وأسرتها من بني سويف إحدى محافظات جنوب مصر للحصول على فرصة للاشتراك في البرنامج.

معاناة سهام وآخرين كثر لهم نفس الظروف والطموحات ربما لها ما يبررها، فمن ناحية أصبحت تلك البرامج ممراً واسعاً للشهرة لما تحظى به من حضور إعلامي وإقبال جماهيري ضخم، ومن ناحية أخرى هناك تقاعس حكومي ومدني في البحث والتنقيب عن المواهب المصرية الكثيرة التي أصبح هواء هذه البرامج متنفسها الوحيد.

الحديث عن سهام والمواهب الأخرى أشبه بمن يحتار فعلاً في وصف نصف الكوب، المواهب تجعله ممتلئاً لكن متابعتها والبحث عنها يجعلنا نراه فارغاً، أما الحديث عن برامج اكتشاف المواهب نفسها فهو أشبه بذلك الذي يتعلق بالقشة في منتصف بحر غادر.

أما عن المواهب، فبدون شك مازالت البطن حبلى ومازال الأمل معقوداً، ولا يزال هناك أم كلثوم أخرى تنتظر وعبدالحليم آخر في مكان ما، فوفقاً لآخر إحصاء أصدر عام 2014 عن عدد الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 18 إلى 29 من الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، وصل العدد لـ 23.7 % من عدد سكان مصر، وهذه النسبة تزيد إذا أضفنا لها الشباب حتى 40 عاماً، ومن المؤكد أن من بين هؤلاء الذين يزيدون عن الـ 30 مليوناً من أبناء الشعب المصري مواهب في شتى المجالات، ولعل كثرة المواهب المشاركة في برامج اكتشاف المواهب المتعددة من مصر خير دليل.

هذا هو نصف الكوب الممتلئ، المعين الذي لا تواجهه أي علامات تصحر ولا ينضب في أي زمن، ولكن الحقيقة لها وجوه أخرى، وللأسف حقيقة الرعاية الحكومية للشباب مسيئة وأحياناً مخزية، ويكفي أن تعلم أن المنوط به في المقام لرعاية المواهب الغنائية والفنية في مصر هو وزارة الثقافة، والتي تصنع وفق الإمكانيات ما تراه مناسباً.

وفقاً للتصريحات الحكومية ومن بين عشر هيئات تابعة للوزارة، هناك فقط ثلاث يمكن أن ترى من بينها فاعلية في اكتشاف ورعاية المواهب المصرية الشابة، على رأس هذه الجهات الثلاث قصور الثقافة المعنية بأنشطة كثيرة في كل محافظات مصر، وعدد قصور الثقافة وفقاً لجهاز التعبئة والإحصاء وصل إلى 559 قصر ثقافة، أي أن قصر الثقافة الواحد من المفترض أن يخدم 5 ملايين، إضافة



إلى أن التوزيع الجغرافي لهذه القصور ليس عادلاً، إذ إن هناك محافظات كاملة لا يوجد بينها قصر واحد!. وثانياً الهيئات التي تستطيع أن تقول إنها كاشفة للمواهب وتتبع وزارة الثقافة هو المركز الثقافي دار الأوبرا والذي أنشأ عام 1992 مركزاً لاكتشاف المواهب وتنمية الذوق الفني والمعروف باسم مركز تنمية المواهب، ويضم قسماً لاكتشاف المواهب الفنية والغنائية، ولكن أزمة المركز هي أزمة الأوبرا نفسها والتي صبغت عند البعض بأنها مكان لفنون الصفوة، وبالتالي لا يمكن أن يحقق انتشاراً للمواهب، عزز ذلك اشتراك بعض أسماء الأوبرا اللامعة مثل مروة ناجي التي شاركت في النسخة الثانية من برنامج The voice وغيرها.

أما ثالث الهيئات التابعة لوزارة الثقافة في مصر وتسعى لاكتشاف المواهب ورعايتها فهي أكاديمية الفنون التي تأخذ منحى تعليمياً أكثر.

ليس من الإنصاف تجاهل دور برامج اكتشاف المواهب في إثراء الحياة الفنية وتقديم أجيال جديدة من الوطن العربي، وتعطي أملاً للباحثين عن فرصة ظهور واسعة، ويكفي أن تكتب في محرك البحث جوجل «برامج اكتشاف المواهب» لتحصل على 425 ألف صفحة على شبكة الإنترنت.. أما إذا بحثت باسم كل برنامج على حدة أو باسم أي متسابق يصل إلى نهائيات هذه البرامج سوف تجد ما يذهلك وهو ما يؤكد أن لهذه البرامج أرضية وجماهيرية كبيرة لا يمكن تجاهلها، لكن هذا أيضاً لا يعني أنها طوق نجاة حقيقي، إذ إنها دائماً بها حلقة ناقصة لا أحد يعلم إذا كانت هذه الحلقة مقصودة أم لا، فأصحاب وصناع هذه البرامج يصدرون دائماً ما يوحي بأنه ليس من دورهم رعاية المواهب وإنما اكتشافها، وعليه فلا تبحث عن مصير أسماء مثل «إيناس عز الدين ومنار سمير وسلمى أحمد وعبدالعظيم الذهبي ودنيا الهاني ومحمد حسن...» وغيرهم من الأسماء التي كانت ملء السمع والبصر وقت تواجدهم في هذه البرامج، وكلهم مواهب مصرية أشاد بها كل من سمعها وشاهدها، ولكن بعد انتهاء البرامج كما يقولون لا حس ولا خبر، ومن المؤكد أن المسؤولية متشابكة في مثل هذه الظروف؛ فالمواهب التي شاركت ظنت أن المشاركة هي آخر المشوار والشهرة التي تصاحبهم وقت البرامج فتحت لهم كل الأبواب المغلقة، وعلى الجانب الآخر ظن صناع هذه البرامج أن إعطاء الفرصة هي الميدالية الذهبية لهم جميعاً.

ثقوب التجربة كثيرة، لكن من المؤكد يمكن تداركها بمزيد من الرشد والحكمة والتكامل بين كل الجهات، وإذا كنا لا نستطيع تعديل تفكير صناع برامج اكتشاف المواهب الذين يرون أن ما يحققونه من هذه البرامج هو الإنجاز ذاته ويكتفون به رغم وجود فرصة للاستثمار -حاولت بعض البرامج وإدارات القنوات احتكار بعض الأصوات وفشلت التجربة- ولكن يبقى أن نشير إلى الجهات الحكومية التي يجب أن تستفيد من تجربة البرامج ومن يخرج منها وتتولى رعايته، مستفيدة من الخطوة الأولى التي تقدمها البرامج للمشتركين.

مازالت البطن حبلى ومازال الأمل معقوداً ولايزال هناك أم كلثوم أخرى تنتظر



طرق علمية وتجارب

ريكاردو كرم: لبنان

هناك فرق كبير بين دعم المتميزين وتشجيعهم وما تنشط من خلاله مبادرة (تكريم)، فالفائزون بجوائزها هم أساساً مبدعون أحدثوا فرقاً في مجالات مختلفة ولكن العالم العربي للأسف لا يعرفهم، وهنا تأتي (تكريم) لتلقي الضوء عليهم وعلى إنجازاتهم، فتفتح قنوات ومنهجيات يتواصلون عبرها مع أفراد آخرين ومؤسسات أخرى، ما قد يؤدي إلى أعمال جبارة وشراكات مثمرة.



رسالة (تكريم) مفادها أن العالم العربي موطن فعلي للمبادرة والإبداع والتفكير الإيجابي وابتكار المشاريع حيث المشاركة الشبابية أساسية وفعالة

نحن، بكل بساطة، منصة جامعة تكبر بهؤلاء وتمنح الشباب العربي فرصة لاكتشاف قامات تشكل أمثلة حية وقدوة لشبابنا. وبالعودة إلى نشأة (تكريم)، فإن الأحداث التي عصفت بالشرق الأوسط في العقدين الأخيرين، وما نتج عنها من تشويه لصورة العرب، دفعتني إلى العمل على دحض هذه الصورة السلبية وإظهار الوجه الحقيقي والحضاري للشعب العربي. ولمواجهة هذا التحدي الكبير وعلى نطاق واسع، برزت الحاجة إلى تبني نجاحات عربية، في إطار نهضة حقيقية وفعلية، ولترجمة هذه الفكرة على أرض الواقع ولدت مبادرة (تكريم).

تكمن الأهداف الأساسية لـ(تكريم) في البحث عن هؤلاء الذين تميزوا وإلهام آخرين في مسيرة سعيهم وراء النجاح في مختلف المجالات الثقافية، التربوية، العلمية، البيئية، الإنسانية، الاجتماعية والتنمية الاقتصادية، في جميع أنحاء العالم. ومن خلال ما نقوم به، تبث (تكريم) إلى العالم أجمع، رسالة مفادها أن العالم العربي هو موطن فعلي للمبادرة والإبداع، والتفكير الإيجابي، وابتكار المشاريع، حيث المشاركة الشبابية أساسية وفعالة.

تنشط (تكريم) في المجالات التالية: الخدمات الإنسانية والمدنية، المرأة العربية الرائدة، الابتكار في مجال التعليم، المبادرون الشباب، التنمية البيئية المستدامة، الإبداع العلمي والتكنولوجي، الإبداع الثقافي، القيادة البارزة للأعمال والمساهمة الدولية في المجتمع العربي هذا فضلاً عن فئة (إنجازات العمر) حيث تمنح جائزة تقديرية لوجوه رائدة تميزت بروح القيادة والحكمة وكان لها بصمة خاصة وتأثير بالغ في المجتمع.

أما الطرق العلمية والآليات التي نعتمدها في اختيار الفائزين فهي تتم من خلال عملية دقيقة بالغة الجدية، بمعزل عن الجنس أو الدين، الأصل القومي أو الانتماء السياسي أو العمر، فالمعيار الأهم يتجسد في أن يكون المرشح من أصل عربي ما عدا مرشح فئة (المساهمة الدولية في المجتمع العربي) الذي يكون عبارة عن مؤسسة أو شخصية أجنبية كانت لها مساهمات فعالة للنهوض بالمجتمع العربي على المستوى الإنساني أو الاجتماعي، التعليمي وغيره.

تنقسم عملية اختيار الفائزين إلى مرحلتين، تتم خلالهما دراسة إنجازات كل مرشح على حدة وتقويمها. ففي المرحلة الأولى، يقوم المجلس الاختياري لمبادرة (تكريم) الذي يضم خبراء في مجالات مختلفة عُرفوا بتميزهم وإنجازاتهم، إجراء مراجعة معمقة لإنجازات المرشحين، ليصار إلى إعداد قوائم قصيرة من المرشحين من أجل المضي قدماً في عملية اختيار الفائزين. وفي المرحلة الثانية، يلتئم المجلس التحكيمي للمبادرة، لمراجعة القائمة المختصرة من المرشحين التي يكون المجلس



الاختياري قد أعدها لاختيار فائز واحد عن كل فئة من فئات (تكريم). علماً أن أسرة (تكريم) تشارك في اجتماعات المجلسين الاختياري والتحكيمي لاستعراض ملفات المرشحين ودراستها بصفة استشارية، من دون أي مشاركة في عملية التقويم.

وهكذا يتم ما أردناه للمبادرة من مصداقية ومهنية عالية في اختيار الفائزين الذين تعلن أسماؤهم في حدث سنوي ضخم ينظم كل دورة في مدينة مختلفة وقد أقيمت الاحتفالات السابقة في بيروت، الدوحة، المنامة، باريس، مراكش ودبي تباعاً.

يتألف المجلس التحكيمي لـ(تكريم) لعام 2016 من شخصيات بارزة على سبيل المثال لا الحصر: جلالة الملكة نور الحسين، الأميرة بندري عبد الرحمن الفيصل، الأمير منصور بن ناصر بن عبد العزيز، الشيخة مي الخليفة، الشيخة بولا الصباح، الدكتور الأخضر الإبراهيمي، الشيخ صالح التركي، الدكتورة فريدة العلاقي، الصناعي كارلوس غصن، السيدة نورا جنبلاط، الدكتور أحمد هيكل، السيد عيسى أبو عيسى، الروائي مارك ليفي والسيد رجا صيداوي.

منذ إطلاق مبادرتنا العام في بيروت، كان الهدف واضحاً: تكريم الإبداع العربي، المتمثل بأفراد أو بمؤسسات وقطاعات محددة لصلتها بالتنمية وتحديات العصر، وذلك وفق معايير عالية ودقيقة.

مبادرتنا، هي اللون الأخضر في سواد اللوحة. هي ضوء على أسماء فاعلة إنسانياً في ضوضاء الحروب المذلة. هي اعتراف بفضل الآخر على الآخرين من دون منة.

(للمدن رائحة) يقول الشاعر محمود درويش.

وأنا من مدينة تحمل رائحة البحر والحرية. أنا من بيروت التعدد والانفتاح، أسعى إلى الإضاءة على نخبة من الأسماء المؤثرة في حياتنا العربية، حياة محاصرة بالثورات، مثقلة بالمشاكل الاجتماعية، مستباحة بالنزاعات الدموية.

هذه النخبة تقود مجتمعاتها، من دون مجلس قيادة ثورة، إلى غد أفضل وتُشرع أبواباً على التنمية والإبداع والتفاعل الإنساني، سواء من خلال مشاريع ناجحة أو من خلال المساهمة في التقدم العلمي.

فالقيادة هي القدرة على تحويل الرؤية إلى واقع.

هذا ما هو محفور في ذاكرتي الملأى بالأحلام والرؤى والمشاريع.

واليوم نتشارك معاً حلماً آخر وهو إقامة منتدى يجمع الشباب العربي بجميع الذين فازوا بجوائز (تكريم)، كي يتسنى للأجيال أن نتحاور وتتكامل.

فأمامنا مستقبل زاخر على الرغم من قتامة المشهد.

الثقافة

مريم مشتاوي: لبنان

المَساحة المتبقية للإنسان ولإبداعه ضيقة جداً، فتربتنا العربية مسمومة بالإرهاب، والحروب...في زمن لم يسبق له مثيل في انحداره. وشريحة المثقفين المتمثّلة بالإعلاميين والأدباء والفنانين والشعراء هي الشريحة الأكثر مسؤولية عن إحداث تغيير إيجابي في المجتمع إذا أتيحت لها الظروف الملائمة وخاصة الحرية الفكرية.

الثقافة بمعناها الشامل هي التي تجعل الإنسان أقرب إلى إنسانيته لأنها هي التي تشذب النوازع البدائية كالعدوانية والهمجية ولكنها لا تكفي كفعل منفرد وإنما يجب إشاعتها في كل مناحي المجتمع وبخاصة بين فئة الشباب سريعي التأثر بالأفكار العنيفة والمشوهة. وهذا يتطلب جهداً هائلاً من قبل المثقفين والجهات المسؤولة غير الملوثة والمترهلة بأجندات داخلية وخارجية، التي لم تفعل شيئاً طوال هذه السنوات لتفادي الهوة التي وصلنا إليها إذا لم نقل إن بعضَها قد يكون سبباً من الأسباب الرئيسة في تفشي الجهل وهو أم وأب الإرهاب. بهذا المعنى فإن تكريس ثقافة حقيقية وبرامج موجهة تحترم الإنسان وتنفتح على الآخر يشكل مساهمة فعالة في ثقافة إنسانية تنويرية. لذلك، فإن دعم الناشئة المتميزين وتشجيعهم هو إحدى الوسائل للنهوض بالمجتمع.. نعني المتميزين في كافة الحقول والمجالات.. وقد شاهدنا مؤخراً حركة قد تكون بداية مشجعة لتوعية الشباب وتنمية هذه الظاهرة التي بدأت متمثلة بتقديم برامج تلفزيونية كثيرة منها (نوافذ) و(مبدعون في المهجر) وغيرهما.. وتنمية وتطوير هذا الاتجاه هما من مسؤولية الجهات الإعلامية والثقافية خاصة كانت أم عامة.. عالمنا اليوم هو عالم الثورة المعلوماتية، ويمكننا القول إننا نعيش الآن في عالم يتمحور حول الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي.. إنه عالم مرئي يلعب الإعلام فيه دوراً كبيراً في تشكيل الإنسان والمجتمع وبخاصة عنصر الشباب.. ومن هنا يجب ليس فقط تشجيع المواهب الشابة والناشئة على تحقيق ذواتهم، وإنما أيضاً الكشف عن قدراتهم ومواهبهم. كما لا يمكننا، في الوقت نفسه، أن نقلل من أهمية الدعم والتحفيز الذين يمكن أن تقدمهما الصحف الورقية لمواهب ناشئة.. لذلك فإن تخصيص مساحات واسعة لهم على صفحاتها وتسليط الضوء على قدراتهم هما حاجة



ملحة وليس كما نرى اليوم من اهتمام فقط بالأقلام والأسماء الكبيرة والمعروفة.. فالمواهب الناشئة بحاجة لفرصة والتغيّر الإيجابي في العالم لن يحدث إلا من خلال عنصر الشباب.. تلك الفئة الاجتماعية المهمة التي تحمل بطبيعتها أفكاراً حديثة ومتجددة تناسب العصر.. كما يجدر بوزارات الثقافة في البلدان العربية ممارسة أدوارها وواجباتها وتوفير ميزانية كبيرة لدعم هذه المواهب وتشجيعها. ولكن، وفي الوقت نفسه، لا بد أن نكون على وعي كامل بفرز المواهب الحقيقية كي لا نواجه خطورة تحول المجتمع الثقافي إلى مجتمع مخملي استهلاكي يسعى فيه كل من له سلطة أو قدرة على إصدار كتاب أو أي عمل (إبداعي) تماماً كمن يعجبه معطف من الفرو أو حقائب ممهورة بالعلامات التجارية الباهظة أو بعض إكسسوارات يزين بها حضوره الاجتماعي لتصبح الكينونة الثقافية جزءاً من مجتمع يفرّغ ثقافة الإبداع من معناها ويحولها إلى أداة استعراضية تجمل شكله وصورته ولا تلتفت للمضمون أو تثريه في ظل سيول من إسهال الكلام واستسهال الكتابة والفنون. لذلك يجب أن ينصب



حكاية قصيدة

في تراثنا الأدبي العربي طائر يحلق بجناحين في ثنائية من نوع مختلف، ذلك الطائر يتجسد في (حكاية قصيدة)، تلازما معاً، فارتبطت القصيدة بالحكاية والحكاية بالقصيدة. وأدبنا العربي يزخر بالعديد من تلك المواقف والقصص التي خلدتها القصائد، حتى استحال بعضها إلى ثنائية متلازمة تناولها الرواة والنقاد، وحيكت حولها خيوط، وأضيفت إليها أخرى، حتى صارت أسطورة متماسكة تروى جيلاً بعد جيل.

الرد على الثقيل شعراً

د.عبدالله ثقفان: الرياض

قالت عائشة رضي الله عنها: نزلت آية في الثقلاء: (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ..) الآية.

وقيل «لجالينوس»: بِمَ صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل؟ فقال: لأن الرجل الثقيل إنما ثقله على القلب دون الجوارح، والحمل الثقيل يستعين فيه القلب بالجوارح. ونقش رجل على خاتمه: أبرمت فقم. فكان إذا جلس إليه ثقيل ناوله إياه، وقال: اقرأ ما على هذا الخاتم. وكان أحدهم –وهو من الثقلاء- قد أهدى رجلاً من الظرفاء جملاً ثم نزل عليه حتى أبرمه، فقال فيه شعراً:





يا مُبرماً أهدى جمل
خد وانصرف ألفي جمل
قال وما أوقارها!
قلت زبيب وعسل
قال ومن يقودها
قلت له ألفا رجل
قال ومن يسوقها
قلت له ألفا بطل
قال وما لباسهم
قلت حليٌّ وحُلل
قال وما سلاحهم
قلت سيوف وأسل
قال عبيد لي إذن
قلت نعم ثم حول
قال بهذا فاكتبوا
إذن عليكم لي سجل
قلت له ألفي سجلّ
فاضمن لنا أن ترتحل
قال وقد أضجرتكم!!
قلت أجل ثم أجل
قال وقد أبرمتكم!!
قلت له الأمر جلل
قال وقد أثقلتكم!!
قلت له فوق الثِّقل
قال فإني راحل
قلت العجل ثم العجل
يا كوكب الشؤم ومن
أربى على نحس زُحل
يا جبلاً من جبل
في جبل فوق جبل



صناعة الإرهاب

تاريخ النشأة وصيرورة التطور





د. هشام العفو: المغرب

عرف التاريخ البشري الكثير من الكوارث والحروب، لا تختلف في مخلفاتها وقوتها التدميرية عن الكوارث الطبيعية التي لا تخضع لمنطق أو قانون، لكنها تختلف من حيث غاياتها، فالكوارث الطبيعية هي نتاج حساب فيزيائي أو جيولوجي أو لدورة طبيعية تحافظ من خلالها الكرة الأرضية على ثباتها واستمرارها وتوازنها، لكن الكوارث الإنسانية لا تشترك في نفس المنطق السابق، لأنها لا تحافظ على نفس الأهداف الطبيعية، ولا تخضع للمنطق الفيزيائي عينه، ومنه فإن ما تصنعه الطبيعية أو تبرمجت عليه ميكانيكياً فهو خارج حدود الإدراك ومنطق الفعل ورد الفعل كما يؤكد ذلك الفلاسفة ومنهم (برتراند رسل) (فيلسوف ومنطقي إنجليزي) حيث نفى خاصية الوعي والإدراك عن الأشياء الطبيعية، حتى وإن تحركت وتدحرجت



بقوة أو تسببت في خسائر كبيرة، فإنها لا تعكس في حركتها وعيـاً ذاتيـاً أو تحكماً في حركتها، وذلـك عكس ما اعتبره في الإنسـان، الذي يفكر ويدرك ويفهـم، ينتج ويبدع، والأهم في كل هـذا كمـا يؤكـد رسـل، أنـه يقصـد، ولا يختلـف بذلك مع الفيلسوف جون جاك روسو، الذي يؤكد على القصدية في ما يقوم به الإنسان وفي تواصله أيضاً، إذن إن القصد في الشيء هـو ميـزة الإنسـان، وهي الخاصيـة التـي تجعلـه يتعالى عن الأشـياء ولا يتقاسـم معها طبيعة الوجود، حتى وإن اشـترك معها في صفة الوجود بما هو موجود سابق..

يمكننـا أن نتعرض لهـذا التصـور مـن خـلال مجموعـة مـن المبررات والسـياقات، التي تعكس كيفية بنـاء «الإرهاب» وجعله بضاعة ومنتوجاً باهض الثمن يتم تصديره من دولة إلـى أخرى، ويتخذ أشـكالاً متعددة، لهـذا قد يكون مفيداً لنا التعرض لجزء من تاريخ صناعة الإرهاب.

وضع وايزهاوبت مخططاً خطيراً من أجل تدمير جميع الحكومات والأديان والأحزاب السياسية والمذاهب معتمداً على إستراتيجية إضعاف التنظيم داخلياً وإنهاكه في الصراعات الهامشية

كرونولوجيا صناعة وتطور الإرهاب

الإرهـاب كلمة أو مصـطلح مطاط وزئبقـي، يحمل أوجهاً ومعانـي متعـددة، ويعد مصـطلحاً قابـلاً لتعدد اسـتعمالاته وتوظيفاتـه، له طابـع «هلامـي»، يرتبط بالعنف وسـياقاته، فهـو تتويـج لمحطـات تاريـخ الصـراع الإنسـاني، وتجسـيد لإرادة القوة وغريزة البقاء التي تتملك الإنسان الأرضي، إنه مصـطلح تم تحويله وحشوه بمضـامين «إنسانية- قانونية- أخلاقية» حتى يحصل على شارة المفهوم الفلسفي، ويتحقق حصـوله على الاعتراف الدولي والبشـري، ويصـبح مفهوماً حاصـلاً على براءة الاختراع «التوليد»، فتكون الجماعة التي بنـت المفهوم وطورته، اسـتطاعت بذلك أن تجد له سـياقات معرفيـة، وخلفيـات تاريخيـة، أو أيديولوجيـات، تسـتحق أن تحصل بموجبها على براءة وحق الاستخدام.

قدمت صحيفة «لوتون» السويسرية الناطقة بالفرنسية، معطيـات كثيـرة ترصـد ذهنيـة المؤامـرة الكبيـرة وتفضـح الكثير من التعاقدات الخفية بين النورانيين وبعض أصحاب النفوذ في الحكومات والبنوك وغيرها، كما يمكننا أن نحيل هنـا على الأمريكي «وليـم كار» الذي كان أحد جنود البحرية الأمريكية، لكنه اكتشف بعض خيوط المؤامرة الكبرى فعمل علـى تتبع آثار الخيوط، وتطـور المؤامرة اليهودية الكبرى، خصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية التي شكلت منفذاً كبيـراً وأرضـاً خصبة لتنفيـذ بدايـة المؤامـرة والتحكم في اقتصـاد البلاد، وصـناعة الأسـلحة، وعالم السياسـة والمال والسـلطة والفسـاد والدين.. وقد أصـدر وليم كار قبل وفاته كتابـاً شـهيراً بعنوان: الشـيطان أميـر العالـم ثم كتاباً آخر بعنوان: ضباب أحمر فوق أمريكا.

حـاول الكاتـب وليم غـاي كاري من خلال كتابـه، أن يبين خطـورة المؤامـرة الكبـرى، وتقديـم أدلـة وبراهيـن تديـن المتنوريـن بضلوعهم في الثـورة الأمريكية، لكـن قبل ذلك فإنه يبرز في كتابه كيف أن هؤلاء يؤمنون بمخلصهم الأكبر وهو الشـيطان الذي رفض الاسـتبداد الإلهي، وهم يحـاولون بدورهـم إكمال معركة التحرير ضـد الإلـه، والتمهيد لنزول الشـيطان المتمـرد، ويؤكـد وليـم غـاي كاري أن الثـورات العالميـة كانـت من ضـمن المخططـات الكبـرى التي تمهد للسـيطرة علـى نقـاط القـوة فـي الـدول الكبـرى، وأهمهـا أمـريـكا، فاعتقادهـم قائـم علـى ثنائيـة معركـة التحرر ضـد الاسـتبداد الإلهي، وتجسـيد فعل الثورة عليه، لأن الشـيطان أشـعل الثورة في السـماء، وهؤلاء يشـعلونها في الأرض، وقد



شكل ظهور ألبرت بايك منعطفاً كبيراً في تاريخ هذه الحركة الخطيرة، إذ إنه استغل ذكاءه في التخطيط، وبدأ بتنفيذ مخططاته الشيطانية، الرامية إلى تقسيم وإضعاف الأمم ثم الانقضاض على أهم الموارد، واستغلال الكفاءات عبر توريطها أخلاقياً وسياسياً، وقد انطلق ألبرت بايك وأتباعه من عقيدة قوية شيطانية تؤمن بضرورة تحرير الشيطان ونزوله لحكم الأرض نظراً لجدارته وأحقيته في حكمها، عبر حكومة واحدة موحدة. إن إستراتيجية الصراع التي تم التخطيط لها من طرف ألبرت بايك وكذلك آدم وايزهاوبت، وغيرهما من الذين يحملون العقيدة الشيطانية، تقوم على أساس زرع الفتنة في الدول والحكومات والمذاهب، إضافة إلى نشر الفوضى الخلاقة والتحكم في الحروب العالمية الكبرى التي تسببت في موت الملايين، ودمار دول بكاملها، وتطوير أسلحة فتاكة بالبشرية، وهذا مرده إلى فكرة استعباد الشيطان للجنس البشري وضرورة جعله تحت حكم وتحكم عقيدته حسب اعتقاد الشيطانيين.

مراحل المؤامرة وبداية صناعة الفكر الإرهابي

البدايات الأولى للمؤامرة كانت منذ مدة طويلة، لكنها توجت فيما بعد في بداية سنة 1784، بعدما ظهرت مجموعة من البراهين والأدلة تعكس حقيقة المؤامرة التي تحاك ضد الجنس البشري وديانات التوحيد خصوصاً وكل من يؤمن بوجود إله واحد للكون، وقد تطورت المؤامرة الشيطانية خصوصاً مع انقلاب أستاذ يسوعي للقانون وهو آدم وايزهاوبت Adam Weishaupt الذي كان يشتغل في جامعة انغولدشتات Ingoldstadt، وقد ارتد آدم عن فكره وعقيدته وانقلب عليهما تماماً، لكن الأخطر في ذلك، أنه اعتنق المذهب الشيطاني بقوة وأصبح من أكبر المخططين للمؤامرة التاريخية الكبرى. «أحجار على رقعة الشطرنج -وليم غاري كاي ص 8»

استمر التخطيط والتأسيس للمؤامرة، إلى سنة 1770 حيث قام المرابون باستئجار آدم وايزهاوبت، وتنظيم مؤسسة روتشيلد، وكان الهدف من هذا العمل القيام بإعادة ضبط وتطوير التنظيم الشيطاني، ومراجعة البروتوكولات القديمة، والغرض من هذا العمل كان التمهيد لكنيس الشيطان من أجل بسط السيطرة على العالم وحكمه. وأخطر ما في المخطط هو فرض المذهب الشيطاني بديلاً عن العقائد الإلهية، وتحقيق أيديولوجيا جديدة شيطانية على الجنس البشري بشكل عام.

أهداف المخطط والمؤامرة

حينما انتهى آدم وايزهاوبت من المهمة الأولى في مايو 1776، وضع مخططاً خطيراً من أجل تدمير جميع الحكومات والأديان والأحزاب السياسية والمذاهب، ثم التحكم فيها، معتمداً على إستراتيجية إضعاف التنظيم داخلياً وإنهاكه في الصراعات الهامشية وزرع الكراهية بين المذاهب الدينية وتقسيم الحكومات إلى جهة حاكمة وأخرى معارضة، وبعد ذلك تمزيقهم من الداخل ونشر الفساد والنهب، والتحكم في البنوك واقتصاد الحكومات وفي مصادر الدخل وثرواتها، والأخطر في ذلك هو التحكم في الإعلام وأدواته ووسائله وطرق الإنتاج، وكان الهدف هو جعل البشر مجرد رعايا تابعين ومستهلكين وغارقين في الفساد، وقد أطلق عليهم باليهودية «الجوييم» «القطعان البشرية ويطلق اليهود هذا الاسم على البشر من أديان

كيف وصلت إلينا كل هذه المعطيات والحقائق والوثائق السرية عن الخطر اليهودي وبروتوكولات حكماء صهيون؟





أخرى غير ديانتهم». «أحجار على رقعة الشطرنج وليم، غاي كاري ص 8».

كان هذا التصور التدميري يهدف إلى خلق تكتلات، ثم زرع ثقافات الدفاع عن النفس من جهة وسياسات التملك والقوة من جهة أخرى، فتم توريط العقل الإنساني في صراعات أكثر دموية، ثم التسرب من خلال المذاهب الدينية للمسيحية بين البروتستانت والأرثوذوكسية والكاثوليكية، من جهة ثم زرع الفتنة والصراع بين الديانة المسيحية والدين الإسلامي، ولم تتوقف حدود المؤامرة إلى هذا الحد، بل توغلت إلى أعماق الدين الإسلامي وتم خلق الحقد والصراع بين السنة والشيعة، وتسليح جهة على حساب الأخرى، لأن عقيدة الشيطانيين تقوم على إضعاف العقائد الأخرى والتمهيد للعقيدة الشيطانية الجديدة، ويمكننا أن نرجع إلى الشركات المصنعة للأسلحة أو اللوبيات التي تتحكم في بيع الأسلحة، لطرفين متنازعين، سواء في الحربين العالميتين الأولى والثانية، أو الحروب المفتوحة تحت مسميات مختلفة، الدفاع عن العقيدة، أو الدفاع عن الشرف، وغيرها وصولاً لما يسمى محاربة الإرهاب.

(حملة النور) هو تنظيم يطلق على جماعة النورانيين حسب التعبير الشيطاني ويهدف لوضع المؤامرة الشيطانية الكبرى في وضعية التنفيذ والإجراء

أسس بناء المخطط الشيطاني ودعاماته

كانت سنة 1776 حاسمة، وأثرها كان بالغاً، حيث قام «آدم وايزهاوبت» بتنظيم جماعة النورانيين، والهدف من التنظيم هو وضع المؤامرة الشيطانية الكبرى في وضعية التنفيذ والإجراء، وقد تم تأسيس المرجع للنورانيين أو ما يسمى حسب التعبير الشيطاني: «حملة النور» بمعنى أنهم يحملون مشعل تحرير الإنسان السامي من ظلمات الإله وأحكامه الجائرة حسب اعتقادهم، وتخليص الشيطان الأكبر الذي تمرد على الإله ورفض استبداده، وبالتالي فهو المحرر والمخلص لهم، وقد اعتمد النورانيون في هذا المخطط على القوة الاقتصادية وقدراتهم في التحكم بمراكز القرارات السياسية خصوصاً، والتحكم أيضاً في الحملات الانتخابية والسيطرة على الأغلبيات في مواجهة الأقليات المعارضة، ثم تنظيم المعارضة والتحكم في زعاماتها لتنقلب على الأغلبية فيما بعد وتحكم بنفس سيناريوهات المخطط الشيطاني.

وقد شكل الاقتصاد قوة ودعامة أساسية في إستراتيجيات السيطرة على العالم، خصوصاً بعد نهج طريقة التحكم في البنوك والموارد المالية، والتخطيط المالي القائم على التحكم في الموازنات المالية، إضافة إلى تأسيس مدارس الصحافة والإعلام، حيث تم التخطيط لمنظومة إعلامية خطيرة، تقوم في أسسها على التلاعب بالمعطيات واستخدام التقنيات الحديثة حبك الأحداث وفبركة الوقائع والتحكم في العقول عبر بث برامج موجهة تستهدف نقاط الضعف لدى المشاهدين الذين تملك المنظمة معطيات دقيقة عنهم عبر التقارير الأنثروبولوجية التي تم اعتمادها بعد الحرب العالمية الثانية، وقد أورد البروفيسور «جولدوين سميث» وهو أستاذ التاريخ في جامعة أكسفورد البريطانية، وبالضبط ما نشره في مجلة القرن التاسع عشر: (عندما كنت في إنجلترا آخر مرة، كنا على حافة الحرب مع روسيا، وكان مقدراً لهذه الحرب أن تورط الإمبراطورية كلها، وكانت المصالح اليهودية في أوروبا، وأداتها الرئيسة صحافة فيينا، تسعى بكل جهدها لدفعنا لتلك المعركة..).

هذا نموذج فقط يؤرخ لفترة عصيبة عاشها العالم، وكان من خلالها على حافة حرب طاحنة، والسبب هو السيطرة على الإعلام من طرف المنظمة الشيطانية، كما يتعرض وليم غاي كاري في كتابه «الشيطان أمير العالم» إلى النهج الذي اعتمده الشيطانيون والنورانيون من أجل نسج مجتمع




الشواذ، والهدف كان هو الخروج عن الطبيعة البشرية التي جعلها الخالق في مخلوقاته، لكن هذا المخطط كان يرمي إلى زرع بذور الانحلال والانحراف ليصبح حقاً من حقوق الإنسانية فيما بعد، وتضغط المنظمات السرية الجديدة التي تكونت في كنف المنظمة الكبرى، وتدافع عن حق الإنسان في ممارسة كل ما يريده الجسد دون أن يخضع للعقل أو المنطق أو الدين والتعاليم وغيرها، وهو منطق النورانيين الذي يقوم على تحرير الإنسان من العقل والأحكام السابقة والتعاليم السماوية، تمهيداً لإعلان البيعة للمحرر والمنقذ وهو الشيطان.

الدعامات الأساس وتحول المؤامرة من مخطط إلى أيديولوجيا

كانت المؤتمرات الأولى التي وصل عددها إلى 23 مؤتمراً ما بين سنة 1897 وسنة 1951، وكان آخرها الذي انعقد بالقدس للمرة الأولى في تاريخ مؤتمرات الصهيونية العالمية، في 14 أغسطس 1901، وكان هدفه بحث مسألة هجرة اليهود إلى أرض فلسطين وإقامة الدولة الإسرائيلية، حسب جريدة الزمان عدد 27 / 7 / 1951، وقد كان موضوع الهجرة هو المعلن لكن السبب الحقيقي للمؤتمر كان يبحث في المخططات التي تقود إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية. وقد كان أول مؤتمر في مدينة بال السويسرية سنة 1897، برئاسة الزعيم الصهيوني «تيودور هرتزل»، وقد جمع المؤتمر نحو 300 من أقوى زعماء الصهيونية في العالم من 50 جمعية يهودية، وقرروا خطتهم السرية الخطيرة تقضي باستعباد العالم وتوحيده تحت تاج ملك من نسل داود. وهكذا بدأت أكبر مؤامرة في تاريخ البشرية تظهر بقوة وتتسرب بسرعة لتجعل العالم مجرد قرية تعمها الفوضى. «محمد خليفة التونسي- الخطر اليهودي ص 33-34»

بقي السؤال مطروحاً: كيف وصلت إلينا كل هذه المعطيات والحقائق والوثائق السرية؟

بطبيعة الحال إنه سؤال صعب ومحير، لكنه ليس مستعصياً على الإجابة، إذ يذكر المفكر محمد خليفة التونسي في كتابه: «الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون ص 34»

أن سيدة فرنسية أثناء اجتماعها بواحد من كبار زعماء إحدى المنظمات الماسونية السرية في فرنسا، قامت باختلاس مجموعة من الوثائق الخطيرة التي تتضمن المخطط السري، وفرت بها، وبعد ذلك وصلت هذه الوثائق إلى أليكس نيقولا نيفتش وهو كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية، وذلك في عهد القيصرية، وأدرك أليكس خطورة الوثائق وما تتضمنه من مخططات تدميرية كبيرة، وقدمها لصديقه الأستاذ والعالم الروسي سرجي نيلوس، الذي أدرك خطورة الوثائق وعمل على تمحيصها وتدقيقها ومراجعتها، ومقارنتها بالوضع الحقيقي وما يعيشه العالم حينها من اضطرابات وتقلبات سياسية كبيرة، وقد تضمنت نبوءات كثيرة أبرزها: احتلال روسيا وسقوط القيصرية ونشر الشيوعية، ثم سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية على أيدي اليهود قبل تأسيس دولة إسرائيل، وكذلك عودة اليهود إلى أرض فلسطين وإقامة دول إسرائيل فيها، إضافة إلى نبوءات بسقوط وانهيار الملكيات في أوروبا ومنها: ألمانيا، إسبانيا، رومانيا، إيطاليا والنمسا.. أما النبوءة الأخطر فقد تجلت في إثارة الحروب العالمية لأول مرة في تاريخ البشرية نظراً لحجم الدمار الذي ستخلفه وملايين الضحايا.

صور وليم غاي كاري من خلال كتابه (الشيطان أمير العالم) خطورة المؤامرة الكبرى وأبرز فلسفة الإيمان بالمخلص الأكبر وهو الشيطان الذي رفض الاستبداد الإلهي كما يزعمون





ألا تملك قلباً؟

عبدالرحمن سلطان السلطان: الرياض

لـم تتغيـر غرفة الانتظار الكئيبـة منذ آخر مرة زرتها.. شاشـة إلكترونية صـامتة تشـع ألواناً متلاحقة، وستة كراسي خشبية، وجهازٌ لوحي واحد يبدو أنه لا يعمل.. وأنا والقلق وحدنا.

(مصعب).. صوتٌ يكاد يكون بشرياً، لكنه صادر عن تلك الممرضة الآلية.. (مصعب)..

-(نعم.. هذا أنا.. هنا)

تُقبل الممرضـة الآلية نحوي، فألمح اسمي وصورتي ظاهرين على شاشة في منتصف هيكلها المعدني!

في الممر الضيق الذي أتبعها فيه نحو غرفة طبيبي الدكتور (سعود)، يقتلني الفضول.. لست خائفاً منها لكني مرتبك، سأحسم أمري: (من أنت)؟

توقفت الممرضة الآلية وكأن شيئاً تعطل فيها.. التفتت نحوي بزاوية قدرها تسعون درجة (أنا حصة.. رقمي التسلسلي -54630ح23-، إنتاج مصانع القمر المتقدمة، وادي الصناعة العشرين، الظهران، المملكة العربية السعودية).

بالطبع كل هذه المعلومات كانت ظاهرة على الشاشة باللغتين العربية والإنجليزية. لكن لا يهم، فالمهم الآن هو أننا تجاوزنا عيادة الدكتور (سعود)!.. إلى أين نسير؟ إنه يوم الحسم الذي أنتظره منذ سنوات.

(حصة)... (حصة.. إلى أين نتجه)؟ لم تجبني هذه المرة، لكننا توقفنا عند باب عيادة الدكت... الدكتور (حمد) استشاري الطب الرياضي وعلوم الحركة، والكثير من الاختصارات الإنجليزية الممهورة على لوحة عيادته.

فُتح الباب تلقائياً ثم دخلت بعدها، أشارت لي بحركة مهذبة للجلوس على الكرسي أمام الطبيب الشاب، الذي مزّ شفته بابتسامة ترحيب خاطفة. كان مشغولاً بشيء ما كأنما يصغي لأحد آخر يتحدث في رأسه! لا يبدو أنه يمتلك خبرة طويلة لكنني هنا الآن، أشار إلي بالذهاب إلى الجهاز الضخم هناك.. ثم ابتسم بلطف مدروس: (دقائق وتصلني نتائج المختبر.. نحتاج أشعة إضافية)..

عندما وقفت داخل الجهاز، بدأت المعلومات تظهر وبإمكاني مشاهدتها من هناك.

-(قياسُ الكثافة العظميَّة ضمن المتوسط.. لا دليل على أي ترقُّق)... (تعال هنا.. يبدو أن النتائج الكاملة وصلت)،

أعود إلى كرسيي، إنها النتائج التي قضيت خمس سنوات من عمري أكد وأتعب لها.. سنوات ثقيلة ابتعدت فيها عن والديّ، عن إخوتي، تخليت عن فتاة أحلامي، فقط لأحقق ما يريدون.. ينظر إلى شاشته ثم يلتفت نحوي:

-(امم.. تعداد كريات الدم الحمراء مقبول، نسبة اختبار الذكاء مقبولة.. تحليل هيكل الأحماض الأمينية مقبول أيضاً... لكن دعنا ننتقل إلى الأهم)

قلبي يزداد خفقاناً، ويداي تتعرقان وترتجفان.

-(نسبة السرعة القصوى 14 %، تأخر الالتئام 19 %، مخاطر الإصابات 22 %، مخاطر الفشل التنفسي 18 %، فقدان الاتزان والتحكم 25 %.....)

أسارع بتجميع النقاط، يجب ألا يتجاوز الرقم السبعين كحد أقصى.. لكن يبدو أنني تجاوزته بكثير.. لم أعد أستمع لما يقول، لقد نذرت نفسي لهؤلاء، وها أنا قاب قوسين أو أدنى من الخروج من كل شيء..

-(المجموع سيد (مصعب) 104.. أي أنك متجاوزٌ للحد الأقصى بأربعة وأربعين درجة) سكت برهة.. (آسف.. أنت تعرف القواعد... أنت الآن خارج اللعبة تماماً)،

مشاعر مختلطة من الذعر، ثم الخوف، وشيء من اليأس، هل يعقل بعد كل هذا التعب.. خمس سنوات من الحمية الغذائية الصارمة، والتمارين الشاقة لساعات طويلة كل يوم.. هكذا أضحيت لا أصلح لهم!..

-من فضلك دكتور.. لا بد أن تفعل شيئاً.. أعتقد.. بل أكاد أجزم أنني أستطيع تحسين أرقامي في المرة القادمة.. دعني أتمرن أكثر وأعدك..

-(أنا آسف سيد مصعب)... (أنت تعرف القواعد أكثر مني.. أنت تحفظها أليس كذلك؟)

-نعم ولكني أستحق فرصة إضافية.

قاطعني وكأنما أسلوبه تغيَّر بفعل فاعل!

-أنت تعرف القواعد سيد مصعب.. مجتمعنا الحديث لا يستطيع تحمّل تكاليف تدريبك من جديد، فضلاً عن أن مشاكلك وراثية لا يمكن حلها فقط بالتدريب، بل قد تحتاج علاجاً (جينياً) وهذه أمور مكلفة.

-لكنني بذلت المستحيل.. تخليت عن كل شيء.. عن أهلي.. عن أصدقائي.. عن متع حياتي.. وظيفتي..

لم يعد ينظر نحوي... لكنه ما فتئ يردد (أنا آسف سيد مصعب..أنت تعرف القواعد..).

على حين غرّة فتح الباب على مصراعيه، ليدخل رجلا أمن آليان، تكاد تحس بملمس عضلاتهما الفولاذية، ليمسكاني من كلتا يدي، ويثبتاني على السرير، رغم المقاومة والصراخ.

-(لا تقلق سيد مصعب.. كلها دقيقة واحدة وأحقنك بهذا السائل الأزرق.. لتنسى كل شيء من تلك السنوات الخمس، وتعود كما كنت..)

هكذا.. ببساطة تمحى خمس سنوات شاقة من حياتي، بحقنة، أنسى كل التعب والسهر والألم..

-(أرجوك.. دكتور... كل ما أطلبه فرصة واحدة... أرجوك.. ألا تملك قلباً؟)

لا ينظر نحوي، بل يستمر في تجهيز حقنة السائل الأزرق المريع، (أرجوك... انظر نحوي... أرجوك... من أنت؟)

فجأة يترك كل شيء وينظر نحوي ببرود: (الدكتور حمد.. رقمي التسلسلي -56087ط29-، إنتاج مصانع القمر المتقدمة، الوادي الصناعي العشرين، الظهران، المملكة العربية السعودية).

قراءة علمية في تشخيص واقع العبقرية



طارق راشد: الإمارات

أثناء كلمته التي ألقاها بالمكتبة الوطنية عام 2003، أي قبل وفاته بعام واحد، استدعى جاك دريدا (كلمة واهية لا يعترف أحد في أيامنا هذه بالتمسك بها)، حيث قال: (كلمة العبقري.. تجعلنا نرتبك)، مضيفاً: (وبحسب أدنى قدر من الشرعية التي تمتلكها كلمة (عبقري)، فكأن المرء يوقع على استقالته من جميع المجالات المعرفية إن أقرّ بها).

أياً كان رأيك في دريدا -سواء أكنت تعتبره فيلسوفاً عظيماً أم دجالاً- فلا مراء أنه كان محللاً دقيقاً للغة الأكاديميين. وقد كان لديه رأي سديد فيما يتعلق بالمستقبل الأكاديمي الحالي للعبقرية. فالعبقرية تجعلنا نرتبك حقاً. وعندما نبحث المفهوم أصلاً، نميل إلى إنكاره أو تفكيكه أو تفسيره على مضض باعتباره (أيديولوجية خاصة بالعباقرة).





بين البشر الحداثيين المتحضرين صار إجلال العبقرية بديلاً للعقائد الدوغماتية الماضية المفقودة

من الواضح أن عباقرة الماضي رابضون على قواعدهم كي يتسنى لنا أن نجرهم إلى القاع ونفت في عضدهم. أشارت آن دونلي Ann Donnelly أمينة متحف Shakespeare Birthplace Trust سابقاً إلى أن: (الناس يعشقون اختلاق أسباب للزعم بأن شكسبير لم يكن عبقرياً). والعلماء أدنى إلى السخرية من المبدأ بالمرة، فهم أبعد ما يكونون عن الإطراء والثناء على العباقرة.

ويمكننا أن نستشف شيئاً من هذا الإنكار والتأفف في قاعات الأقسام، حيث أعلنت مؤسسة ماك آرثر منذ عدة أسابيع عن الزملاء (العباقرة) السنويين. ورغم أن المؤسسة تتفادى استخدام هذه الكلمة، فإن وسائل الإعلام الإخبارية تتباهى بها رامية إلى نتائج متوقعة. ويتفاخر رؤساء الجامعات بـ(العباقرة) الذين يحيطون بهم، والناشرون يتملقونهم، ورواتبهم تتضخم (وكذلك غرورهم). وفي تلك الأثناء، نجد الزملاء الذين تأكلهم نار الغيرة يتحدثون عن (العباقرة) الجدد باقتباسات مرعبة، ساخرين من أن الكلمة لا تستخدم سوى في سياق المفارقة، إن استخدمت أصلاً.

لم يكن الحال هكذا دوماً. فطوال القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين تقريباً، انشغل علماء محسوبون على مجموعة كبيرة من المجالات في العلوم الطبيعية والإنسانية بدراسة العبقرية والعباقرة، والاحتفاء بها.

وبالنظر إلى جهودهم، يمكننا فهم علة هجران الأبحاث في هذا المجال فهماً أفضل، واستخلاص معلومات متعمقة من مفارقة عصرنا الديموقراطي: انتهت فكرة العبقري كرمز، ولو أن العباقرة تتضاعف أعدادهم في الثقافة الشعبية. فبينما نجد مدربي كرة القدم ونجوم موسيقى الروك ومصممي الأزياء ينعمون بلقب (العبقري)، مازال العلماء يلقون بظلال الشك على أبطال الفكر.

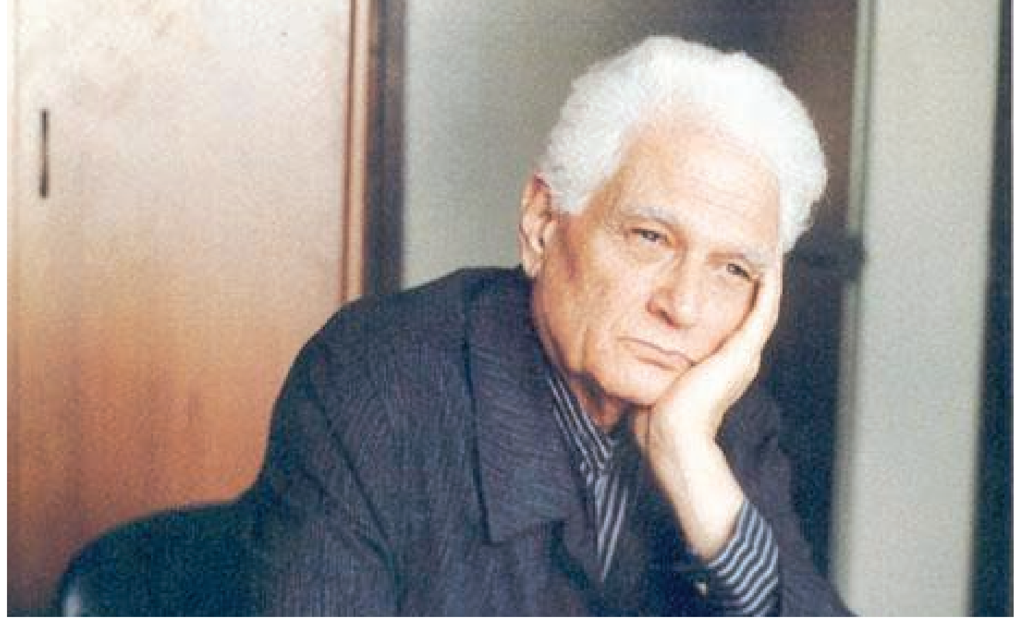
هل سنندم يوماً على قتل العبقرية؟ هل سنسأم مما يبدو أنه احتل مكانته، ويراد المفكر المشهور كرديدا، والمعروف بشهرته وحسب لا بما أنجزه أو قاله؟

إن الثقافة التي تنبطح أمام الأوثان تقلل من شأن نفسها، لكن الذين لا يستطيعون أن يقيموا وزناً للقامات الحقيقة يحقرون من شأن أنفسهم. وفي عصر يشكك في العظمة كعصرنا، ربما أن الوقت قد حان للإقرار بأنه رغم كل ما كانت طائفة العباقرة تتحلى به من غرابة، فقد احتفظت لنفسها برونق مثير للإعجاب في مواجهة الإمكانات البشرية، ونقلت إحساساً مبهجاً بالهيبة لكونهم أحياء في هذا العالم ومتجاوزين له. ولكن تخلينا عن العجب والانبهار له ثمن.

لم يرد ذكر للعباقرة، استناداً إلى معنى الكلمة في العصر الحديث، سوى منذ عصر التنوير. وكان نيوتن مثالاً جديداً إلى جوار بنجامين فرانكلين وجوته ونابوليون. وفي هذه الفترة أيضاً، (اكتُشفت) عبقرية شكسبير وهومر واحتفي بهما، واعتبرا رمزين للإبداع والأصالة والخيال والاستبصار.

والسؤال المثير الذي يطرح نفسه هو: لماذا ظهرت فكرة العبقرية في القرن الثامن عشر الميلادي كنموذج على أعلى درجات البشر؟ اقترح العلماء عدداً من التفاسير التي تراوحت ما بين نشأة الرأسمالية والأفكار الجديدة للمذهب الجمالي والقراءات الجديدة للمؤلف والذات.

وثمة سياق آخر وثيق الصلة، ومدهش إلى حد ما، ألا وهو الإيمان بمساواة البشر، وهي الفكرة التي خلقت ستاراً للفروق الطبيعية التي تميز البشر. وفي المجتمعات التي نراها كثيراً ما تتردد في معاملة نبلاء المولد كأساس شرعي لتأسيس البنى الهرمية الاجتماعية، لعب الذكاء والإبداع دور المعايير الجديدة لتبرير التميز البشري، بينما استُبعد العبقري باعتباره عضواً فيما يطلق عليه المعاصرون (بمن فيهم توماس جيفرسون) طبقة (الأرستقراطية الطبيعية). ماذا كانت تحديداً الخصال التي ميزت هؤلاء الرجال الاستثنائيين؟ (فقد كانت العبقرية حكراً على الذكور في



بداية الأمر). كان هذا السؤال في صدر الاستقصاءات الأولى في ماهية العبقرية، وظل حافزاً ودافعاً للأبحاث في هذا المجال حتى القرن العشرين.

وكان الأدباء هم أول من تعاطى مع الأمر. ففي أوائل عام 1711، طرح الناقد البريطاني جوزيف أديسون Joseph Adison على صفحات مجلته London Spectator السؤال التالي: (من هو العبقري العظيم حقاً؟).

وخلال القرن الثامن عشر، حاول المعلقون في شتى أرجاء أوروبا الإجابة عن هذا السؤال، فأنتجوا أدبيات ضخمة ناقشت خصال العبقري على أسس جمالية وفلسفية. ولقد عَظَّمَ صعود نجم نزعة الرومانسية في القرن التاسع عشر من نطاق التخمينات، بينما أزاحت الستار، على حد قول إسحاق دزرائيلي Isaac D'Israeli والد رئيس الوزراء البريطاني؛ عن الشخصية الأدبية للعباقرة (1828)، حيث سلطت الضوء على الخصال الغريبة والعادات والسمات التي ميزت تلك الشخصيات عن غيرها.

والتمس النقاش الأدبي والفلسفي عوناً من العلم. فإذا لم تكن العبقرية تبعة للامتزاج الإلهي -نفخة الروح المقدسة أو الإله- فلا بد أن لها مكاناً في البدن أو الروح. هل كانت العبقرية معتمدة على نبل الأصل والمناخ المناسب، بحسب اعتقاد البعض؟ أم كان (توافقاً محدداً بين الرأس والأحشاء) بحسب استنباط الفيلسوف الفرنسي ديدرو؟

كانت هذه الإمكانات كلها محل بحث في القرن العشرين، فقد حاول علماء الفراسة استبيان العبقرية في تجاعيد الوجه، وبحث عنها علماء فراسة الدماغ في نتوءات الرأس، أما خبراء قياس القحف الدماغي فحاولوا فهم العبقرية بفرجارهم، وفي مدن كجوتنجن وباريس، جمع الباحثون قطعاً كبيرة من الأمخاخ والجماجم ودعوا أحد الفرنسيين الشكاكين إلى ملاحظة أنه إذا كان الحجم وحده يعد عاملاً محدداً للذكاء، لكان الحوت سيدنا أجمعين.

وبأفول نجم علم قياس القحف، صعد نجم علوم أخرى.

فقد سعى علماء النفس والأطباء البشريين إلى تفسير متعلق بأسباب الأمراض للعلاقة المؤكدة عادة بين العبقرية والجنون. ففي (سجلات الأمراض) الموسعة أو تواريخ حالات عقول المشاهير، بحث العلماء عن روابط بين العباقرة والمرض العقلي والجريمة.

وفي الوقت نفسه، بحث العلماء المتخصصون في أمراض المخ عن سبل دماغية للعبقرية من معاقل مؤسسية كبرى مثل معهد كايزر فيلهلم لأبحاث المخ Kaiser Wilhelm Institute of Brain Research في برلين، ومعهد أبحاث المخ في موسكو الذي تأسس إثر وفاة لينين بفترة وجيزة، وتحديداً عام 1924 كجزء من جهود بيان ما أطلق عليه أحد المسؤولين السوفييت (الركيزة المادية) للعبقرية الثورية.

في تلك الأثناء، استثمر اختصاصيو تحسين النسل وعلماء النفس الأساس الذي وضعه فرانسيس جالتون Francis Galton في دراسته الواعدة عام 1869 تحت عنوان (العبقرية الوراثية)، وحاولوا تصنيع أدوات لتحديد العبقرية فيما بين الأجناس المختلفة. وبخاصة في بداية تطوير فكرة (حاصل الذكاء) (IQ) في أوائل القرن العشرين بالتزامن مع نظرية العالم النفساني البريطاني تشارلز سبيرمان Charles Spearman عن العامل العام الكامن (أو الخلقي) للذكاء (العامل G). راود علماء الموروثات حلم البحث عن العبقرية على نطاق واسع مع استبعاد مَن لا تنطبق عليهم المواصفات. بدت المسألة محورية للرخاء البشري. وكما أكد لويس تيرمان Lewis Terman العالم النفساني الأمريكي ومساعد جالتون الذي كان له دور محوري في تهيئة اختبار (حاصل الذكاء) لتعميم استخدامه على نطاق واسع في عام 1925: (غني عن القول إن موارد شعب ما من الموهبة الفكرية من بين أكثر الموارد حيثية على الإطلاق. إن أصل العبقرية والقوانين الطبيعية لتطورها والآثار البيئية التي ربما تتأثر بها سلباً

كيف اختفت العبقرية كموضوع من موضوعات الأبحاث الأكاديمية بينما تفشت كمجاز في الثقافة الشعبية

أو إيجاباً مسائل علمية لا تقل أهمية تقريباً عن الرخاء البشري).

تأثر المؤرخون أيضاً وعلماء الاجتماع ووجدوا في أنفسهم الحافز لدراسة أصول العبقرية. في حالات عدة، كان إنتاجهم قد تجاوز بقليل تأليه الأبطال. لكن ثمة بعض الأصوات المنشقة استشفت تطوراً مثيراً للقلق- وهو ما أسماه المؤرخ النمساوي إدجار زيلسيل **Edgar Zilsel** في كتاب رائع له عام 1918 (عقيدة العبقرية).

حاجج إدجار بأن عبادة العبقرية حلت محل التنويعات الأكثر تقليدية للعبادة العقائدية، حيث خلع سلطات أعلى على اختيار الطبيعة ورعايتها لنوع من (إدمان الخلاص) بين الذين يشتاقون للقيادة المُخَلِّصَة للرجال الاستثنائيين. كان ثمة شيء ينذر بالخطر حيال العقيدة الحديثة. في تحليل نافذ البصيرة نُشر في برلين عام 1931، كتب المُنَظِّر القانوني هرمان هيلر **Hermann Heller**: (عقيدة العبقرية السياسية يجب بضرورة الحال أن تكون عقيدة عنف).

وأياً كانت تحفظات نقاد أمثال زيلسيل وهيلر، فقد كانوا أقلية. ولقد لخص الأخصائي النفساني وخبير تسجيل الأمراض فيلهلم لانغ-أيشباوم **Wilhelm Lange-Eichbaum** الموقف في كتاب صغير نشر أيضاً عام 1931 تحت عنوان (معضلة العبقرية). وقال فيه: (بين البشر الحداثيين المتحضرين، صار إجلال العبقرية بديلاً للعقائد الدوغماتية الماضية المفقودة). وجد لانغ-أيشباوم الموقف مثيراً للقلق، مضيفاً أن (فكرة... أن العبقرية لها قدسية خاصة منتشرة على نطاق واسع في العالم الحديث).

ورغم أن المؤرخين نزعوا إلى تجاهل هذه الحقيقة، فلا شك أن هذا الإجلال والقدسية المتشحة بها العبقرية يعد عاملاً في صعود نجم هتلر الذي قدم نفسه ببراعة ووعي كامل باعتباره عبقرياً، وهي كلمة مجازية وردت في الدعاية النازية من البداية. وزعم جوزيف جوبيل **Joseph Goebbels** أنه علم منذ أول لقاء له مع هتلر أنه كان (عبقرياً وأداة إبداعية طبيعية للقدر) من شأنها تشكيل واقع ومستقبل الشعب الألماني وتحويله إلى تحفة سياسية- فنية. يقول جوبيلز في روايته **Michael** التي نشرت أول مرة في عشرينات القرن العشرين: (الشعب للسياسي كالحجر للمَثَّال. والعباقرة يستغلون العامة. هذا هو واقع الأمور).

تلقي العلاقات التي تربط النازيين وعلم تحسين النسل بالعبقرية؛ بظلال التزييف على الدراسة الأكاديمية للعبقرية، لكن هناك قوى ساعدت على نزع الشرعية الأكاديمية عن العبقرية. ولعل الأهم على الإطلاق الإقرار المتفشي الذي لا يفتأ يزداد انتشاراً بالأسس الاجتماعية للعمل والتي تمثل قاعدة لفكرة المبتكر الأوحد البطولي. لقد كان ماركس بسخريته مما أطلق عليه ممارسة (الانحناء لنبلاء وحكماء الطبيعة)؛ أول من اقترح هذه الفكرة المتعمقة. وتطورت لاحقاً في الدوائر الأكاديمية،

تشارلز سبيرمان: كل رجل وامرأة وطفل عادي عبقري في شيء ما





حيث انتقد طلاب ماركس طائفة العباقرة باعتبارها وليدة أيديولوجية برجوازية.

ومن المفارقة أن الكثير من الرأسماليين كانوا على وشك الوصول إلى نتيجة مثيلة. وكما قال مدير شركة آرثر د. ليتل Arthur D. Little للأعمال الاستشارية: (لا تعول الأبحاث المنظمة على العبقرية الفردية، فهي نشاط جماعي... لا يتطلب وجود البشر الخارقين للعادة). اكتسب هذا المنظور جمهوراً عريضاً بالتزامن مع توسع رقعة البحث والتطوير الصناعيين. ولقد استوعبت العجائب الحديثة مثل (مصنع الأفكار) بمعامل بيل Bell Laboratories التي وظفت في أوجها قرابة 1200 من حملة الدكتوراه الفكرة بسلسلة من الابتكارات المذهلة وجوائز نوبل. وكانت الفكرة واضحة: التفكير الجماعي أفضل من الفردي.

وسجل العلماء التطور مقللين من شأن أسطورة العبقرية الفردية. ومع ذلك، اعتبر البعض أينشتاين استثناءً -فهو عبقري العباقرة وربما آخر العظماء- لكن كلمة (عبقري) سقطت من نظر العلماء إثر الحرب العالمية الثانية، حيث عُومل استخدامها كسَقطة مهنية واجتماعية.

وانطبق ذلك إلى حد كبير على العلوم الإنسانية والاجتماعية أيضاً. ففي الثمانينات، انصب تركيز المتخصصات في الدراسات النسوية من أمثال جوليا كريستيفا Julia Kristeva على التحيزات الجنسية التي كانت سمة ملازمة للتركيز الشديد جداً على العبقرية (الذكورية)، وطائفة الرجال العظماء.

ويكشف المؤرخون العلميون مستعينين بالدلائل التي أوردها ستيفن جاي جولد Stephen Jay Gould في كتابه الرائع Mismeasure of Men؛ كيف أن الأبحاث التي تتعاطى مع الذكاء تشكلت استناداً إلى فرضيات عن التفوق الخلقي للذكور ذوي البشرة البيضاء الذي ينحدرون من سلالات أوروبية.

وفي اللحظة التي ألقى فيها الرجال بيض البشرة الأموات من جميع الأطياف ظلال الشك المستند إلى معرفة واسعة، بدا العباقرة أكثر مواتاً وبياضاً من أغلبهم. وبينما ما زال علماء النفس المخضرمون أمثال دين كيث سايمنتون Dean Keith Simonton من جامعة كاليفورنيا بمدينة ديفيز؛ يدرسون «العبقرية» بوصفها هذا؛ نجد العلماء كثيراً ما يركزون على الإبداع أو الموهبة أو الذكاء.

وعليه رسخ الموقف الذي حدده دريدا -الذي يفيد بأن استدعاء العبقرية يستتبع التخلي عن المصداقية الفكرية- في الفكر الأكاديمي. وفقدت العبقرية بريقها. لكن شيئاً غريباً حدث، وهي في طريقها إلى مثواها الأخير. فبينما عكف العلماء على تلاوة الطقوس الأخيرة للمخلوق الأسمى الذي حقروا من شأنه وأنزلوه منزلة الفانين، بُعثَت فكرة العبقرية من جديد في المخيلة الشعبية كرجل- وامرأة- من الشعب.

متى حدث ذلك وكيف؟ لهو قصة أخرى. لطالما تحدث الأوروبيون والأمريكيون عن العبقرية لا باعتبارها قوة

العبقرية تجعلنا نرتبك حقاً.. وعندما نبحث المفهوم نميل إلى تفسيره على مضض باعتباره أيديولوجية خاصة بالعباقرة



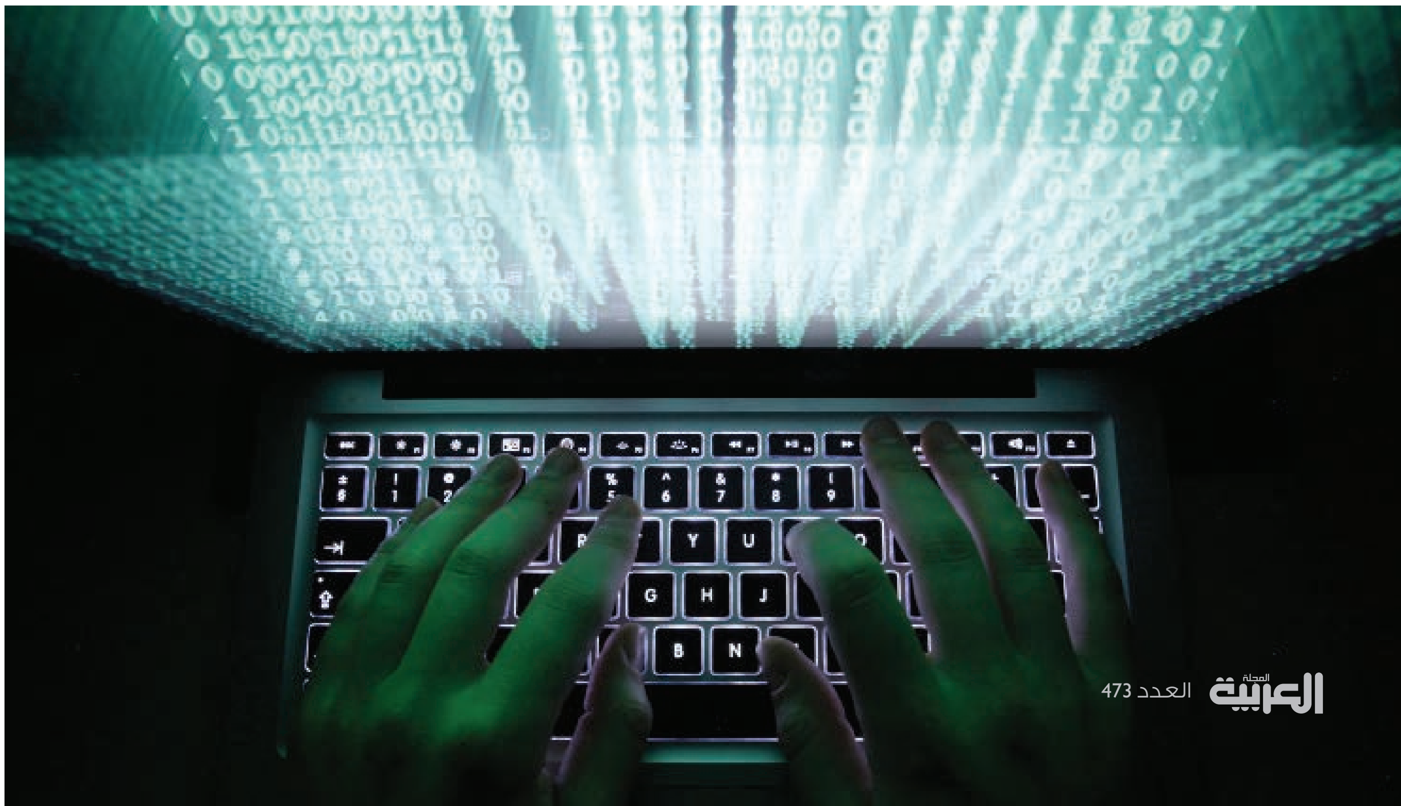
نادرة الوجود، بل موهبة أو نزعة متفردة. فلكل إنسان قدرة خاصة أو عبقرية مميزة له، أو خصلة تساعد على تحديد شخصيته. ولقد اتسق هذا الاعتقاد اتساقاً أفضل مع أفكار الديموقراطية والمساواة من تفسير العبقرية على اعتبار أنها استثناء من الخالق، وفي القرن العشرين بدأت الفكرة تتجلى في أماكن مدهشة وغير متوقعة. حتى أكبر مؤيد للنظرية الوراثية والمُنَظِّر صاحب نظرية (العامل G) السائدة تشارلز سبيرمان؛ لاحظ أن (كل رجل وامرأة وطفل عادي... عبقري في شيء ما). وورد في قصة إخبارية نشرت في مجلة Newsweek عام 1993 أنه (بالنظر إلى مئات الآلاف من الإشارات المرجعية الصحافية إلى (العباقرة) كل شهر، يستشعر المرء أنهم غمرونا).

إننا «نعيش في عصر العباقرة» بحسب تصريح مجلة إسكواير Esquire في نهاية (إصدار العباقرة) الخاص الذي نشرته احتفالاً بنهاية الألفية. ومن بين الذين استمتعوا بـ15 دقيقة من العبقرية: مصمم الأزياء توم فورد Tom Ford، وجيف بيزوس Jeff Bezos مؤسس موقع Amazon.com، ومطربة برودواي أودرا ماكدونالد Audra McDonald، ونجم كرة السلة ألين إيرفسون Allen Iverson، والممثل ليوناردو دي كابريو.

ومؤخراً، خصّصت صحيفة Die Zeit الألمانية عدداً خاصاً لـ«العباقرة الذين غيروا حياتنا»، حيث وضعت تصوراً لنماذج مجسدة معاصرة مثل هاوارد شالتس Howard Schultz المدير التنفيذي لسلسلة محلات ستارباكس، ومارك زوكربرغ Mark Zuckerberg مؤسس موقع فيسبوك، وميوشيا برادا Miuccia Prada المصمم الإيطالي الشهير، وإنفجار كامبراد Ingvar Kamprad مؤسس سلسلة محلات أيكيا Ikea، وبالطبع ستيف جوبز Steve Jobs الذي احتفي به إبان وفاته عام 2011 باعتباره عبقرياً.

وقد شقت العبقرية طريقها إلى عالم الأطفال حيث ظهرت مقاطع مرئية بعنوان أينشتاين الصغير Baby Einstein وموتسارت الصغير Baby Mozart، وكذلك إلى عالم كتب المساعدة الذاتية مثل (كيف تفكر مثل ليوناردو دافينشي) (سبع خطوات وصولاً إلى العبقرية كل يوم) و(أشعل فتيل العبقرية داخلك). وهي الأعمال التي تَعِد بالعبقرية للجميع. وبعد أن كانت العبقرية هي الاستثناء، أمست القاعدة.

يمثل التوسع في مفهوم العبقرية وصبغه بصبغة ديموقراطية- وهو ما وصفه مارخوري جاربر Marjorie Garber من جامعة هارفارد بـ(معضلة العبقرية)- جزئياً الخلط ما بين العبقرية والشهرة، (وهي فكرة أخرى ظهرت في القرن الثامن عشر). لكنه يمثل أيضاً انتصاراً متأخراً للمساواة بين البشر، وهي الستار الجدلي للعبقرية الذي دام طويلاً، انتصاراً ساهم بقدر أكبر في الإطاحة بالعبقرية من مكانتها المرموقة من أي عمل أكاديمي. تحتوي مجموعة حديثة من المقالات نشرتها مجلة Times تحت عنوان (أسرار العبقرية: اكتشاف طبيعة العبقرية) على غلافها صورة لا لأينشتاين وشكسبير وحسب، بل وإلى جوارهما سيرينا وليامز Serena Williams بطلة التنس الأمريكية



ذات الأصول الأمريكية. وتتضمن المجموعة مقالات عن أطفال آسيويين عباقرة وعالمات متخصصات في الوراثيات وشخصيات عجيبة تمثل البشرية كلها بكل ما فيها من تنوع. على الأقل في الثقافة الشعبية يُنظر للعبقرية الآن من منظورات وأبعاد مختلفة. وبينما أقدم الأكاديميون أيضاً على محاولات لصبغ فئة العباقرة بصبغة ديموقراطية وشعبية، لم تكن جهودهم خالصة أو ناجحة بقدر ما كانت محاولة تدمير العبقرية كلياً.

بالطبع ليست هذه هي المرة الأولى التي يشتاق فيها المجتمع الأكاديمي والعالم إلى بعضهما بعضاً، ولعل شهرة فكرة العبقرية في الثقافة الإعلامية المهووسة بالمشاهير تضخ المزيد من الاحتقار الفكري تجاه الفئة التي فقدت مغزاها بسبب اتساع رقعة تطبيقها وسوء استغلالها. فإذا كان كل إنسان يستطيع أن يكون عبقرياً، فما مغزى العبقرية إذن؟

لكن حقيقة أن العبقرية اختفت إلى حد كبير كموضوع من موضوعات الأبحاث الأكاديمية بينما تفشت كمجاز في الثقافة الشعبية، يشير إلى علاقة كامنة. وفي عالم معقد ومتداخل يميل بطبيعته إلى إحباط الفعل الفردي، فإن التشديد على إنجازات الأفراد يبعث على الطمأنينة، ولو أنه غريب بعض الشيء أيضاً. وهكذا يتضاعف عدد العباقرة في وسائل الإعلام بينما يفنى فناءً يبعث على الخزي في المجتمع الأكاديمي.

إن الذين لديهم نزعة تاريخية يؤمنون بأنه عندما يفنى موضوع ما ويذوي يصبح من المثير والممتع التدبر فيه. وفي هذا المنطلق، لنبحث محاجة هارولد بلوم **Harold Bloom** في كتابه المخالف لرأي الجمهور تحت عنوان (العبقرية: نسيج بديع من مئة عقلية إبداعية نموذجية) **Genius: A Mosaic of One Hundred Exemplary Creative Minds (Warner، 2002)** والتي يفترض فيها أن العبقرية فكرة لا نستطيع العيش بدونها. ويضيف قائلاً: (إننا بحاجة إلى العباقرة مهما شعرنا بالحسد أو الانزعاج من وجودهم. وميلنا إلى كل ما هو فائق واستثنائي يبدو جزءاً من تراثنا المشترك، ولا تتخلى عنا فكرة العبقرية سوى ببطء لكنها لا تتركنا قط كلياً).

إن استخدامه إلى صيغة المتكلم الجمعية هي إشارة إلى ذاته و(الجمهور) لا إلى العلماء في المقام الأول الذين صاروا، بحسب بلوم، (أنصاراً للمساواة الثقافية) ممن لديهم مناعة من الهيبة. ومع ذلك، فإن النقطة التي يشرحها بلوم مثيرة للانتباه، وبخاصة لأن دريدا، في خطابه الذي ألقاه عام 2003 في المكتبة الوطنية، بدا متفقاً معه جداً لدرجة أنه غامر واستخدم وصف (العبقري) إشارة إلى الروائية الفرنسية النسوية هيلينا سيكسوس **Hélène Cixous** التي أثنى على أعمالها احتفاءً بإهدائها أوراقها إلى المكتبة الوطنية الفرنسية.

العبقرية نفسها هبة بحسب دريدا، هبة قد تعيش لتعطي مجدداً، لكنها يجب أن تُخَلِّص نفسها أولاً من ماضيها (خصوصاً من علاقاتها المرتكزة على الجنس بشدة). وإذ طرح دريدا السؤال التالي (ماذا سيحل بالعبقرية؟)، فقد تخيل أنها قد تحتل مكانة (تجعلها تقلب الموازين) وتستدعي الهيبة.

عندما يلتقي نقاد معارضون على شاكلة بلوم ودريدا عند نقطة واحدة، فلا مفر من الإنصات. هل نحن بحاجة حقاً إلى شكل محدد من العبقرية؟ وصفت كريستيفا العبقرية بأنها (اختراع علاجي يحول دون احتضارنا بسبب المساواة في عالم لا يحمل لنا مستقبلاً).

لم نتنكر جميعاً إلى الظن بأن ثمة حياة أخرى، وثمة عدد أقل بكثير في المجتمع الأكاديمي يهابون التبعات القاتلة للمساواة المبالغ فيها. ومع ذلك، فإن أغلب العلماء يرفضون الإيمان بأن ثمة عبقرية في كل إنسان. وإذا حثنا ذلك على التفكير فيما إذا كان الشك الممتد لفترة طويلة في (النخبة) الفكرية وفي فكرة (العَظَمَة) -وإيجازاً في (العبقرية)- حقق الغرض المراد منه وجرى مجراه الطبيعي، أليس هذا الشك، في نهاية المطاف، يخالف هويتنا وما نقوم به في هذه المؤسسات النخبوية، أي الجامعات الأمريكية الحديثة؟ ألا ينبغي أن نكون على استعداد للانحناء من آن لآخر امتناناً وتقديراً للهبات العجيبة التي يقدمها لنا العباقرة؟ يتساءل دارين م. ماكماهون أستاذ التاريخ بجامعة ولاية فلوريدا الأمريكية. ويضيف: لا يبقى لدينا سوى الثناء المحفوف بالنفاق على (التميز) (يا لسوء الاستخدام الذي تعرضت له هذه الكلمة أيضاً)، وشكل من أشكال الشهرة الفكرية التي لا تنفصل كثيراً عن عبقرية الثقافة الشعبية. كوكبة من النجوم، عالم من الموضة، صعود وهبوط للميول والتوجهات، مجموعة جديدة من أتباع ماك آرثر.

ويتابع ماكماهون بقوله: (لا أحد يستطيع أن يقلل من شأن هؤلاء، لكن لا شك أنه يستحيل أن يوجد هذا العدد الكبير من العباقرة في عام واحد، وبالتأكيد ليس من المنطقي أن يقطن هذا العدد منهم في الولايات المتحدة الأمريكية. في عالم ليس فيه تقدير حقيقي للعبقرية، هذا هو منتهى ما يمكن أن نحصل عليه- درجة امتياز من واحدة من اللجان وتحكيم أعمى للقدرات. ولا يفارق ذلك إحساس مؤرق بالحنين إلى الماضي، إلى عالم يحمل في طياته المزيد من العجب والدهشة).



الشيخ عبدالعزيز البشري

من الأدب الساخر إلى النقد الأدبي

د. يسري عبدالغني عبدالله: مصر



عبدالعزيز البشري (1886 - 1943)، كان مولده بالقاهرة، نشأ بها في رعاية والده الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر، وتعلم التعليم الديني بالأزهر، وعندما تخرج فيه سنة 1911 اشتغل بوزارة الأوقاف، ثم بوزارة المعارف (التربية والتعليم حالياً)، ثم تقلب في وظائف القضاء الشرعي، وبقي بها مدة انتقل بعدها إلى وظيفة وكيل إدارة المطبوعات، ثم إلى منصب المراقب العام بمجمع اللغة العربية (مجمع الخالدين) بالقاهرة.

جمع البشري بين الثقافة العربية الإسلامية والأدب، واستطاع في أثناء دراسته بالأزهر أن يشبع ميوله الأدبية بالقراءة المتذوقة، والاطلاع الواسع في مكتبة والده العامرة بكثير من ذخائر اللغة والأدب، ودواوين الشعر، وكانت كتب الجاحظ أحب إلى نفسه، وأبلغ أثراً في ثقافته وأسلوبه الأدبي.



عاش البشري في عصر عمالقة الثقافة العربية من أمثال شوقي وحافظ والعقاد والمازني وشكري والرافعي وزكي مبارك وطه حسين

لقد اشتهر البشري بحلاوة العشرة، ودماثة الخلق، وخفة الروح، واتسمت كتابته بالسخرية العذبة التي لا تثير غضباً، ولا تؤثر على صلة، بل تثير البسمة، وتبعث البهجة وجمعت مقالاته في ثلاثة كتب هي: «المختار» وفيه طائفة من البحوث الأدبية، والتراجم لبعض أدباء عصره ممن اتصل بهم، وأفانين أخرى من الأفاكيه والدعابات. والكتاب الثاني هو «قطوف»، ويقع في جزأين، ويتناول بعض الدراسات العربية الإسلامية، والنظرات الاجتماعية التي تعالج آلام الناس ومشاغلهم ومتاعبهم، وتفصح عن آمالهم، وتنتقض العادات غير السليمة التي تعرقل نمو المجتمع وتقدمه، أما الكتاب الثالث فهو «في المرآة» ويتناول تصويراً لمجموعة من الشخصيات التي عرفها البشري واقترب منها، ويقوم بتحليلها بأسلوب كاريكاتوري جذاب.

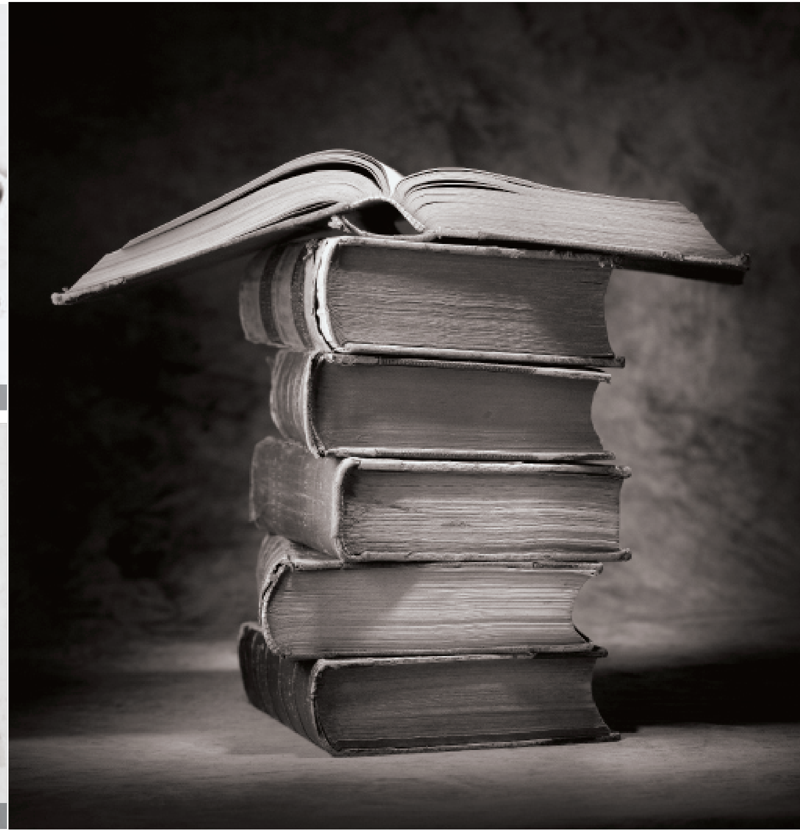
والجدير بالذكر أن البشري لم يقم بتأليف الكتب باستثناء كتابين مدرسيين ألفهما استجابة لوزارة المعارف المصرية «التربية والتعليم حالياً» في التربية الوطنية، وفي تاريخ الأدب المعاصر، ونقصد كتابي «المفصل» و«المنتخب»، ورغم أنه لم يؤلف كتباً إلا أنه اتخذ المقال متنفساً لخواطره، فكتب المقالة الاجتماعية والنقدية والوصفية، حتى قرن أغلب البحاثة أسلوبه بأسلوب الجاحظ.

البشري إذن علم من أعلام الثقافة العربية، عاش في عصر العمالقة، من أمثال: أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وعباس محمود العقاد، وعبدالقادر المازني، وعبدالرحمن شكري، والرافعي، وزكي مبارك، وطه حسين، وغيرهم من أصحاب المواهب الفذة، الذين أثروا وأناروا حياة الأمة وعايشوا المجتمع بوجدانهم ومشاعرهم الراقية الصادقة.

أقول: في هذا العصر الزاهر المشرق عاش الشيخ عبدالعزيز البشري أديباً مرموقاً، كان لأدبه مذاق خاص في انتقاء الكلمة، وسلاسة العبارة، فقد كان يصور ما يراه، وما يحسه في دقة وإبداع.

لعلك تكون معي إذا رأيت أن لأدب البشري ميزة خاصة تميزه عن سواه، لأنه كان خفيف الظل مرحاً، فكهاً، يمزج أدبه بالفكاهة الراقية، ولذا فإنه قد انفرد بروح أدبية بديعة نراها في كل ما كتب في الصحافة الأدبية، وفي كل ما جادت به موهبته، كما كان يقدم الأحاديث الرائعة الجذابة في الإذاعة المصرية يوجه بها المجتمع، ويرشده إلى طريق النماء والتقدم والازدهار.

تحدث عنه طه حسين فقال مبيناً ذكرياته معه: كان عبدالعزيز البشري يزورني في الغرفة التي كنا نعيش فيها في ربع بيت كبير يضم العديد من الغرف الصغيرة يسكن معظمها طلاب الأزهر من ربوع خان الخليلي «في القاهرة القديمة»، وكنا نلتقي فيها حين نتفرق عن دروس الفقه، وحين يرتفع الضحى، لنقرأ بعض كتب الأصول أو بعض كتب البلاغة، وكان عبدالعزيز البشري يلهينا بدعابته وفكاهته عن جد البلاغة والأصول، وإني لا أراني مع عبدالعزيز وعلي عبدالرازق «شقيق مصطفى عبدالرازق المفكر والفيلسوف، وصاحب كتاب الإسلام وأصول الحكم»، في هذه الغرفة نفسها بعد أن نصلي العصر نقرأ كتاب «الكامل» للمبرد، ونحصل بهذه القراءة اللغة والأدب، وكان





طه حسين

أحمد شوقي



حافظ إبراهيم

عبدالرحمن شكري

عبدالعزيز يجلس معنا يمرح ويمزح ويتفكه بنوادره الطريفة ليسري عن أنفسنا عناء التعب والمشقة التي لاقيناها من القراءة في هذه الكتب العميقة المعنى، والبديعة الأسلوب.

وأحب أن أضيف هنا أن البشري تأثر بالعلامة الناقد الأديب الشيخ سيد المرصفي، مثله في ذلك مثل أحمد حسن الزيات وطه حسين، وغيرهما من أدباء جيلهما.

قال عنه محمد كرد علي: هو نسيج وحده في أسلوب الجد في الهزل، والهزل في الجد، ساعده على هذا الإبداع تمكنه من ناصية اللغة، وقدرته على ترويج الأدب إلى ما فطر عليه من ظرف شفاف، وهو كالجاحظ إذا عرضت له النكتة قالها لا يبالي، وإذا اقتضته الحال أن يتهكم يدخل السرور على قلب قارئه ويعلمه دون أن يشق عليه.

كان رجلنا يحب التنقل ومعايشة الأصحاب من كل الطبقات والفئات، فكنت تراه مصبحاً في هذا الحي من أحياء القاهرة القديمة في الأزهر، أو قريباً منه فإذا صليت الظهر رأيته في حي آخر من أحياء القاهرة قريباً من دار الكتب أو في قهوة من مقاهي حي باب الخلق التي كان يجلس عليها أهل الفن والأدب، أو في حي الأزبكية، فإذا صليت العشاء الأخيرة رأيته في حي آخر من أحياء القاهرة، تلقاه عند آل عبدالرازق في حي عابدين، وتلقاه عند غيرهم من ذوي المكانة والجاه، وقد تلقاه في قهوة من مقاهي الناصرية القريبة من حي السيدة زينب مع جماعة من الأدباء يتصدرهم حافظ إبراهيم.

لقد كتب عبدالعزيز البشري مجموعة مقالات في جريدة «السياسة الأسبوعية» تحت عنوان: «في المرآة» ثم جمعها في كتاب يحمل هذا العنوان، وتناول في هذه المقالات شخصيات مختلفة بالتصوير والتحليل، وهي في الغالب لأعلام المصريين في عصره، ومنهم سياسيون مثل: سعد زغلول، وعدلي يكن، وحافظ رمضان. وقادة فكر مثل: أحمد لطفي السيد. وأدباء مثل: حافظ إبراهيم، وأحمد شوقي.

ويقول البشري: إن الغاية التي يذهب إليها في هذه المقالات هي تحليل شخصية من الشخصيات المعروفة والمقدرة عند الناس، والتسلل إلى مداخل طبعها، ومعالجة ما يبدو من خلالها، وإعطاؤها للقارئ في صورة فكهة مستملحة، ويضيف إلى ذلك قائلاً: إن هذا النوع من البيان رويناه عن كتاب الغرب، وما فتئنا نقلدهم فيه تقليداً، على أن كتاب العرب من أمثال الجاحظ قد سبقوا إلى شيء من هذا التصوير البياني، إلا أنه لم يعدوا «يتجاوزوا» فيه هنات المرء، والصولة «الهجمة» عليها بألوان التندر والتطريف، أما التوسل بمظاهر خلال «صفات» المرء إلى مداخل نفسه، منازع طبعه، وإجراء هذا على أسلوب علمي وثيق، فذلك ما لم نقع عليه في منادراتهم ووجوه تظرفهم.

وخطة البشري في تصوير الشخصيات وتحليلها كخطة الرسام الكاريكاتوري، يعمد إلى الصفة البارزة في خلال المرء، فيزيد في وصفها بما يتهيأ له من فنون القول، ولا يتناول إلا أمراً يتصل بالشؤون العامة، على ألا يضيف إلى المرء ما ليس فيه، ولا يتدسس إلى مكارهه، ومستور هناته، حتى لا ينصرف الكلام إلى السخرية غير المحمودة به.

وها هو البشري يقول عن شوقي: (لو بعث الله الناس كلاماً، وما عدا «ما جاوز» أن يكون شوقي نفسه قطعة

اشتهر البشري بحلاوة العشرة ودماثة الخلق وخفة الروح.. واتسمت كتابته بالسخرية العذبة التي لا تثير غضباً

شعرية جميلة، نظمت في الحب والرحمة. دقيق الجرم، لطيف الحجم، متناسق الأعضاء، مستدير الوجه، لا تزال عليه أثارة «بقية» من ملاحة الصبا...).

وشوقي (إذا أقبل عليك يحدثك مالت حدقتاه عنك إلى ما على يمينك أو شمالك، أو ظلتا تضطربان بينهما، حتى لتحس أنه يوجه إلى غيرك الحديث، ولقد ينقطع عن المجلس، وهو فيه المرتين والثلاث، فلا يسمع ولا يرى ما يدور بين يديه، فإذا كان على هذه الحالة، ورأيت رأسه يختلج، وراح يهمس بالتناغيم «الدندنة بالغناء» يسلخها «يستلها بخفة» سلخاً، فإياك أن تقتحم عليه شأنه، فإنه إنما يتلقى وحي القريض «الشعر»).

ويقول البشري: إن شوقياً (خفيف الروح، رقيق النفس، نبيل الخلق واللسان، ترى فيه غبطة العصفور، وترى فيه وداعة الحمام، وهو كما قلت لك قطعة من الحب والرحمة، وإذا كان الحب ضعفاً، وإذا كانت الرحمة ضعفاً، فلا شك في أن «شوقي» أضعف الخلق أجمعين).

وشوقي عند البشري هو شوقي من يوم ما شدا بالشعر «أي منذ أول يوم قال فيه الشعر»، ومنذ أن تحرك لسانه ليقول آيات البيان، يدوي «يرددها» بها السهل والجبل.

أما شاعر النيل حافظ إبراهيم، فقد صوره البشري تصويراً دقيقاً، لأنه كان صديقاً حميماً له، ويقول عنه: إن حافظاً شاعر يحب الجمال، ويكره القبح، كان جهم الجسم، جهم الصوت، كأنما قد قُد من صخرة في فلاة موحشة، وكان خفيف الظل عذب الروح، حلو الحديث، حاضر البديهة، رائع النكتة، بديع المحاضرة، إذا كتب لك يوماً أن تشهد مجلسه، أخذك عن نفسك حتى ليخيل إليك أنك في بستان تعطف جداوله، وهتفت على أغصانه بلابله، وهو كذلك شديد الفطنة، حلو الملاحظة، لا يكاد يعرض لسمعه أو بصره شيء إلا وجه له رأياً طريفاً يصوغه في نكتة.

خطة البشري في تصوير الشخصيات وتحليلها كخطة الرسام الكاريكاتوري يعمد إلى الصفة البارزة في خلال المرء

وحافظ إبراهيم عند البشري أجود من الريح المرسلة، لو أنه ادخر قسطاً مما أصابت يده من الأموال لكان اليوم من أهل الثراء، على أنه ما فتئ طوال أيامه يشكو البؤس حتى إذا طالت يده الألف جن جنونه إذا لم ينفقها، ولو استطاع أن ينفقها في يوم واحد لأنفقها، فإذا استغلقت عليه وجوه الإنفاق عد هذا من سوء الحظ، ولذ فإنه شكا الزمان أو قال فيه ما لم يتعلق بغباره شاعر.

وهكذا ترى أيها القارئ الكريم أن قلم البشري يفيض رقة وجمالاً في الحديث عن أدباء عصره، الذين عايشهم وأحبهم واحترمهم، وأخلص لهم حتى لا ترى ذلك الإخلاص، وهذه المحبة في كلماته الصادقة المعبرة.

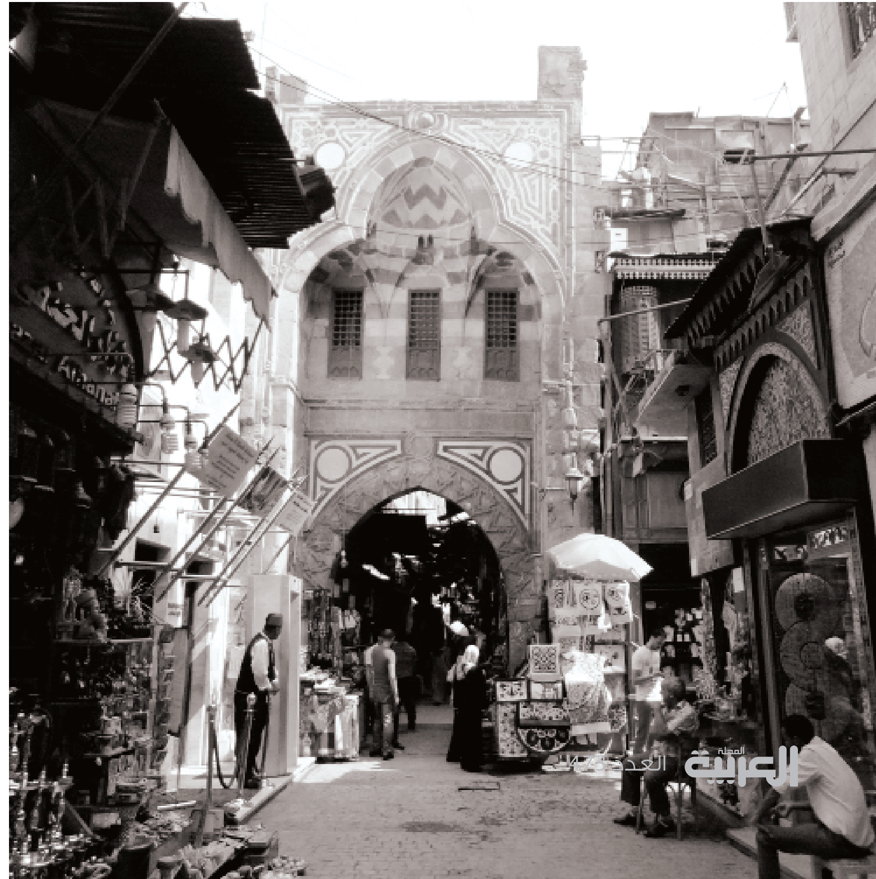
وأذكر هنا من الشعراء الذين عايشهم البشري وصورهم في مرآته الشاعر الساخر إمام العبد، الذي كان جيد الإلقاء، جهير الصوت إذا أنشد الشعر هز الناس، ورجهم، وبعث بالتصفيق أكفهم، وأطلق بالهتاف حناجرهم.

وكان إمام العبد -رحمة الله على الجميع- خفيف الروح، حاضر البديهة، مرسل النكتة، لا يكاد يفطر عنها، يقفش لكل إنسان ولكل شيء، ومن مزايا إمام العبد: أنه كان عف اللسان مهما قيل له، لا يفحش، ولا يقذع، ومن الأمور الطريفة عن هذا الشاعر المبدع أنه كان ينظر إلى لونه، ويسأل كيف جعله هذا اللون في المجتمع غريباً فتثور نفسه، ويرى أن هذا اللون قد ضيع حظه في الحياة، أي أن قدره قد ضاع فقام يندب حظه.

أقول لك: لقد قرأت عن هذا الرجل وقرأت أشعاره ونوادره الطريفة مع ظرفاء عصره، فوجدته صاحب شاعرية رحبة، وعلى حد قول البشري: (صخاب كموج البحر، شفاف كصفحة الغدير)، ولذلك فهو بحق من الشعراء الجديرين بالذكر.

ولعلك ترى البشري كما أراه عالي البيان، يحتفل بجودة الصياغة، ونقاء اللغة، مع تجنب المهجور من الألفاظ وغريبها، ترى فيه نَفَس الجاحظ، لكن دون أن يكون مقلداً أو ناقلاً، بل إن القارئ يعرف شخصيته من أسلوبه، ولو لم يحمل المقال اسمه أو توقيعه، ويكفي هذا شاهداً على أصالته.

رحم الله البشري لقاء ما قدمه لأمته من أدب رائع وبديع بين مكانته الأدبية في كل ما تركه من تراث خالد يضيء للأجيال القادمة طريق التقدم والارتقاء على مر الأزمان والدهور.



يا جميلة الصخب

عزت الطيري: مصر

أرجوكِ لا تعتذري
فقد مللت الاعتذار منك
يا جميلة الصخبْ
مللت لومي
والعتابَ المرّ
والتقريع والغضبْ
كوني كما أنتِ
كثيرة الأخطاء والذنوب
لأنني رضيت كل فعلٍ منكِ
كل شيء فيكِ
دونما سببْ
ورغم ما فعلتِ.. ما ارتكبتِ
لا أتوبْ
شُلّت يدا قلبي الذي
ينسى كرامة لهُ
ولي..
يذوب لوعةً إذا أحبّ
***
سبحان من ألهمني الصبر
أنا اتقادُ جمرةٍ من الجنوبْ
أنا الملولُ والغضوبْ
فاغفر لها..
وارحم فؤاد عبدك العشّاقِ
يا مقلب القلوبْ

هل انتهى عصر الفلسفة الكبرى؟ (1)

تباريح

أبو عبدالرحمن
ابن عقيل الظاهري

قال أبو عبدالرحمن: التمييز بـ (الكبرى): تمييز للفلسفات من عهد التاريخ المدون منذ سقراط إلى أرسطو إلى أفلاطون إلى أفلوطين؛ لأن الفلسفة عندهم هي المعرفة والعلم، ولا مرجع للمعرفة والعلم عندهم غير تشقيقهم الفلسفي.. وكانت سلسلة (اقرأ) التي تصدر شهرياً عن (دار المعارف) بمصر: تصقل مواهب ذوي البراعم الحيوية فكرياً، وأذكر من هذه الإصدارات كتاب (صوت من الجانب الآخر) لفتحي سلامة؛ وهي السلسلة رقم (490) التي صدرت أول شهر أغسطس عام 1983م عن مرور ثلاثة وعشرين قرناً على موت أرسطو (322) قبل الميلاد.. جاء هذا البحث بعنوان (هل انتهى عصر الفلسفة الكبرى بثورة العلم).. يعني العلم المادي الذي صنع الدبابة والصاروخ والقنبلة الذرية.. وشارك في البحث توفيق الحكيم، والدكتور زكي نجيب محمود، وفتحي سلامة، والدكتور توفيق الطويل، والدكتور أحمد رفعت حجازي، والدكتور رشدي فكار، وغيرهم كما سيأتي في تحاورهم؛ فكان رأي توفيق الحكيم (وهو أكثر وأكبر من (أ) و(د)..) ص78 ما يلي: (كانت الفلسفة كمصدر رئيسي "الصواب: بصفتها مصدراً رئيساً" للمعرفة العقلية تأخذ مهمتها في التباطؤ كلما أسرع العلم في السير.. وبعد أن كانت وحدة مكتملة بذاتها تفتتت إلى عناصر منفصلة ارتبط كل عنصر منها بفرع من المعرفة، وفلسفة التاريخ، وفلسفة القوانين، وفلسفة الأديان، ونحو ذلك)، ثم ذكر احتمال: (أن الفلسفة لم تزل ضرورية للتكوين الذهني للشباب أو لغير العلماء المتخصصين؛ لأنها تقوم أساساً على فتح الباب للتفكير؛ لأن جوهرها هو السؤال بـ "لماذا؟".. وبغير هذا السؤال لا تقوم الإنسانية) "صوت من الجانب الآخر ص 79".

قال أبو عبدالرحمن: الذات ليست بمعنى النفس.. قال أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي "- 581هـ" رحمه الله تعالى في كتابه "نتائج الفكر ص 230 - 232 "وهو في النحو": (وأما النفس فعلى أصل موضوعها.. إنما هي عبارة عن حقيقة الموجود دون معنى زائد، وقد استعمل أيضاً من لفظها: النفاسة، والشيء النفسي؛ فصلحت للتعبير عن الباري سبحانه وتعالى بخلاف ما تقدم من الألفاظ المجازية.. وأما الذات، فقد استهوى أكثر الناس ولاسيما المتكلمين القول فيها: إنها في معنى النفس والحقيقة.. ويقولون: (ذات الباري هي نفسه)، ويعبرون بها عن وجوده وحقيقته، ويحتجون في إطلاق ذلك بقوله عليه السلام في قصة إبراهيم: (ثلاث كذبات كلها في ذات الله)، وقول خبيب:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

وليست هذه اللفظة إذا استقريتها في اللغة والشريعة كما زعموا؛ ولو كان كذلك لجاز أن يقال: (عبدت ذات الباري سبحانه)، و(احذر ذاته) كما قال تعالى: (ويحذركم الله نفسه) (سورة آل عمران / 30)، أو: (فعلت ذاته): وذلك غير مسموع، ولا يقول (الصواب: ولا يقال) إلا بحرف (في) الجارة، وحرف (في) للوعاء (يعني: وعاء المظروف)؛ وهو معنى مستحيل على نفس الباري سبحانه: إذا قلت: (جاهدت في الله)، و(أحببتك في الله).. محال أن يكون هذا اللفظ حقيقة؛ لما يدل عليه هذا الحرف من معنى الوعاء؛ وإنما هو على حذف المضاف.. أي: في مرضاة الله وطاعته؛ فيكون الحرف على بابه ومعناه.. كأنك قلت: فعلى هذا محسوب (الأفصح: فعلى هذا يكون مثل (أحببتك في الله) على اعتقاد حذف المضاف.. (أي: أحببتك في مرضاة الله) في الأعمال التي فيها مرضاة لله تعالى وطاعة له.. وأما أن تدع اللفظ على ظاهره فمحال.. وإذا ثبت هذا فقوله: (في ذات الله)، و(في ذات الإله): إنما يريد في الديانة أو الشريعة التي هي ذات الله؛ فذات وصف للديانة، وكذلك هي في أصل موضوعها نعت لمؤنث.. ألا ترى أن فيها (تاء) التأنيث؟.. وإذا كان الأمر كذلك فقد صارت عبارة عما تشرف بالإضافة إلى الله عز وجل لا عن نفسه؛ وهذا هو المفهوم من كلام العرب.. ألا ترى إلى قول النابغة:

مجلتهم ذات الإله ودينهم؟

(صحة البيت: مجلتهم ذات الإله ودينــه قويم فما يرجون غير العواقب)

فقــد بــان غلط من جعــل هذه اللفظــة عبارة عــن نفس ما أضيفت إليه، وبان غلط من قال من الفقهاء: (إنه فوق عرشه المجيــد بذاتــه)، وغلط من جهــة اللفظ والمعنــى.. (و) أما اللفــظ فهو ما قدمناه؛ وأمــا المعنى فمذكور في كتب الأصول، ومعلوم بأدلة العقول).

قــال أبــو عبدالرحمن: وأما انتهاء عصــر الفلسفة الكبرى بثورة العلم المادي؛ فذلك مسألة عنيت بها في وقت مبكر من عمــري؛ ولهذا أتعجــل بتحقيق هذه المسألــة جاعلاً تحقيقي مداخلة كأنني حاضر بين المتحاورين؛ والذي أحققه الآن: أن الفلسفة التي هي في عرف الفلاسفة بحث عن الحكمة: ليست شيئاً سوى (نظرية المعرفة والعلم)؛ وأما بقية ما هو منطق، أو فلسفــة علم.. إلــخ.. إلخ: فسأفصل شأنــه الآن بمعونة ربي سبحانــه وتعالى؛ لأحدد العناصر التي تخدم (نظرية المعرفة والعلــم)، والعناصر التــي هي خارج ذلك؛ فــلا تكون فلسفة: العنصــر الأول: العلــم المــادي الــذي أنجز صنــع الصاروخ والقنبلة الذرية ودقائق الصنع من الإلكترونيات.

قال أبو عبدالرحمن: بربكم: هل حصل هذا الإنجاز العلمي بعد هداية الله سبحانه وتعالى بغير (نظرية العلم والمعرفة)؟.. هــذه واحدة، والثانية أن العلم المــادي يترتب عليه علم مادي آخر أكثر تقنية، ولن يتم ذلك إلا بفهم ما أنجز من علم مادي؛ فذلــك هــو الفهم لقوانيــن العلم المادي؛ وهــو مصدر حسي تجريبي لفهم قوانين العلم المادي الناجز، واحتذائه بالإضافة إليــه بما هو مساو لــه، أو دونه، أو فوقه.. وقــال فتحي سلامة موجهــاً الســؤال إلى الدكتــور زكي نجيب محمــود (صوت من الجانب الآخر ص **79 – 80**): (الفلسفة الآن تكاد تنقسم وفقاً للتقسيم الجغرافي وعلاقتــه بالمكان وثقافته وفكره الفلسفي إلى أربعة أقسام: هي شمال غرب أوروبا وبصفة خاصة إنجلترا وفلسفته التحليلية، والولايــات المتحدة وفلسفته البرجماتية، وغرب وجنوب أوروبا وفلسفته الوجودية، (و) أما القسم الرابع فهو شرق أوروبا وفلسفته المادية الجدلية.. وعلى هذا الأساس يتقاسم الفكــر الفلسفي)؛ فأجاب الدكتور زكي محمود نجيب بقوله: (ولكن هناك وحدة لفلسفــة العصر الواحد؛ لأنه عادة يبدأ بطرح سؤال في كل عصر، ثم تأتي المحاولة للإجابة عن الســؤال، وبالإجابات وبالاعتراضات ينتقــل العالم من عصر إلــى عصر.. هكذا تتحدد عصور التاريــخ الفكري؛ فمثلاً من أهــم الأسئلــة التي طرحــت في ثقافــة اليونان كلهــا في حالة ازدهارها كانت: ما هي المبادئ التي تضبط السلوك البشري الضبــط الذي يجعل الإنسان يبلغ قمة الكمال؟.. هنا يأتي دور الفيلسوف حول هذا المحور.. سقراط قال رأيه، وأفلاطون له إجابة، وأرسطو كانت لــه إجابة.. وهكذا حتى استنفد السؤال وانتهــى العصر.. وهكذا في العصــور التي تلت ذلك حتى جاء القرن التاسع عشر، وبدأ السؤال عند هيجل ثم كارل ماركس، وحــاول كل منهما الإجابة عن السؤال، ثم جاء القرن العشرون وطرح سؤال عن (علة حــوادث الطبيعة) أو (فكرة التطور).. وهكذا هنــاك دائماً فلسفة (كبرى) توجــد مختلفة باختلاف العصور).. ثم وجه فتحي سلامة سؤاله للدكتور رشدي فكار / الأستــاذ بجامعــة الرباط بالمغــرب؛ فكان جوابــه: (الفلسفة الكبرى التي يقصدها المفكــر الكبير توفيق الحكيم: ما تزال موجودة، ووجودها ضرورة؛ لأنها تمثل المعنى العام للحياة، ثم إن الفلسفة لا يمكن أن تكون بحال من الأحوال مجرد تمرينات رياضيــة، يمارسها العالم مــن أجل تنشيط عقلــه؛ وذلك لأن الفلسفــة تعني العملية الفكرية كلها، وبالتالي لا يستطيع عالــم من العلماء، أو مشتغل بفرع من فروع العلم أو الفكر أو الإبداع أن يبــدأ عملــه ما لــم يتبين فلسفة مــا، بل إن كل مــا يقوم به مــن أفعال وردود أفعال أفعال عقليــة: وإنما هو (فلسفة)؛ فلا نستطيــع تقسيم العملية العقلية إلــى (فلسفة) و(علم)؛ لأنها واحــد؛ فالقضية المطروحة في الأساس ربما يكون قد جانبها

الصواب قليلاً، ولابد أن نستمع إلى العلماء المشتغلين بالبحث العلمي التطبيقي) (صوت من الجانب الآخر ص80).

قال أبو عبدالرحمن: كان الدكتور رشدي فكار قد شرفني في منزلي بسلطانة منذ اثنين وعشرين عاماً تقريباً على ندوة عشاء مختصرة، وكنت يومها معنياً بالسعي في ترجمة التلمود مع ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود -رحمهم الله جميعاً-؛ ليترجمه على حسابه، ولقد تحمس للموضوع، ولكن موضوع الترجمة تعذر في آخر مراحل السعي؛ لتعذر وجود نسخة كاملة؛ ولوضع العراقيل من قبل إسرائيل؛ ولندرة الكفاءات العلمية التي تقوم بالعمل.. ومنذ أربع سنوات تقريباً تحققت ترجمته وتحقيقه بواسطة فريق علمي في عشرين مجلداً؛ وكان المحقق المترجم (التلمود البابلي)، وهناك تلمود آخر من تأليف الحاخامات غير التلمود البابلي لم يترجم بعد.. ولاحظت أن الدكتور (رشدي فكار) رحمه الله تعالى ينظر إليّ نظرة نقد في إسهابي عن التلمود وما فيه من مكايد للبشرية إلى أن عيل صبره؛ فقال: (يا أبا عبدالرحمن: لقد عجزنا عن الاطلاع على التلمود؛ لاحتكار الصهيونية له؛ فكيف نتكلم عما لا علم لنا به؟).. وكأنه يقول: (فكيف تتكلم يا ابن عقيل بما لا علم لك به؟)؛ فقلت: يا دكتور: (إنه لا يجوز إسقاط ما علمنا، كما لا يجوز القول بما لا نعلم؛ وإن بيدي الآن نصوصاً كثيرة معربة من (الكنز المرصود في فضائح التلمود)، ورسالة (إظهار سر الدم المكتوم) مما ترجمه الدكتور محمد بن عبدالله الشرقاوي عما ألفه الحاخام (ناوفيطوس)، والحاخام (موسى أبو العافية)، والكاهن (آي.بي. يوانا بيتس)، وعندي بعض كتب المتكلمين من يهود، وعندي ردود أبرع ناقد للأديان المحرفة؛ وهو (الفصل في الملل والنحل) للإمام الحبر أبي محمد بن حزم رحمه الله تعالى، وعندي أصدق الحديث كتاب الله سبحانه وتعالى وتفاسيره، ولاسيما عن استحلال يهود من هو غير يهودي من النصارى والمسلمين (الجوييم)، وعندي قولهم: (ليس علينا في الأميين سبيل)؛ فاقتنع شيئاً من الاقتناع وصرفنا إلى حديث آخر أظنه عن الفن والجمال والطرب والطير المسافر؛ فإن كان هذا هو ما انصرفنا إليه فكأنه يقول: (هذا أليق بك يا أبا عبدالرحمن من عضل التلمود)، وأعوذ بالله من سوء الظن، وكنت أظن أن الدكتور لا يزال على قيد الحياة، ثم وجدت في ترجمته من الإنترنت: أنه مفكر إسلامي من مواليد مصر 1928م، وأنه نال الدكتوراه من باريس، وأنه أستاذ بجامعة محمد الخامس بالمغرب، ورشح لجائزة نوبل، وأنه يمثل مدرسة فكرية إسلامية تحسن التعامل مع الغرب، وأنه عالم لغوي وشرعي، وأنه توفي في 5 أغسطس 2000م بالمغرب إثر أزمة قلبية مفاجئة، وأنه ولد بقرية الكرنك في مركز أبوتشت في محافظة قنا بصعيد مصر، وحفظ القرآن في كتاب القرية في سن مبكرة، ويوجد مجمع تعليمي أزهري للفتيات يحمل اسمه في القرية، كما توجد مدرسة إعدادية تحمل اسمه أيضاً، وهو من أسرة عريقة (آل داوود) في قرية الكرنك، وكان والده العمدة محمود فكار عمدة قرية الكرنك وأحد كبار الأعيان بمحافظة قنا، وبحكم التكوين القبلي للقرية نشأ على القيم والأخلاق الحميدة وحب الخير للجار أياً كان معتقده أو انتماؤه العرقي.. رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته آمين.. وله أكثر من 17 مؤلفاً وموسوعة و100 بحث ودراسة حول شتى علوم الإنسان، واستطاع أن يجمع بحوثه ودراساته في 30 مجلداً من مجالات الدراسات الإسلامية والاجتماعية والنفسية، وتمت ترجمتها إلى لغات أخرى، وكتب 50 دراسة وبحثاً ومقالات باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية منها:

1. علاقة العالم العربي الثقافية مع فرنسا.
2. تأملات في الإسلام.
3. الحياة اليومية في مصر إبان عصر محمد علي.
4. الشباب وحرية الاختيار.
5. ظاهرة الانتحار.
6. المراهنة الصناعية.
7. نظرية أصول الماركسية والمراهنة الصناعية؛ وهي التي أهلته للترشيح لجائزة نوبل عام 1976م؛ فإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى أناقش فيه طرح الدكتور رحمه الله تعالى، والله المستعان.

حلم لم يكتمل

منير عبدالله القباطي: اليمن

مُدَّت الأشرعة، وحُزمت الأمتعة، وارتدا القبطان بزته وهو ينظر إلى البعيد يستشف الماوراء، وتعانق الحبيبان قبل انطلاق الرحلة.

هَمسٌ لا يسمعه أحدٌ سواي:

إننا سنسافر إلى جزيرة الضوء، عبر هذه السفينة الجميلة، وفي هذه الليلة المقمرة، بمعية هذا البحر المتراقص طرباً بقدومنا.

- انظر إنهم يلوِّحون بأيديهم مودعين

يبدو أن البحر أذن لسفينتنا

بالإبحار، هيا لنقرأ ورداً من

الشكر على أعتاب هذا المخلوق الجميل.

لحظات من الصمت بدا القمر فيها محاطاً بحلقاتٍ إكليلية خلف سُحب رقيقة، وهو يغازل بلورات الجليد وسط هالة من الضوء.

- التفت إليها وهي مبتسمة تشاهد انعكاسَ القمر على صفحة الماء،

أليست الجزيرة على مسافة ساعتين من الانطلاق؟

- يا إلهي! هاهي الساعة الثالثة! والجزيرة لا تلوح بأعلامها الممتدة في الأفق.

- البحرُ لا يرحم حين يشعر بتمردٍ على ظهره!

- إلى أين أيها القبطان!

- يلتفت مبتسماً لا تقلقا نحن في الطريق الصحيح..

ثم يُردف يبدو أنكما لا تعرفان أن الجزيرة تعرضت لهجوم من (عصابات سلاحف النينجا).

- ياللهول عصابات سلاحف النينجا!!

- تصرخ وإلى أين؟

- يبتسم القبطان مرة أخرى وهو يشير إلى الأفق وقد بدت أعلام الجزيرة لكنها مصبوغة بالسواد..

- فهمست في أذنه (أيُباحُ للإنسان أن يعتدي على جمال المخلوقات بدافع الأنانية والانتقام)..

- لا تبتئسي فالحلم لم يكتمل بعد.

ارتباط الأندلسيين بالمشرق



د. زين العابدين بنطاهر: المغرب

لعل المتتبع للحركة الثقافية بالأندلس، وما خلفته من إبداع فكري، لا يجد عناء كبيراً في الحكم على أبناء هذا الصقع الغربي من العالم الإسلامي بالتبعية الثقافية للمشرق، إذ من المسلمات المطلقة في الفكر العربي تلك المكانة المتميزة التي احتلها المشرق إبان نهضته السياسية وما واكبها من ازدهار ثقافي، فقد كانت عواصمه المشهورة عصر إذ، كالبصرة والكوفة وبغداد ومصر، تمثل قطب جذب بالنسبة لكل مريدي المعرفة، المتشوفين للعلم، الطامحين في الاستزادة والإفادة والتحصيل، وتوسيع دائرة المعارف، إضافة إلى كون المشرق كذلك قبلة تتشوق الأفئدة لوجهتها الكريمة، وتشد نحوها الرحال طمعاً في المغفرة وأداء فريضة الحج، أو طلباً للعلم والمعرفة، وفي غالب الأحيان يتم الجمع بين الحسنيين معاً.





أسهمت هجرة الكتاب المشرقي لموطنه الأصلي في الارتقاء بالذوق الأندلسي والدفع بقوة في تطوير الحركة الثقافية بالأندلس

وقد ترسخت هذه الصورة النمطية في عقول أندلسيي القرون الثلاثة الأولى. فكانت رحلتهم إلى تلك الربوع المشرقية -مشفوعة بالحافزين السابقين- تمنح صاحبها تقديراً خاصاً في الوسط الاجتماعي، إضافة إلى اعتباره قد حصل على صفة من صفات الكمال العلمي. ويمكن رصد قوة هذا الإحساس في تلك الكتابات التاريخية التي اهتمت بالراحلين إلى المشرق أو الوافدين منه على الأندلس.

ولا غرابة في ذلك إذا ما نحن نظرنا بعين الإنصاف إلى وضعية الراهن الثقافي الأندلسي وهو في طور التكوين مقارنة مع ما كان يعرفه المشرق من نهضة ثقافية مزدهرة، أينعت بعد تراكم معرفي تعدى مرحلة البناء والاكتفاء إلى الإنتاج والتصدير.

فقد كان لهذه الحركة الثقافية الرائجة أن أفرزت، فكراً وسع كل مجالات المعرفة الإنسانية المتعارف عليها حين ذاك، انطلاقاً من العلوم الشرعية كالحديث والفقه والأصول، مروراً بالعلوم الاجتماعية الإنسانية التي كان الشعر وروايته يمثلان مدار القول فيها لدى المؤدبين والمتأدبين. ناهيك عما يتفرع عن هذا الحقل المعرفي من اهتمام باللغة وغريبها، ورواية الأخبار وتقييد شواردها، وشرح للأشعار وضبط معاقدها رواية ودراية، فهماً واستيعاباً، ثم انتهاء بمدارسة علوم الآلة من نحو وبلاغة وبيان. فعن ديوان العرب تصدر الشروح اللغوية، والتعليقات النحوية، والإفادات البيانية، والمعاني العقم البلاغية. ينهل من هذا المعين كل أندلسي طالب للفقه والحديث باعتباره رافداً أساسياً لفهم القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وعاملاً ضرورياً في استنباط الأحكام الشرعية، كما يكرع من حياضه ناشد الأدب والشعر، فيزيده قدراً ومنزلة ويرفعه شأواً وجلالة، خاصة إذا كان الراغب منقدح الزناد، متقد القريحة. وقد تم هذا عبر مستويين:

1 - رحلة الأندلسيين وهجرة الكتاب المشرقي:

إن بروز أسماء لامعة في سماء الحركة الفكرية بالمشرق، وما قدمته من إسهامات إبداعية أغنت رصيد المكتبة العربية سواء أتعلق الأمر بالجمع والتدوين أم بالشرح والتعليق -كل في مجال اختصاصه- قد شكلت عامل جذب وإغراء هفت إليه نفوس غالبية الأندلسيين، ومن ثمة أضحى مطمح آمالهم يتمثل في الاغتراف من ذلك الفيض من منبعه. فقد أسهم اللقاء والتلمذة المباشرين على أساتذة المشرق، وأدبائه ولغوييه، ومحدثيه، وفقهائه في تصدير الثقافة المشرقية إلى الأندلس، والاعتكاف على مدارستها وتدريسها على امتداد مرحلة تاريخية لا بأس بها شملت القرون الأربعة الأولى، وهي مدة تكاثفت فيها جهود حركة التدريس اللغوي، ومجالات التأليف، وتنمية الملكة اللغوية المعتمدة على حفظ الأصول الواردة من المشرق. وكان من بين الأسماء التي ضربت بسهم مصيب، وحظيت من الشهرة بأوفى نصيب سيبويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة، وأبو بكر بن دريد، وأبو القاسم الزجاجي، وأبو علي الفارسي، وأبو العباس ثعلب، والكسائي، والأصمعي، وابن الأعرابي، وابن السكيت، والمبرد، والمتنبي، وأبو العلاء المعري، وأبو تمام، والحريري، وهي أعلام وإن بدت متوحدة المشارب، متباينة التخصصات، فقد خلفت وراءها تصانيف فريدة، وتآليف مفيدة، خَلَقَتْ حولها شروحاً وتعليقات، وتعقيبات واستدراكات، ومعارضات، أروت ظمأ الأندلسيين المتهافتين على العلم بحسب تفاوت درجاتهم في الفهم والاستيعاب، وبحسب ميولات كل منهم وأولوياته، فانتفعت الأندلس بما كان يجلب إليها من المؤلفات والكتب المشرقية بعد تعدد الوسائط، من شراء، وانتساخ، أو نقل ورواية. وتتحفنا كتب الفهارس والتراجم والطبقات التي أرخت لرجالات العلم بالأندلس، بمجموعة جمة من الكتب



لما تقوضت أركان دولة الأمويين بالأندلس حاول القائمون عليها أن يحذوا حذو سابقيهم بتشجيع النخبة المثقفة على الالتحاق ببلاطاتهم

المشرقية التي كانت تُدَرَّسُ ضمن البرامج التعليمية، ضمن حلقات الشيوخ، وهي في الغالب الأعم كتب ذات منزع لغوي نحوي يروم تطويع المتن المقروء بالميل إلى الشرح والتبسيط، وتطعيمه بالمستظرفات والمستطرفات، بغية تقريب الفوائد اللغوية من الدارسين والمتعلمين.

ولعل أبرز ملاحظة يمكن تسجيلها بخصوص الأدب المشرقي الوافد، تتمثل في كون بعض المؤلفات نُظِرَ إليه بعين الرضى والاستحسان، أكثر من غيره، كالكتاب لسيبويه، والغريب المصنف، وكتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم ابن سلام، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب العين للخليل، وهي كتب اهتمت بالمستوى المعجمي واللغوي، كما اهتمت بالقضايا والظواهر النحوية، ومنها من مزج أصحابه بين الشعر والنثر والأخبار كالكامل في اللغة للمبرد.

ولما كان تحصيل ملكة اللسان العربي أقصى مراد الطالب الأندلسي من خلال هذه الكتب، فإن اهتبالهم برواية أشعار المحدثين زاد من وتيرة تحصيل هذه الملكة، فقد اشتهر عنهم رواية أشعار أبي تمام، وحماسته، ورواية شعر مسلم بن الوليد، وأبي العلاء المعري، والمتنبي، دون إغفالهم لرواية وحفظ الأشعار الجاهلية، وأساطين القول فيها، بحيث تركزت جهودهم حول هذه المرويات في المقام الأول، شرحاً وتفصيلاً، درساً وتأويلاً، ثم استنساخاً وتعليقاً،

وتفاوتت درجات هذه الجهود بين الإطالة والإطناب، والاختصار والإيجاز، خدمة للدرس اللغوي، وصقلاً لملكة اللسان، يقول ابن خلدون: (وأهل صناعة العربية بالأندلس ومعلموها، أقرب إلى تحصيل هذه الملكة -ملكة اللسان- وتعليمها من سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم، والتفقه في كثير من التراكيب في مجال تعليمهم).

2 - تشجيع الحكام والأمراء:

إن ارتحال الأندلسيين، وهجرة الكتاب المشرقي لموطنه الأصلي، قد أسهما -كما سبقت الإشارة إليه- في الارتقاء بالذوق الأندلسي، كما أسهما في الدفع بقوة في تطوير الحركة الثقافية بالأندلس، وقد أضيف إليهما عاملان آخران يتمثلان في حلول أبي علي القالي بالأندلس، وتشجيع الأمراء والحكام للمشتغلين بالحقل الثقافي، ومشاركتهم في توجيه المقرر الدراسي. وتخبرنا المصادر التاريخية عن اهتمام الخليفة الناصر، وابنه الحكم المستنصر بالجانب العلمي، وتشجيعهما الدائم للمنتسبين للعلم، وسهرهما على إغناء الرصيد المكتبي بكل ما جد في عالم الإبداع. ولعل أصدق دليل على هذا تلك المكانة المتميزة التي حظي بها الوافد المشرقي أبو علي القالي، وتلك الحظوة الرفيعة التي خصَّه بها الحكم المستنصر،



وقبله عبدالرحمن الناصر.

لقد حل أبو علي القالي بالأندلس، جالباً معه مكتبة مشرقية متنقلة، حوت من الأعلاق النفيسة، ما كان مطلب راغب العلم بالأندلس شيخاً ومريداً، أديباً ومتأدباً، دونما حاجة إلى الارتحال عن وطنه، فما كنا لنرى رسوخ الدقة اللغوية، والاتجاه إلى شرح الأمهات من كتب اللغة، واعتماد الأصول، واتساع مجال الثقافة اللغوية، لولا تلك الحركة التي أثارها القالي، بشخصيته وتعليمه، والكتب التي هاجر بها، والتلاميذ الذين تخرجوا على يديه.

ولعل ما كان يتناهى إلى علم المشارقة عن بلاد الأندلس، وطيب هوائها واتساع أرزاقها، ورخص أسعارها، ونُفُوقِ سوق الأدب بها، واهتبال الخاصة والعامة به، واحتفائهم بأهله والمنتسبين إليه، كل ذلك كان يشجع المشارقة، وخاصة المتملكين لناصية الأدب، المتمكنين من اللغة والشعر، -والقالي من ضمنهم- على التفكير في حط رحالهم بالأندلس، تتوزعهم في ذلك مطامع الشهرة، ومطامح الغنى والمال. وقد أصاب القالي من هذا بغيته، وكان له إسهام بليغ في ترسيخ دعائم الحركة اللغوية بالأندلس. ففضائله في تشكيل فسيفساء الثقافة الأندلسية، تظل ركيزة أساسية، لا ينكرها إلا مكابر أو جاحد سواء أتعلق الأمر بالأندلسيين المعاصرين له أو اللاحقين عليه، أم بالدارسين المحدثين.

ولما تقوضت أركان دولة الأمويين بالأندلس، وانفرط عقدها إلى دويلات وإمارات، حاول القائمون عليها أن يحْذُوا حَذْوَ سابقيهم، بتشجيع النخبة المثقفة على الالتحاق ببلاطاتهم. فاجتمع حول كل أمير منهم ثلة منتخبة من العلماء والشعراء، والفقهاء، والكتاب، اجتهدوا في تقديم أجود ما لديهم من مادة معرفية ترفع من شأن محتضنيهم، وتأتمر بأوامره. فقد كلف المعتضد بن عباد الأعلم الشنتمري بتلخيص شواهد سيبويه، وشرح له كذلك شعر زهير بن أبي سلمى، كما أن أبا بكر عاصم بن أيوب البطليوسي شرح ديوان امرئ القيس للحاجب مجد الدين أبي بكر محمد بن المتوكل، في حين أهدى أبو عبيد البكري تنبيهاته على القالي للمعتمد بن عباد، ونفس الصنيع قام به ابن السيد في شرحه لشعر أبي العلاء المعري.



شيء ما

علي آل زهير: الخرج

مأخـوذاً بها، لا يدري كيف يحتويها؟! حين أتته، راح يغمرها بين يديه، يقربها منـه ويدنيها، كمن يريـد أن يقتنص قبلة على شـفتيها، وهو متعطش لها، لكنه لا يفعل!!

يتـرك أنفاسـه اللاهثـة تقبـل عطرها العابـق في المـكان، يستسـلم لعبق العطر، يسـفه سـفاً، لتنزلق يداه من بين يديها، يسقط مصلوباً على الفراش يهـذي، ويهمهم باسـمها.. تخبـو كلماته، وتغيب همهماتـه في فم تلك الغفوة التي ابتلعت جسـده. تركته بعد أن هدأت أنفاسه، وراحت تكمل طبقاً كانت قد بدأته قبل مجيئه.

حيـن أفـاق، وجـد المكان هادئـاً على غير عـادة، إلا من صوت دقات السـاعة تـك.. تـك.. تك.. والصمت يكاد يلتهم الأشـياء حتى لا تتفوه ببنت شـفة. جال ببصـره المخدع، وفكره يجتر الذكريات التي تومض كالبرق في ذهنه المتقد، كل لحظـات الصمـت الناطق التي تتـراءى له في عيني حبيبتـه، حين يلتقي بها، تلكما العينان اللتان غدتا وطنه الضائع الذي طال بحثه عنه، والذي أصبح مفتوناً به حد العطش، حين ألفاه في عينيها القمريتين..

انتصـب بقامته الفارعة الطول، وراحت قدماه تـذرع المكان جيئة وذهاباً، كما هو حال ذهنه الذي يذرع اللحظات الجميلة، يسـترجعها كشـريط سـينمائي -وفـي نفس الوقـت- عيناه تصلبان على الأشـياء المحيطة به، يسـترجع كل لحظـة من لحظات الفرح، وكأنها تحدث أمامه.. في لحظة، تصلبت عيناه على الأثاث الذي تكتسي به الغرفة، وفي لحظة أخرى، يعود به الزمن قليلاً إلى المحل الذي اشـتراه منه، وكيف أنه وقع في حيرة من أمره حين وجد ألواناً متعددة، غير أنه لم يجد اللون الذي كان قد اتفق مع حبيبته أن يأخذه..

عقـد العـزم على أن يأخذ لوناً متناسـباً مـع بقية القطع، أخـذه على أمل أن يـروق ذلك اللون لحبيبتـه، بعد أن حاول العثور على نفـس اللون في مكان آخر، بيد أن تلك المحاولات لم تكلل بالنجاح..

ارتـدت تلـك الغرفة الأثاث الجديد، كعذراء فاتنة ترتـدي ثوب عرس. التقيا كما تلتقي الأمواج يزفها نسيم البحر للساحل الذي طال انتظاره للفرح. أخذتهم الأحاديـث بعيـداً.. بعيداً عـن المكان الـذي احتواهمـا بحلته الجديـدة، وراحا يتحدثان في جديد كتاباتهما، وآخر الكتب التي اطلع عليها كل منهما..

رحـلا مع الحرف، وحلقا عالياً فوق واحة الأدب. تحط بهما الأحاديث عند رواية جديـدة، انتهـى مـن قراءتها أحدهما، فـي حين بدأهـا الآخر، ثـم لا تلبث أن ترتفع بهما أجنحة قصيدة، وتغدو الحروف على شفاههم كالأزهار الجذلى، تتراقص طرباً حين يداعبها النسيم..

حلقا كفراشـات على الأزهار، يرسمان الفرح بألوان الطيف، ويكتبان قصتهما التي انطلقت شرارتها الأولى بحب متبادل، أعقبه زواج، وبيت يجمعهما..

حاول مبادرتها ليدخل صلب موضوع نتائج التحليل، وهو يتساءل في نفسه:

- (لعل الفرح يمتص أثر الصدمة؟!)

لكن أسارير وجهها المتفتح، تغرق كل كلمة تبحر على شفتيه!! وتبقى نتائج التحليل أشرعة مفتوحة، تنتظر الرياح، علها تهب من جديد!!

حسن المشاري

إدارة التحول الاقتصادي والإداري


الملك فيصل بن عبدالعزيز يفتتح أحد المشاريع الزراعية وعلى يساره حسن المشاري

محمد عبدالله السيف: الرياض

لا يمكن للباحث في التاريخ الإداري والاقتصادي في المملكة العربية السعودية، خصوصاً ما شهدته السعودية في مطلع الستينات الميلادية من برنامج للتحول الاقتصادي والإداري، إلا أن يقف على سيرة الشيخ حسن المشاري، الذي كان أحد الكفايات السعودية التي أدارت مشروع الإصلاح الاقتصادي والإداري بكل كفاية واقتدار، من خلال موقعه وكيلاً لوزارة المالية والاقتصاد الوطني، وموقعه في معهد الإدارة العامة نائباً للرئيس، وعضويته في لجان الإصلاح الإداري، ثم موقعه وزيراً للزراعة والمياه لمدة أحد عشر عاماً.

النشأة والتعليم

يُدين حسن المشاري الحسين لوالده بالكثير من العرفان كونه سمح له بالدخول إلى المدرسة الابتدائية الوحيدة آنذاك في هفوف الأحساء، وهي المدرسة الأميرية، التي زامل فيها ناصر بوحيمد وعادل القصيبي وعبدالمحسن المنقور ويوسف الطويل وفهد الخيال، وغيرهم. وبعد سنوات من الجد والمثابرة يُمضي الشيخ محمد طاهر الدباغ، مدير المعارف العامة، توقيعه على شهادة حسن المشاري، الذي تخرج في المدرسة الأميرية عام 1363هـ، حاصلاً على المركز الأول على مستوى المملكة، من بين 285 طالباً، هم طلاب شهادة إتمام الدراسة الابتدائية.

وكان حسن المشاري قد ولد في الهفوف من عائلة أحسائية شهيرة وعريقة، هي أسرة الحسين، التي تمتد جذورها إلى الدرعية، وتحديداً إلى مُلكهم المعروف بـ"سهلة"، وهي أسرة تلتقي نسباً بآل سعود في الجد إبراهيم المريدي، وكان نزوحها إلى الأحساء نتيجة لما عُرف بـ"سقوط الدرعية" بعد الاجتياح التركي لها وهدم مساكنها وقطع مزارعها في عام 1233هـ، وما تلا ذلك من آثار اجتماعية واقتصادية على سكانها، الذين اضطر أغلبهم للهجرة، بحثاً عن الرزق والأمان.

لم يكتف حسن المشاري، وهو المتفوّق دراسياً، بما تلقاه في المدرسة الأميرية، بل حزم أمره وعزم على مواصلة دراسته، فتوجّه إلى مكة المكرمة، والتحق في مدرسة تحضير البعثات، وحصل على شهادته المتوسطة في عام 1365هـ، وكان ترتيبه السابع مكرر، من بين 37 طالباً. وفي عام 1368هـ، حصل على الشهادة الثانوية التي تؤهله للدراسة في الخارج، وكان من زملائه في الدراسة في مكة المكرمة: إبراهيم العنقري وعبدالعزيز الخويطر وناصر


الملك سلمان بن عبدالعزيز ويبدو حسن المشاري إلى يمينه

المنقور، وعبدالوهاب عبدالواسع وعبدالرحمن آل الشيخ وعمر فقيه وأحمد زكي يماني ومحمد الفريح، وغيرهم.

في القاهرة

ومن مكة المكرمة إلى القاهرة، حيث التحق بجامعتها "جامعة فؤاد"، في كلية التجارة، وتخرج فيها عام 1953م، متخصصاً في المحاسبة، وعاد إلى وطنه ليساهم في خدمته، بدءاً من أول وظيفة عمل بها، وكانت في شركة أرامكو مستشاراً في إدارة العلاقات الصناعية، لمدة سنتين ونصف تقريباً، ومن ثمّ قرر أن يطور من لغته الإنجليزية، فأخذ إجازة مفتوحة، وسافر إلى بريطانيا لدراسة اللغة الإنجليزية ومواصلة دراسته في الماجستير، لكنه بعد فترة يضطر لمغادرة بريطانيا والتوجه إلى أمريكا، وذلك بسبب نشوب حرب السويس عام 1956م، وتحويل الطلبة المبتعثين في بريطانيا إلى أمريكا، فانخرط في جامعة جنوب كالفورنيا، وحصل منها على شهادة الماجستير في إدارة الأعمال الصناعية، وكان موضوع رسالته: "تحليل مفاوضات عقود الزيت بين المملكة العربية السعودية والشركات الأجنبية".

العمل الإداري

بعد حصوله على شهادة الماجستير، عاد حسن المشاري إلى وطنه، وتعيّن مديراً عاماً لشركة أسمنت اليمامة بالرياض فترةً من الزمن لم تدم طويلاً، عرف من خلالها، وعن قُرب، طبيعة العمل في القطاع الخاص، ويبدو أنه كان ينوي الاستمرار بالعمل في القطاع الخاص، لكن نظراً لحاجة القطاع الحكومي إلى الشباب المؤهلين لإدارة التحول الاقتصادي والإداري، الذي انطلق في عام 1960م (1380هـ) حينما استعانت الحكومة بالبنك الدولي للإنشاء والتعمير لدراسة الوضع الإداري والمالي في القطاعات المختلفة للحكومة، وما تلا ذلك من توصيات مهمة وضرورية؛ تمت الاستعانة بخدمات وقدرات حسن المشاري، الذي صدر الأمر بتعيينه وكيلاً لوزارة المالية والاقتصاد الوطني للشؤون المالية، وذلك في تاريخ 29/7/ 1380هـ (1960م) براتب قدره خمسة آلاف ريال، ليبدأ من هذا المنصب الرفيع بدوره الوطني الرائد، مع كوكبة من السعوديين المؤهلين، بتنظيم وإدارة الجهاز الإداري والمالي في المملكة، وقد عمل وكيلاً للوزارة مع الأمير طلال بن عبدالعزيز فترة قصيرة، ثم مع الأمير نواف بن عبدالعزيز، وأخيراً مع الأمير مساعد بن عبدالرحمن، الذي يُعد بحق رائد وقائد المجموعة الإدارية التي أدارت مشروع التحول الوطني في تلك الفترة.

كان من ضمن التوصيات التي قُدِمت إلى الحكومة من قبل بيوت الخبرة الإدارية آنذاك، توصية بإنشاء معهد للإدارة العامة، فتمَّ ذلك في عام 1380هـ، وانضم حسن المشاري إلى عضوية مجلس إدارة المعهد بصفته وكيلاً لوزارة المالية والاقتصاد الوطني، وكان المجلس يرأسه



حسن المشاري في أحد المعارض الدولية مع الرئيس الأمريكي جونسون

وزير المالية والاقتصاد الوطني ونائبه حسن المشاري ووكيل وزارة المعارف ومدير عام ديوان الموظفين ومدير عام معهد الإدارة محمد أبا الخيل. وقد لعب حسن المشاري مع زميله محمد أبا الخيل دوراً مهماً في بناء المعهد وتمكينه من تحقيق أهدافه، حينما تقدما إلى مؤسسة فورد من أجل تزويد المعهد بمستشار إداري متفرغ، وذلك في عام 1381هـ (1961م)، حيث بعثت المؤسسة الكولونيل شاه، رئيس الخدمة المدنية في باكستان. كما كان لحسن المشاري دوره حينما قامت وزارة المالية والاقتصاد الوطني حينذاك بالتعاقد مع مؤسسة فورد الأمريكية لإعادة تنظيم الجهاز الإداري في المملكة، وذلك في عام 1383هـ (1963م)، حيث صدر لاحقاً أمر ملكي بتشكيل اللجنة العليا للإصلاح الإداري، التي تولّت تنظيم الأجهزة الحكومية، وكان لحسن المشاري دوره مع هذه اللجنة، سواء من خلال عمله وكيلاً لوزارة المالية أو من خلال عمله اللاحق وزيراً للزراعة. وخلال عمله وكيلاً لوزارة المالية استعانت جامعة الملك سعود به للعمل محاضراً في كلية التجارة، إلى جانب زملائه من أمثال: أحمد صلاح جمجوم وأحمد زكي يماني.

في مطلع عام 1384هـ، استدعى الأمير مساعد بن عبدالرحمن، وزير المالية والاقتصاد الوطني وكيله وأبلغه بأن قراراً سيصدر ينتقل بموجبه حسن المشاري إلى عمل آخر خارج وزارة المالية والاقتصاد الوطني، ولم يُفصح الأمير عن المنصب الجديد الذي سينتقل إليه الوكيل المشاري، لكنه طلب منه أن يُرشح من يراه مناسباً للعمل مكانه وكيلاً للوزارة. وفي ليلة الحادي عشر من شهر صفر 1384هـ، تلقى حسن المشاري برقية عاجلة من صالح العباد، رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء، كان مضمونها فقط عبارة: "مبروك"، ولم يطل الانتظار، حيث صدر في صباح الغد أمر ملكي موقع من الملك فيصل بن عبدالعزيز بتعيين حسن المشاري وزيراً للزراعة، فانتقل بذلك إلى موقع آخر، وودّع زملاءه في وزارة المالية والاقتصاد الوطني، وخلفه في المنصب زميله وصديقه محمد بن علي أبا الخيل.

إلى الوزارة

في وزارة الزراعة والمياه، عمل حسن المشاري على إرساء دعائم النهضة الزراعية التي شهدتها المملكة في شتى مجالات الإنتاج الزراعي والنباتي والحيواني وفي مجال المياه، الجوفية والمحلاّة، وهذه الدعائم هي بداية الانطلاق نحو برامج تنموية زراعية. وقد وصفه المؤرخ الدكتور منير العجلاني في عام 1386هـ، بأنه شاب ذكي ونشيط، وأدار حواراً مطولاً معه عن مشاريع الوزارة التي نفذتها، والتي هي تحت التنفيذ، وهو حوار موثق في كتابه: "تاريخ مملكة في سيرة زعيم: فيصل".

شهدت وزارة الزراعة والمياه في تلك الفترة، وبإشراف من وزيرها، إعادة تنظيم جهازها الإداري والمالي، فتم تسمية الوزارة لتكون "وزارة الزراعة والمياه" حيث أُضيفت إليها



الأمير ماجد وناصر المنقور ومحمد الفريح في حفل زواج المشاري

مهام قطاع المياه، وتم تقسيم الوزارة إلى ثلاثة قطاعات، هي: قطاع الزراعة، وقطاع المياه، والقطاع الإداري. وعكف حسن المشاري في مكتبه طويلاً مع خبرائه من أجل استكمال الدراسات الخاصة بمصادر المياه، وتم الاستعانة بخبراء من منظمة الأغذية والزراعة الدولية للمساهمة في تصميم وتنفيذ البرامج المطلوبة، حيث تم تقسيم أراضي المملكة إلى عدة أقسام على أُسس علمية، وتم إعداد مشروع خريطة عامة للتربة في المملكة. وحققت الوزارة مشاريع كبرى في مختلف أنشطتها، من بينها: مشروع الفيصل للتوطين، ومشروع الري والصرف بالأحساء، وإنشاء مركز الأبحاث، واعتماد نظام الأراضي البور، وإنشاء محطة تنقية المياه بمدينة الرياض. ومن جانب آخر أولت الوزارة اهتمامها في مشروع سدود الأودية، وتم إنشاء العديد من السدود، من بينها سد وادي جازان، وسد وادي أبها. وفي أرشيفه الخاص توجد العشرات من الصور لحسن المشاري وهو يتجول في قرى ومدن المملكة، متفقداً سدود المياه فيها، متحاوراً مع سكانها عن مشاكلهم الزراعية، مناقشاً لهم عن أبرز السُبل لمواجهة تلك المشكلات. وقد عمل معه في وزارة الزراعة والمياه عدد من الكفايات المؤهلة إدارياً، من بينهم: محمد بادكوك، الذي عمل وكيلاً للوزارة لشؤون المياه، خلفه محمد بن زرعة، في المنصب عام 1386هـ، وحسن حسين شطا، الذي عمل وكيلاً للشؤون الزراعية، ثم طاهر أحمد عبيد، الذي أصبح وكيلاً للوزارة بعد دمج وكالتيها، والأمير محمد الفيصل، الذي عمل وكيلاً للوزارة لشؤون المياه المحلاّة، وغيرهم.

كان حسن المشاري من المستشارين الخاصين للملك فيصل، يستشيره ويثق برأيه وكان يصحبه في كل مؤتمراته الداخلية والخارجية.

وفي عام 1394هـ، صدر أمر ملكي بإنشاء المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة، ويُعد حسن المشاري- بصفته وزيراً للزراعة والمياه- أول رئيس لمجلس إدارة المؤسسة، الذي كان يضمُ آنذاك في عضويته: الأمير محمد الفيصل، محافظ المؤسسة، والأمير سعود الفيصل، وكيل وزارة البترول والثروة المعدنية، وعبدالله السديري، وكيل وزارة الداخلية لشؤون البلديات، وفايز بدر، وكيل مصلحة الإحصاء، ومحمود طيبة، وكيل وزارة التجارة، ومحمد الصقير، وكيل وزارة المالية.

إن الحديث عن الدور الذي لعبه حسن المشاري في إدارة العملية التنموية الإدارية والزراعية يحتاج إلى اطلاع واسع على تجربته التي امتدت لأكثر من خمسة عشر عاماً، من بينها إحدى عشرة سنة وزيراً، وهذا يحتاج إلى صفحات مطولات لن يستوعبها إلا كتاب يحفظ للأجيال دوره الوطني الكبير والرائد، وما كان القصدُ هنا إلا إلقاء شيء من الضوء على تلك الجهود، المقدرة والمشكورة.


حسن المشاري وإبراهيم العنقري وعبدالرحمن آل الشيخ في القاهرة 1952م

لقد تعيّن حسن المشاري وزيراً للزراعة والمياه وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، وكان وقتها عازباً، وبعد تعيينه وزيراً قرر الزواج من السيدة الجوهرة بنت عبداللطيف العيسى، ابنة رجل الأعمال المشهور عبداللطيف العيسى، وكان زواجهما في بيروت، وتحديداً في الفندق الشهير "البريستول"، وذلك في عام 1965م، وفي الليلة نفسها كان زواج عديله الدكتور فهد البنيان من سارة العيسى، وكان زواجهما مشهوداً، حضره عدد من الأمراء والوزراء ورجال الأعمال وسيدات سعوديات، من بينهم: الأمير مشعل بن عبدالعزيز والأمير ماجد بن عبدالعزيز والأمير سطام بن عبدالعزيز، وسليمان العليان وناصر المنقور ومحمد أبا الخيل وعبدالعزيز القريشي ومحمد الفريح وغيرهم.

في القطاع الخاص

في عام 1395هـ، انتقل الملك فيصل بن عبدالعزيز إلى رحمة الله تعالى، وتم تشكيل حكومة جديدة، عُرفت لاحقاً بـ"حكومة الدكاترة"، التي ضمّت على سبيل المثال: غازي القصيبي وسليمان السليم ومحمد أبا الخيل، وعبدالرحمن بن عبدالعزيز آل الشيخ، الذي تعيّن وزيراً للزراعة والمياه خلفاً للوزير حسن المشاري، الذي آثر الخروج نهائياً من العمل الحكومي والتفرغ للعمل في القطاع الخاص.

في 28 رجب 1395هـ، صدر مرسوم ملكي بتأسيس "الشركة السعودية للفنادق والمناطق السياحية"، وتم تعيين حسن المشاري رئيساً لمجلس الإدارة، وقد عمل فيها رئيساً لمدة خمسة أعوام. كما صدر أمر في عام 1397هـ، بتأسيس البنك السعودي الفرنسي، شركة مساهمة سعودية، وكان حسن المشاري هو أول رئيس لمجلس إدارة البنك.

وخلال رحلته في العمل الإداري، نال حسن المشاري وشاح الملك عبدالعزيز في عام 1393هـ، كما نال وسام الخلاص الأفريقي من رئيس جمهورية ليبيريا في عام 1394هـ، ووسام رتبة قائد الأسد من رئيس جمهورية فنلندا، وذلك في عام 1407هـ.

وكانت له مساهمته الخيرية والاجتماعية، فقد ساهم في تأسيس مدارس أهلية للبنات، وعمل عضواً في مجلس إدارة نادي الفروسية، وهو يُقيم الآن في منزله بحي الربوة بمدينة الرياض، متعه الله بالصحة والعافية.

تستهويه القراءة والكتابة، وله مقالات في فترة مبكرة، أما القراءة فقد رافقته طويلاً، في حضره وسفره، وهو القائل حينما سُئل عن أصدقائه بعد مغادرته المنصب أين هم، فقال: (أما أصدقاء المنصب فقد ذهبوا مع المنصب)!

طوفان

حنان محمد الأحمد: الرياض

صوت خطواته يربكني.. يقلب حالتي من نائمة إلى جالسة ومن جالسة إلى نائمة بلحظة واحدة، أشعر بأنني سأخسر شيء إن اقتربت خطواته مني.. سأخسر جزءاً مني.. سأخسر ما تبقى من كرامتي إن تبقى منها شيء..!

كثيراً مانوهم أنفسنا بمحبة تلك الألسن اللاذعة لنا حتى نهدأ ونكمل سير حياتنا الثابت..

كنت أسأله باستمرار حينما كان يرتدي حذاءه الجلدي ليخرج: ما الفرق بين الخوف وبين الحب!؟

فكان يرد علي بذات الضحكة الساخرة في كل مرة: وما العامل المشترك بينهما أصلاً!!

ثم يرحل من جديد دون أن يعلم أنه هو العامل المشترك بينهما.. فوجوده خوف ورحيله حب.!

كنت أجلس بجوار حاجياته حينما يغادر أتأملها وأتلمسها وأحركها عن أماكنها عمداً لأرضي بذلك نفسي وأقنعها بأنني قد تمردت عليه وخرجت عن طاعته رغم علمي بأنه لن يلاحظ ولم يلاحظ ولا لمرة واحدة تغير أماكنها، فهو يلاحظ حاجياتي فقط وينطق بعثراتي فقط ويتخذ عني قراراتي فقط!

لطالما سعيت نحو الرحيل فلا أملك مفتاح ذلك القفل الكبير الذي وضعه أمام عيني دائماً، ولا أملك أجنحة حقيقية تعوضني عن تلك التي رسمتها في مخيلتي لأبتعد بنفسي وروحي دون أن أتحرك من مكاني!

صرخ عالياً باسمي فجأة رغم أنني بجواره، لم يكن هناك

أي داع للصراخ! كانت عبارتي هذه كفيلة بقلب موازين هذا اليوم بأكمله وتحويله من مجرد معركة صغيرة إلى مجزرة عظيمة!

اعتذرت ألف مرة لينتهي وفي كل مرة كان كبرياؤه ينمو ويتغذى على كبريائي.. أجبرني على الجلوس معه ليتابع برنامجه المعتاد المتكرر واضعاً جهاز التحكم بالقنوات فوق كفه ليشعرني بأنه أكثر قداسة مني وأعلى مكانة مني.. لطالما كنت تحت هذه الكف لا أتحرر منها وإن قاتلت.. كنت أنظر نحو ذلك الجهاز هل هو الآن جزء من حاجياته فلا أستطيع لمسه والتحكم به إلا عند غيابه!؟ سألته لأثبت لنفسي بأني أفهمه أكثر من نفسه قلت له بهدوء:

يوجد مسلسل جديد يبث على قناة أخرى أنتابعه سوياً؟!

لم يعلق للحظة طويلة جعلتني أظن أن هدوئي كان مبالغاً به للدرجة التي لم يسمعني بها! أخذت أحدق به مطولاً حتى قال فجأة:

- لا يوجد شيء يستحق المتابعة لذا سأتابع برنامجي هذا!

ابتسمت من جديد لأجيب نفسي عن سؤالها: نعم هو كذلك من حاجياته!

أخذت أشجعه ليزور أحداً من أصحابه دون جدوى.. ليخرج لأي مكان جميل ويستمتع بالأجواء.. ليتسوق.. ليرحل فقط طالما لا يسمح لي بالرحيل! أيضاً دون جدوى!

نهضت من مكاني سألني بسرعة: أستنامين الآن!؟

كان يعلم مسبقاً بأنّي لا أملك سوى النوم! وبالرغم من ذلك كان يقبل بتسمية حياتنا حياة!

أومأت برأسي له مؤكدة صحة سؤاله ليردف بسرعة أكبر من السابق: هلا صنعت لي الشاي قبل ذلك!؟

لم أجبه وإنما مشيت تلقائياً نحو المطبخ ليعلو صوته من جديد:

- حبذا لو كان معه شيء يؤكل أشعر برغبتي لأكل شيء مالح!

وكأنما تنقصه الملوحة! هو يرغب فقط ولا يحتاج.. فلقد تقاسمنا العبارات بيننا في هذا المنزل الرغبة له والحاجة لي، هذه هي عدالته!

كما كانت الكرامة له والذلّة لي، والحرية له والقيود لي، بل الحياة كلها له، والحياة لخدمته لي! إنها العدالة، بل إنها لكثيرة علي هذه العدالة كما أخبرني دائماً!

حينما وضعت رغباته أمامه على الأرض قال دون النظر إلي: لو أنك أضفت القليل من الحليب معه ولكن لا مشكلة شكراً لك!

ابتسمت بسخرية وتابعت طريقي الذي كنت قد نويت ابتداءه منذ مدّة.. نادى باسمي البائس من جديد، التفت إليه دون إجابة ليسألني قائلاً:

- أتحبينني.!؟

كنت قد حرّمت على نفسي هذا السؤال، وإذا به ينتهك حرماتي ليرضي رغباته فقط!

مرّت ثوان من الصمت ليضع كأس الشاي جانباً ويكرر علي سؤاله وكأنه يستعد للقتال لا للجواب.! نظرت نحو عينيه المتأهبة لأنهي تساؤله وحياتي معاً قائلة:

أحب رحيلك فقط!

الكتابة والقلق..وأطياف من الماضي البعيد (6)

ذكريات من الصُّفَّة



د. عاصم حمدان

في هــذا الشارع الــذي مبتدأه حــي المناخــة، ونهايته قبل الوصــول إلى برحة بــاب الســلام، والذي يحمل اسـم الإمام العينــي؛ فأضحى يُدعى بـ(العينيّة)، والذي كنت أعبره أحياناً لبلوغ أبواب المدرسة، التي كنت أتلقى فيها التعليم الابتدائي، أعنــي (دار العلــوم الشرعية)، رأيت عصــر ذات يوم من عام **1384**هـ رجلاً يمشي حافي القدمين، حاسر الرأس، ثُم سمعت ممن يكبروننا سناً بأنه كان صاحب شخصية متعددة المواهب؛ فهــو مُعلّم، وكاتب قصة، ولعلــه كان يكتب في مجلة (المنهل) مع أحمد حوحو، عندما أنشأها الشيخ عبدالقدوس الأنصاري عــام **1355**هـ. ويضاف إلى ذلك؛ فقد ذكر لي أستاذنا الأديب محمد حُميدة -شافاه الله-، وهو واحد من بقية أعضاء أسرة الــوادي المبارك، بــأن صاحب هذه الشخصيــة كان من أبرع لاعبــي (الشطرنــج) و(الكيرم) في زمنه. ويقفــز في الذهن اســم الأديــب الرائد حمــزة شحاتة، الــذي يذكر أنــداده أنه إضافــة إلى إبداعه الأدبي شعراً ونثراً، فلقد كان مجيداً لكثير مــن الفنون التي كانــت منتشرة آنذاك، أي قبــل حوالي ستين عاماً أو أكثر.

وكانــت هناك لعبة اسمهــا (الدّاما)، وهي أقــرب ما تكون للعبــة الشطرنج. وأخبرني الأديب الراحــل عابد خزندار بأنه كان فــي صغــره مولعــاً بها، ولعل والــد الخزنــدار كان يخشى عليه من غشيان بعــض المجالس لصغر سنه، فطلب من أحد المتفوّقين فيها، من كبــار الشخصيات المكية؛ وهو المرحوم الشيــخ عبدالله بصنوي، ليتعلم الابــن عابد أصول هذه اللعبة منه. وأضاف الخزندار واصفــاً براعة البصنوي بقوله: (كان من شطارته فيها قدرته على أن يهزم نفسه). ولم يلتفت عابد إلــى ذلك المنحى النفســي إلا بعد أن كبر في السن، فلقد كان الرجــل الكبير يسعــى من وراء ذلــك إلى إعطاء هــذا الشاب الصغير جرعة مناسبة من التشجيع. وأخال أن لعبة "الدّاما" لا توجــد اليوم على نطاق واسع؛ بل هي محصورة في القلة من كبار السن. وأخــال أن عابداً تطرّق إلى لعبة الشطرنج عندما ثــارت ضجّة في الساحة الثقافيــة والأدبية عن مصطلح النقد الثقافي، والذي تناوله الناقد الأستاذ الدكتور عبدالله الغذامي فــي مقالات لــه، وزعم عابد آنذاك أنه سبــق الغذامي في هذا الطرح، ثم أُسدل الستار على هذه القضية الأدبية والنقدية.

وسألــت بعد زمن عن ذلك الإنسان الذي ترك مشهد حالته العصبيــة أثــراً عميقاً في النفــس، فقيل لي إنــه أصيب بذلك الــداء عندمــا كان يعمل ديبلوماسيــاً خارج الوطــن، وأنه ظلَّ يُعانــي من تلك الحالــة حتى وافاه الأجــل، وطويت صفحة من صفحات الأدب في المدينة المنورة.

وفي شارع العينية أيضاً لمحت في نهاية الثمانينات الهجرية رجــلاً تبدو عليه سماء الوقــار والسكينة، ومرتديــاً المتواضع من الثيــاب، ومتأبّطاً (محفظة) عتيقــة خاصة بحمل الكتب، حتــى إذا مــا بلغ مكتبة عارف حكمت فــي الجهة الجنوبية من المسجــد النبوي الشريف أخذ مكانه في ذلك المبنى المتميز في بنائــه الهندسي، ويختار للقراءة بعضــاً من تراث المكتبة المخطوط، البالغ عدده حوالي خمسة آلاف مخطوطة في شتى العلــوم والفنون، التــي أنتجتها حضارتنــا الإسلامية والعربية إبّــان حقبة ازدهارها، حتــى إذا ما ارتفــع الأذان من المنارة الرئيسة انصرف كبقية رواد المكتبة ودخل المسجد الطاهر، وأخذ مكانه بالقرب من الروضة الشريفة، ثم ينصرف سائراً علــى قدميه حتى يبلغ منطقة تُعرف باســم (الحرّة الغربية)، التي كانت تسكنهــا فئات متعددة الأعراق من بادية وحاضرة، كما كانت بقايا خط سكة حديد الحجاز تخترق تلك المنطقة، التي تعد نائية عن وسط المدينة آنذاك. وسألت عنه؛ فقيل إنه الأديب والنّسابة عبدالله سلامة الجهني.

وبعــد عصر ذات يوم، حيث كنا نــؤدّي الصلاة بالقرب من الصُفّــة، أو مــا يُعرف بـ(دكــة الأغوات)، طلب منــي أستاذنا حسيــن الخطيــب، وكان -رحمــه الله- إنسانــاً بصيــراً، أن أصطحبه للمكان الذي يُصلي فيه الأستاذ الجهني، حتى إذا ما جلسنا بالقرب منــه؛ فاتحه أستاذنا الخطيب بالحديث، فلقد كانــت ظروفه تحتّم عليــه قضاء معظم الأوقــات في المسجد الطاهر للعبادة والقراءة معاً، ملمّحاً إذا ما كان لدى المرحوم

الجهنـي وقتاً لمساعدته لتحقيق رغبتـه، وذلك بأن يقرأ له ما يريـد من الكتـب. وكان الخطيـب بطبعه شخصـاً نهماً للعلم والمعرفة، فإذا بالأستاذ الجهني -والعبد الفقير إلى الله يروي هنا حادثة مضى عليها مـا يقرب من نصف قرن من الزمن- إذا به يحوّل بصره عنّا قليلاً، ثم يخاطب نفسه قائلاً: (هربت من الدنيا خارج المسجد؛ فإذا هي تلاحقني داخله)، ثم ختم مناجاتـه قائـلاً: (لا حول ولا قوة إلا بـالله العظيم). وصمت. وكان صمته -رحمـه الله- إيذاناً لنا بالانصراف من مجلسه. وكان هـذا اللقاء بدايـة صداقة للعبد الفقير إلى الله مع واحد من أبـرز طلاب مدرسة طلبـة البعثات في بدايـة التسعينات الهجرية. وعندما سافر إلى مصـر مع زملائه لإتمام دراسته الجامعيـة، أخرج الجهنـي بجهد يكاد يكون ذاتيـاً كتاباً حمل اسم (طلبة البعثات السعوديـة في مصر) وصدر في القاهرة عام **1374**هـ - **1954**م، فيما يزيد عن مئتي صفحة.

ولم يكتـفِ الجهني بالشهادة الجامعية من كلية دار العلوم؛ بـل واصل تعليمـه ليحصل على دبلـوم التربية العالـي، وعُيّن بعـد تخرّجه ملحقاً ثقافياً في بيروت، ثم مستشاراً للتعليم في منطقـة المدينة المنورة، ولكن حيل بينـه وبين ممارسة عمله لأسبـاب ليس مـن داعٍ لذكرها الآن.

وكان مشهد لقاء أستاذنا الخطيب بشخص الأستاذ الجهني بداية مـودّة عميقة نشأت بيني وبينه إلى ما قبل وفاته -رحمه الله-، وكنـت إذا مـا عدته لزيارتـي حيث أقيم أثنـاء سنوات الدرس بكلية الشريعة بمكة المكرمة يعتذر عن تناول الطعام، وأُدرك أنـه صائم. وكانت فلسفته في أخذ النفس بهذه العبادة والجلد عليها، أنه يسعى لمعرفة أثر الجوع على البطون الخاوية من الفقـراء. ووجدته في أفـكاره الدينية وسطيـاً ومتسامحاً وداعيـاً إلى الحـوار قبل أن يُطـرح هذا المعطـى الفكري في ساحتنـا بزمن طويل. وكان أبعد ما يكون عـن الفئوية، مع أنه كان نسّابـة، وترك كتاباً في علـم الأنساب. ورغم حرصه على الفصحى، وضرورة استخدامها في الكتابة؛ إلا أنه كان يحتفي بالشعـر النبطي، مشيراً إلى أنه يعكـس أخلاقيات القبيلة من كرم وبـذل وأنفة وشهامة. وكان في سلوكياته يعكس كثيراً من هذه الأخلاقيـات. وأضرب مثالاً على ذلـك بأنه كان يستدين لقلـة ذات اليد من بعضـ أقاربه وأصدقائه لإكـرام ضيف، أو نزيل. وأتذكر أنني كنت أسير معه ونحن نخرج من مبنى مكتبة عـارف حكمت، وكان ذلك في منتصـف التسعينات الهجرية، فقابـل أحد علماء بـلاد الشام، ويبدو أنـه كان على معرفة به أثنـاء قيامه بالعمل ملحقاً ثقافياً فـي بيروت، فأصرّ على تلك الشخصية بالاستجابة لدعوته له في داره المتواضعة، التي كان يقيم فيها في الحرّة الغربية.

وكان "صاحب الأفكار البيضاء"، وهو اسم المؤلَّف الوحيد الذي ذكـره للجهني مؤلـف "معجم المطبوعـات العربية في المملكـة السعوديـة" ج2، **1982**م، وقـد طبع عـام **1383**هـ - **1964**م. كان الجهني على النقيض مما يذكره البعض بأنه كان منطويـاً على نفسه ومعتزلاً مجتمعه؛ لكنـه في واقع الأمر كان يصطفي أصدقـاءه، ولا يحبّذ أن يُذكر أحد بسوء في مجلسه، وذلـك من باب الورع والتقوى، الـذي أخذ نفسه به. ولعله كان أقـرب إلى أفكار الإمـام أبي حامد الغزالي فـي "المنقذ من الضـلال"، والحـارث المحاسبـي في رعاية حقـوق الله، مما يمكن إدراجه في ترويض النفس على العبادة والذكر وتنقيتها من الكدورات مما يعيث انعتاقهـا من العالم المادي المحدود إلى آفاق الروح غير المتناهية.

ولعل من المحزن أن الجهني قبل رحيله من دنيانا هذه عام **1409**هـ، وقد أحدث رحيله صدى حزيناً في الساحة وسط من عرفـوه أو تناهت إلى أسماعهم سيرته الحميدة، أنه قبل ذلك وبعـده لم يستجب نادي المدينة الأدبي لتكريمه، مع أن النادي كـرّم الكثيرين، بعضهم ممن لم يبلـغ شأو الجهني في مسيرة عطائه الأدبي والفكري، والذي اختصره يوماً لي ونحن نجلس بالقرب من الروضـة الشريفة حيث مصلى الحبيب صلى الله عليـه وسلم، حين همس قائـلاً لي: (لقد ولدت فـي المدينة، وتعلمـت في مصـر، وأنتجت في لبنـان). فرحمـه الله، وبلل ضريحه بسحب المغفرة والرضوان.

عبق الأطلال

العكيدي أحمد: المغرب

حدثتها عن بؤس هذه المدينة ووحشتها، فحدثتني عن مجدها وأيام ازدهارها. ونحن نتجول بين أزقتها الضيقة المعتمة ونتأمل أبنيتها العتيقة الآيلة للسقوط، في غفلة منا، تذكرت تلك الطفولة المحرومة التي عشناها والآمال التي عقدنها والخيبات التي أصبنا بها والأحلام التي انكسرت فوق صخرة واقع مرير. زاغ بصرها نحوي وذكرتني بلحظات سعيدة عشناها وتناسيتها، كيف كنا نفرح بكسرة خبز رشت بصلصة طماطم حارة نشتريها من أحد الدكاكين القريبة ببضع ريالات، ذكرتني ببهجة يوم العيد وفرحته العارمة التي كانت تجتاحنا طولاً وعرضاً لتستقر بدفء في قلوبنا الصغيرة.

أخذتها إلى ساحة عامة تتوسط المدينة، كانت تقام فيها سهرات تبذر فيها أموال كثيرة في ساعات قليلة، وخطب سياسية في مواسم حصاد وزرع لا طائل منها، نقف مشدوهين أمام أشباح نزعوا ربطة العنق وارتدوا ملابس مثلنا وأسمعونا كلمات نحب سماعها ووعدونا بوعود نحب تصديقها، ربما من همنا وكثرة كروبنا. نصوت لهم مراراً وننتظر أن تتغير الأحوال وكأننا نستنبت الأشواك ونأمل فاكهة طرية الملمس، حلوة المذاق. تطوى الخيام وتشد الرحال إلى وجهة نجهلها، نلمحهم بعيد ذلك في سيارات تبهرنا، وثياب كنا قد حسبناهم تبرؤا منها للأبد، ثم يختفون من حولنا إلى أن يبعثوا في موسم حصاد وزرع جديدين، في زيارة ميمونة مباركة وقد استحالوا في هيئتهم المبتكرة إلى كائنات أسطورية لا تدركها عقولنا.

أخذتني إلى قصر بهيج بناه أحد الحكام الصالحين الذين مروا من هنا وتركوا أمجاد حضارة حولناها إلى مجرد أطلال نبكيها ونهرب إليها كلما اشتد بؤسنا وخابت آمالنا. تخيلنا بقاياه منتصبة وبنينا جدرانه وحجراته لبنة لبنة ولمسنا تربته بأناملنا وشممنا رائحته الزكية وعبقه الفائح من حبات لقاح تحملها نسمات رياح شرقية وسط فنائه الفسيح، قادمة من أعماق ماض سحيق. داعبتنا مياهه العذبة، تتدفق من نافورة مزخرفة، زينة للزائرين. سمعتها تناجي التاريخ وهي تستند إلى أحد الأبواب القليلة المتبقية في غفلة من أيادي اللصوص: (اشهد يا تاريخ، مر من هنا رجال وعدوا فصدقوا وحكموا فأعدلوا).

طال بنا المسير وجلسنا نستريح، فنظرت إلى حديقة المحطة التي لعبنا فوق تربتها الرملية كرة القدم وألعاباً أخرى وتسلقنا أغصان أشجارها وقفزنا فوق كراسيها الخشبية، فأحزنني ما آلت إليه، القذارة في كل مكان، الجدران محطمة والشجيرات مكسرة أغصانها وفروعها، الرائحة الكريهة تزكم الأنوف.. تأملت وجهي في صمت مهيب وهمست لي ملامح وجهها الساكنة المطمئنة وهي تتجول بعينيها في أرجاء المكان، همسة سافرت بي فوق بساط الزمان وذكرتني بأولئك الرجال الطيبين، رجال كانوا يسهرون على تشذيب الأشجار وإصلاح الأضرار التي كان يحدثها الصغار والكبار..

تطلعت إلى الشجرة التي كنا نحتمي بظلالها الوافرة من أشعة الشمس الحارقة، فخالجني شعور بالتذمر والتحسر. أشرت بيدي، في انزعاج صدقته تعابير وجهي وحركات جسمي المتناقضة، إلى أغصان يابسة وجذوع عطشى لم تسلم من بؤس هذه البقعة المنسية كأبنائها المنفيين في وطن المركز والمحيط. تتبعت حركاتي حتى سكنت وانزعاجاتي حتى خمدت، ثم لوحت بيدها إلى أحد الأسوار التاريخية خلفنا كما تلوح الحبيبة لحبيبها المنصرف إلى ساحة الوغى، سور تشهد عظمته وصموده عبر الزمان على حضارة عريقة وأجداد عظماء.

ضاق صدري فقفزت قائلاً بغضب وحنق: (أنت، أنت تتشدقين بالثقافة والتاريخ في كل أمر سألناك عنه أو أوحينا لك به، ما بال هذا الجزء لا ينعم ببعض ما ينعم به غيره، وما سر هذه العزلة المطبقة عليه، لولا هذا التلفاز الحقير لأصبحنا خارج التاريخ).

أخذت بيدي وربتت على كتفي بنعومة وحنان وأجلستني حيث كنت ورجتني فارتشفت بعض القطرات من كأس الشاي التي تجمعنا، ثم تبادلنا الابتسامة والنظرات وتجولنا بأبصارنا بين زبائن المقهى. التفتنا خلفنا التفاتة عميقة، فانطلقنا إلى الأمام وقلنا بصوت هادئ مطمئن: (ليس ذنب هذه الجغرافيا أن يكون لها شمال وجنوب).





بصمات نسائية
في مسيرة الحضارة الإسلامية

أحمد أبو زيد: مصر

كان للمرأة حضور في المجتمع الإسلامي منذ اللحظة الأولى لظهور الإسلام، فكانت تتعلم وتعلم، وترحل لطلب العلم، ويقصدها الطلاب لأخذ العلم عنها، وتصنف الكتب، وتفتي، وتستشار في الأمور العامة، ولم تكن حبيسة منزل أو حجرة، أو أسيرة في مهنة معينة، بل كان المجال مفتوحاً أمامها تظله الشريعة الغراء، ويرعاه العفاف والطهر.



بعض الفقيهات والمحدثات أكثرن من الرحلة في طلب العلم إلى عدد من المراكز العلمية في مصر والشام والحجاز

فالسيدة خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، هي أول من آمن بالنبي، (صلى الله عليه وسلم) على الإطلاق، وكانت ملاذاً وحصناً منيعاً للدعوة الإسلامية حتى وفاتها في العام العاشر من البعثة، وهو العام الذي سماه النبي (صلى الله عليه وسلم) بعام الحزن. كذلك كانت المرأة أول من ضحّت بنفسها في سبيل الله، فالسيدة سمية بنت خياط (رضي الله عنها) هي أول شهيدة في الإسلام. كما كانت المرأة أول من هاجر في سبيل الله، فالسيدة رقية بنت محمد (صلى الله عليه وسلم)، هي أول من هاجرت إلى الله تعالى مع زوجها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) الى الحبشة.

المرأة فقيهة ومفتية

وقد امتد عطاء المرأة المسلمة بعد الإيمان والهجرة والتضحية إلى المجال العلمي والتعليمي، فظهرت الفقيهة والمُحدثة والمفتية، التي يقصدها طلاب العلم، ويأخذ عنها بعض أساطين العلماء، وتفتي في بعض الأمور التي تخص عامة المسلمين، وظهر من العالمات المسلمات من تعقد مجالس العلم في كبريات المساجد الإسلامية، ويحضر لها الطلاب من الأقطار المختلفة، وعُرف عن بعض الفقيهات والمحدثات المسلمات أنهن أكثرن من الرحلة في طلب العلم إلى عدد من المراكز العلمية في مصر والشام والحجاز حتى صرن راسخات القدم في العلم والرواية، وكان لبعضهن مؤلفات وإسهامات في الإبداع الأدبي.

ففي صدر الإسلام كانت أمهات المؤمنين وعدد من كبار الصحابيات من رواد الحركة العلمية النسائية، وكانت حجرات عدد من أمهات المؤمنين الفضليات منارات للإشعاع العلمي والثقافي والأدبي، وتأتي أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) في الذروة والمقدمة، فكانت من الفصيحات البليغات العالمات بالأنساب والأشعار، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يستمع منها إلى بعض ما ترويه من الشعر.

وتروي بعض الآثار أن عائشة عندها نصف العلم، لذا كانت مقصد فقهاء الصحابة عندما تستعصي عليهم بعض المسائل العلمية والفقهية، خصوصاً فيما يتعلق بجوانب حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وكانت عائشة تحث سائلها ألا يستحي من عرض مسألته، وتقول له (سل فأنا أمك)، وقد أخذ عنها العلم نحو (299) من الصحابة والتابعين، منهم (67) امرأة.

أما أم سلمة (رضي الله عنها) فكانت كما وصفها الذهبي (من فقهاء الصحابيات)، وممن روى كثيراً من الأحاديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين بلغوا نحو (101)، منهم (23) امرأة.

وتتعدد أسماء الصحابيات والتابعيات اللاتي اشتهرن بالعلم وكثرة الرواية، وتحفل كتب الحديث والرواية والطبقات بالنساء اللاتي روين وروي عنهن الحديث الشريف، مثل: أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأسماء بنت عميس، وجويرية بنت الحارث، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت جحش (رضي الله عنهن).

ولم يغفل كبار كتاب الطبقات الترجمة للمرأة المسلمة خصوصاً في الرواية، فمحمد بن سعد ذكر كثيراً من الصحابيات والتابعيات الراويات في كتابه (الطبقات



الكبرى)، و(ابن الأثير) خصص جزءاً كاملاً للنساء في كتابه (أسد الغابة)، وفي كتاب (تقريب التهذيب) لابن حجر العسقلاني ذكر أسماء (824) امرأة ممن اشتهرن بالرواية حتى مطلع القرن الثالث الهجري.

معلمة الرجال

وقد ساهمت المرأة العالمة بأناملها الرقيقة في صناعة وتشكيل كثير من كبار العلماء، فالمؤرخ والمحدث الشهير (الخطيب البغدادي) صاحب كتاب (تاريخ بغداد) سمع من الفقيهة المحدثة (طاهرة بنت أحمد بن يوسف التنوخية) المتوفاة (436هـ). وكانت (أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل) المتوفاة (377هـ) من أفقه الناس في المذهب الشافعي، وكانت على علم بالفرائض والحساب والنحو، وكانت تفتي ويكتب عنها الحديث، أما (جليلة بنت علي بن الحسن الشجري) في القرن الخامس الهجري، فكانت ممن رحلن في طلب الحديث في العراق والشام وسمع منها بعض كبار العلماء كالسمعاني، وكانت تعلم الصبيان القرآن الكريم.

وكانت (زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني) المتوفاة سنة (688هـ) من النساء اللاتي قضين عمرهن كله في طلب الحديث والرواية، وازدحم الطلاب على باب بيتها في سفح جبل قاسيون بدمشق، فسمعوا منها الحديث، وقرأوا عليها كثيراً من الكتب.

أما (زينب بنت يحيى بن العز بن عبد السلام) المتوفاة (735هـ) فقد تفردت برواية المعجم الصغير بالسماع المتصل، وقال عنها مؤرخ الإسلام (شمس الدين الذهبي) إنه كان فيها خير وعبادة وحب للرواية فقُرئ عليها يوم موتها عدة أجزاء، وكانت (زينب بن أحمد بن عمر الدمشقية) المتوفاة (722هـ) من المحدثات البارعات ذات السند في الحديث، ورحل إليها كثير من الطلاب.

محدثات في العلم والحديث

ويحكي الرحالة (ابن بطوطة) أنه في رحلته زار المسجد الأموي بدمشق، وسمع فيه من عدد من محدثات ذلك العصر، مثل (زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم)، وكانت امرأة ذات قدم راسخ في العلم والحديث، و(عائشة بنت محمد بن المسلم الحرانية) التي كان لها مجلس علم بالمسجد، وكانت تتكسب بالخياطة، وقرأ عليها (ابن بطوطة) عدداً من الكتب.

وقد تفردت بعض المحدثات ببعض الروايات، مثل (زينب بنت سليمان بن إبراهيم) المتوفاة (705هـ)، والتي أخذ العلم عنها (تقي الدين السبكي)، كما أجازت بعض العالمات المحدثات لعدد من كبار العلماء، فزينب بنت عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية المتوفاة (725هـ) أجازت (ابن حجر العسقلاني) الذي روى -أيضاً- عن (عائشة بنت محمد بن عبد الهادي) التي كانت ذات سند قويم في الحديث، وحدّث عنها خلق كثير، وكانت توصف بأنها سهلة الإسماع لينة الجانب، وروت عن محدثتين هما: (ست الفقهاء بنت الواسطي)، و(زينب بنت الكمال).

وقد أورد (ابن حجر) في كتابه (المعجم المؤسس للمعجم المفهرس) كثيراً من شيخاته اللاتي أخذ عنهن العلم، وعن اشتراكه في السماع عن الشيوخ مع بعضهن،

ظهرت الفقيهة والمُحدثة والمفتية التي يقصدها طلاب العلم ويأخذ عنها بعض أساطين العلماء





ووصف بعضهن بأنها مصنفة وهي (عائشة بن عبد الله الحلبية). وأورد الإمام (الذهبي) قبله في كتابه (معجم شيوخ الذهبي) كثيراً من شيخاته، وكان يقول عن بعضهن (توفيت شيختنا).

وكان للنساء دور بارز في تثقيف وتربية الفقيه والعالم الجليل (ابن حزم الأندلسي)، حيث علمنه القرآن الكريم والقراءة والكتابة والشعر وظل في رعايتهن حتى مرحلة البلوغ، ويحكي تجربته فيقول: (ربيت في حجر النساء، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب.. وهن علمنني القرآن، وروينني كثيراً من الأشعار، ودربنني في الخط)، وكان لهذه التربية والتثقيف أثرها الكبير في ذوقه وشخصيته.

وتأتي العالمة الجليلة (فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي) لتحتل المكانة العالية الرفيعة في الفقه والفتوى، وتصدرت للتدريس، وألفت عدداً من الكتب، وكان الملك العادل (نور الدين محمود)، يستشيرها في بعض أمور الدولة الداخلية، ويسألها في بعض المسائل الفقهية، أما زوجها الفقيه الكبير (الكاساني) صاحب كتاب (البدائع) فربما هام في الفتيا فترده إلى الصواب وتعرفه وجه الخطأ فيرجع إلى قولها، وكانت تفتي ويحترم زوجها فتواها، وكانت الفتوى تخرج وعليها توقيعها وتوقيع أبيها وزوجها، فلما مات أبوها كانت توقع على الفتوى هي وزوجها (الكاساني) لرسوخها في العلم وفقهها الواسع.

تراجم النساء

وقد أورد (السخاوي) في موسوعته الضخمة (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) أكثر من (1070) ترجمة لنساء برزن في ذلك القرن، معظمهن من المحدثات الفقيهات.

أما العالم الموسوعي (جلال الدين السيوطي) فكان لشيخاته دور بارز في تكوينه العلمي، فأخذ عن (أم هانئ بنت الهوريني) التي لقّبها بالمسند، وكانت عالمة بالنحو، وأورد



ساهمت المرأة العالمة في صناعة وتشكيل كثير من كبار العلماء.. وخصص ابن الأثير جزءاً كاملاً للنساء في كتابه (أسد الغابة)

لها ترجمة في كتابه (بغية الوعاة في أخبار النحاة)، وأخذ -أيضاً- عن (أم الفضل بنت محمد المقدسي) و(خديجة بنت أبي الحسن المقن) و(نشوان بنت عبد الله الكناني) و(هاجر بنت محمد المصرية) و(أمة الخالق بنت عبد اللطيف العقبي)، وغيرهن كثير.

وعرفت تلك الفترة من التاريخ عالمة وأديبة عظيمة هي (عائشة الباعونية) التي كانت من الصوفيات والشاعرات المجيدات، وكانت تتبادل قصائد الشعر الصوفي مع أدباء عصرها، ووصفها الغزي في كتابه (الكواكب السائرة في أخبار المائة العاشرة) بقوله: (إنها العالمة العاملة الصوفية الدمشقية أحد أفراد الدهر، ونوادر الزمان، فضلاً وعلماً وأدباً وشعراً وديانة وصيانة)، وكان لها عدد غير قليل من المصنفات والدواوين والقصائد الصوفية.

وقد تولت بعض هؤلاء العالمات مشيخات بعض الأربطة، مثل (زين العرب بنت عبد الرحمن بن عمر) المتوفاة سنة (704هـ) التي تولّت مشيخة رباط السقلاطوني، ثم مشيخة رباط الحرمين.

عطاء في المحن والأزمات

ولم تكتف العالمة المسلمة بالعطاء العلمي في أوقات السلم والرخاء، ولكنها كان لها عطاء علمي بارز في أشد أوقات المحن والأزمات، فعندما سقطت قلاع الإسلام في الأندلس وفُرض على المسلمين التنصر، ومارست محاكم التحقيق أشد وأبشع أنواع التعذيب ضد المسلمين، اضطر بعض الناس إلى إظهار التنصر وإخفاء الإسلام، ورغم هذه السياسات الإسبانية القصرية، فإن المسلمين هناك كانوا يمارسون نشاطهم العلمي، وكانت هناك امرأتان تمثلان المرجعية العليا للمسلمين في علوم الشريعة حيث تخرج على أيديهن كثير من الدعاة المسلمين الذين حفظوا وحملوا الإسلام سنوات، وهما (مسلمة أبده) و(مسلمة

آبلة) حيث تخرج عليهما الفقيه (أبيرالو) الموريسكي الذي ألَّف كثيراً من كتب التفسير والسنة باللغة الألخميادية التي ابتدعها المسلمون هناك.

المرأة أديبة وشاعرة

ولم يقتصر دور المرأة في المجتمع الإسلامي على العلم والفقه فقط، بل برعت المرأة في مجال الأدب والشعر، حتى فاق بعضهن الرجال، مثل الخنساء (تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد السلمية) التي تعد من أشهر نساء العرب قبل الإسلام وبعده، وهي من المخضرمين، لأنها عاشت في عصرين: عصر الجاهلية وعصر الإسلام، وقد شهدت مجيء الدعوة الإسلامية، ووفدت مع قومها على رسول الله فأسلمت معهم في العام الثامن من الهجرة، وصارت صحابية جليلة ذات مكانة وفضل، وهي من أشهر شاعرات العرب، ولم تكن امرأة أشعر منها، وبعد أن أسلمت استطاعت بإيمانها أن تكون قدوة طيبة لنساء عصرها والعصور التالية لها، واشتهرت بشعر الرثاء في الجاهلية والإسلام. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعجبه شعر الخنساء، وينشدها بقوله لها: (هيه يا خناس ويومي بيده).

وقد عرفت بحرية الرأي وقوة الشخصية، حيث نشأت في بيت عز وجاه مع والدها وأخويها معاوية وصخر، وأجمع علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها، فقد قال بشار فيها: لم تقل امرأة قط شعراً إلا تبين الضعف فيه، فقيل له: أو كذلك الخنساء؟ قال: تلك فوق الرجال.

ابن بطوطة زار في رحلته المسجد الأموي بدمشق وسمع فيه من عدد من المحدثات

وقال النابغة الذبياني: (الخنساء أشعر الجن والإنس)، وسئل جرير عن أشعر الناس فأجابهم: أنا، لولا الخنساء، قيل فيم فضل شعرها عنك، قال بقولها:

إنَّ الزمانَ وما يفنى له عَجَبُ
أبقى لنا ذنباً واستؤصلَ الرَّاسُ
إن الجديدين في طول اختلافهما
لا يَفْسُدانِ ولكن يفسدُ الناسُ

وقد كان للخنساء مواقف كثيرة في سوق عكاظ منها: موقفها مع هند بنت عتبة بعد موقعة بدر الكبرى؛ إذ قتل فيها والدها عتبة بن ربيعة وعمها شيبة بن ربيعة وأخوها الوليد بن عتبة. فأقبلت هند ترثيهم، وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية، وأنها قد سومت هودجها براية وجعلت تنشد الناس وتبكيهم وأنها تقول: أنا أعظم العرب مصيبة، وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك.

فلما أصيبت هند بما أصيبت به وبلغها ذلك قالت: أنا أعظم من الخنساء مصيبة، وأمرت بهودجها فسوم براية، وشهدت الموسم بعكاظ، فقالت أقرنوا جملي بجمل الخنساء ففعلوا، فلما دنت منها قالت لها الخنساء: من أنت يا أخيَّة؟ فقالت: أنا هند بنت عتبة، أعظم العرب مصيبة، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك فيم تعاظمين؟

فقالت الخنساء: بعمرو بن الشريد، وصخر، ومعاوية،



وابني عمرو، وبم تعاظمين أنت؟ قالت: بأبي عتبة بن ربيعة، وعمي شيبة، وأخي الوليد. قالت الخنساء: أو سواء عندك؟ ثم أنشأت تقول:

أبكي أبي عمراً بعينٍ غزيرة
قليلٍ إذا نام الخليُّ هجودها
وَصِنْوَيّ لا أنسى معاوية الذي
له من سراة الحَرّتَين وُفُودُها
وصخراً ومن ذا مثلُ صخرٍ إذا
غدا بساحته الآطال قزمٌ يقودها
فذلك يا هند الرَّزيَّةُ فاعلمي
ونيرانُ حَرْبٍ حينَ شبّ وقودها

فقالت هند تجيبها:

أبكي عميدَ الأبطحين كليهما
وحاميهما من كل باغ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي
وشيبة والحامي الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب
وفي العز منها حين ينمي عديدها

وللخنساء موقف آخر مع النابغة وكبار الشعراء، فقد كان النابغة تضرب له قبة حمراء في سوق عكاظ، ويجلس الشعراء العرب على كرسي وتأتيه الشعراء فتنشده أشعارها فيفاضل بينهم، فأنشدت الخنساء في بعض المواسم قصيدتها الرائية التي ترثي فيها صخراً، والتي مطلعها:

قذى بعينيك أم بالعين عوَّارُ
أمْ ذرفتْ إذ خلت من أهلها الدار

فأعجب بشعرها وقال لها: اذهبي فأنت أشعر من كل ذات ثديين، ولولا أن هذا الأعمى أنشدني قبلك (يقصد الأعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم فإنك أشعر الجن والإنس.

فغضب حسان بن ثابت وقال: أنا أشعر منك ومنها، فقال: ليس الأمر كما ظننت، ثم التفت إلى الخنساء فقال: يا خناس خاطبيه. فالتفتت إليه الخنساء فقالت: ما أجودُ ما قلته في قصيدتك التي عرضتها آنفاً؟ قال قولي:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقالت ضعفت من افتخارك في ثمانية مواضع في بيتك هذا. قال: وكيف؟

قالت: قلت (لنا الجفنات) والجفنات ما دون العشرة، ولو قلت الجفان لكان أكثر، وقلت (الغر) والغرة بياض في الجبهة ولو قلت البيض لكان أكثر اتساعاً. وقلت (يلمعن) واللمع شيء يأتي بعد شيء، ولو قلت يشرقن لكان أكثر لأن الإشراق أدوم من اللمعان، وقلت (بالضحى) ولو قلت بالدجى كان أكثر طراقاً، وقلت (أسياف) والأسياف ما دون العشرة ولو قلت سيوف لكان أكثر. وقلت (يقطرن) ولو قلت سلن كان أكثر، وقلت (دما) والدماء أكثر من الدم. فسكت حسان بن ثابت. فهذه المواقف تدل على شاعرية الخنساء ومكانتها وسط الشعراء.

كان للنساء دور بارز في تثقيف وتربية الفقيه ابن حزم الأندلسي





سؤال الظل

د. واسيني الأعرج
باريس



هل من بيت آخر للحكمة؟

أن تترجم أدبك للآخر، وتأتي أيضاً بثقافته نحوك؛ معناه أن تكون حياً ثقافياً، وأن تقبل بالمراهنة على المستقبل، والدخول في عالمية قد تكون محرجة ثقافياً، لكن لا خيار؛ لأن الكثير من يقينياتنا تحتاج إلى هزات عنيفة تضعها في مدار هذه القرية الصغيرة التي اسمها العالم. قرية تتشكل يومياً بالمعارف الإنسانية، وليس بالخطابات الجاهزة والسهلة والقاتلة لأية بذرة للتطور. أن تترجم معناه أيضاً أن تقبل بترميم الأنا المنكسرة التي عليها أن تتخلص من الكثير من الزوائد المعطلة، وتتبنى بطريقة خلاقة معطيات العصر الثقافية والحضارية، أي أن تنتمي لزمانها وعصرها، مثلما حدث مع الكثير من البلدان الآسيوية كاليابان والصين وكوريا واندونيسيا التي لم تعطلها تقاليدها الثقيلة، المتأتية من زمن بعيد، من أن تعيد النظر في نفسها، وتسلك الطريق الأسلم للتطور؛ لأنها أدركت أن مصيرها وحياتها متوقفان على الخيارات الحداثية، الضامن الأوحد للخروج من دائرة الموت البطيء والتخلف.

تشكل الترجمة، ترجمة الثقافة وقيمها المنتجة عربياً، وترجمة المعارف الأجنبية، في هذا السياق؛ السلاح الأقوى الذي بدونه لا يمكن تصور خروج قريب من دائرة التقوقع والانغلاق على الذات. المأمون، الخليفة العباسي، أدرك في وقت مبكر، في ظل هيمنة الثقافات الشرقية القديمة، الفارسية والهندية والصينية؛ أنه لا حل إلا باللجوء إلى الترجمة، فأسس بيت الحكمة الذي أخذ على عاتقه ربط المجتمع العباسي بمنجزات العصر.

لا يمكن طرح قضية الترجمة في العالم العربي خارج هذه الأسئلة الكبيرة التي لم تحل للأسف، وما تزال معلقة إلى اليوم، لأنها تصب بالضرورة في العالمية التي تشكل مبتغى أدبياً حيوياً لكل أديب ولكل أمة، وإلا ما قيمة ترجمة لا تصب في العالمية كأفق إنساني ينقلنا من التربة المحلية إلى سياق أكثر اتساعاً؟

تطرح مشكلة الترجمة إلى لغات أخرى أسئلة كثيرة ليست باليسيرة، إذ أنها تحدد قيمة هذا الأدب وارتباطه بالآداب العالمية، وتحدده إنسانياً. المشكل هو بأي المقاييس الموضوعية تنتقل النصوص نحو هذا الحلم الذي يبتغيه كل محترف للكتابة؟ قد يكون في الإجابة بعض التعقيد، ولكن يمكننا أن نبسط الأمر قليلاً ونقول: النص العالمي هو النص الذي حقق شيئاً من الاتساع وأصبح جزءاً من الذاكرة الإنسانية. اخترق الحدود بوسائطه الفنية الخاصة، واستقر نهائياً في عمق التفكير الإنساني، ليصبح جزءاً من ثقافته اليومية. بهذا المنطق لن تجد كل النصوص الناجحة مكانها في هذه الدائرة. تتفرد أربعة نصوص في ثقافتنا العربية عن غيرها؛ لأنها إلى اليوم ما تزال تشكل جزءاً مضيئاً من الذاكرة الجمعية الإنسانية: القرآن الكريم الذي اخترق كل الحدود الوضعية ليستقر داخل وخارج أرض نشأته. وفصل المقال لابن رشد الذي ساهم في النقاش الإنساني الدائر حول دور الأديان وموقعها في تسيير المدينة **La Cité**. وألف ليلة وليلة التي صبغت مخيال العالم بقصصها. وإلى حد ما رسالة الغفران للمعري؛ لأنها تختبئ في أعماق أهم مرجع ثقافي أوروبي: الكوميديا الإلهية لدانتي آليغري الذي وضع الثقافة الغربية في أفق الحداثة، على الرغم من طغيان الكنيسة وقتها ومحاكم التفتيش المقدس التي عطلت التفكير الإنساني. هذه أهم النصوص التي أنجزتها العبقرية العربية، ودخلت في النسيج الثقافي العالمي، وساهمت في تحويله للعمق، فتخطت الحدود، وأصبحت جزءاً من الذاكرة الجمعية الحية. الأسباب مختلفة: القرآن احتل هذه الذاكرة وانتقل عبر العالم لقداسته أولاً، ولقوله الجديد وسط إنسانية غالبيتها من الفقراء والمحرومين، كانوا في حاجة إلى نص ينصفهم ويرفع من شأنهم ويدافع عنهم، فعَبَرَ من خلال حروب طاحنة وفتوحات متوالية بلاد الهند والسند وآسيا وأفريقيا وجزيرة أيبيريا وجزءاً مهماً من أوروبا، ليترك ملامسه وآثاره على

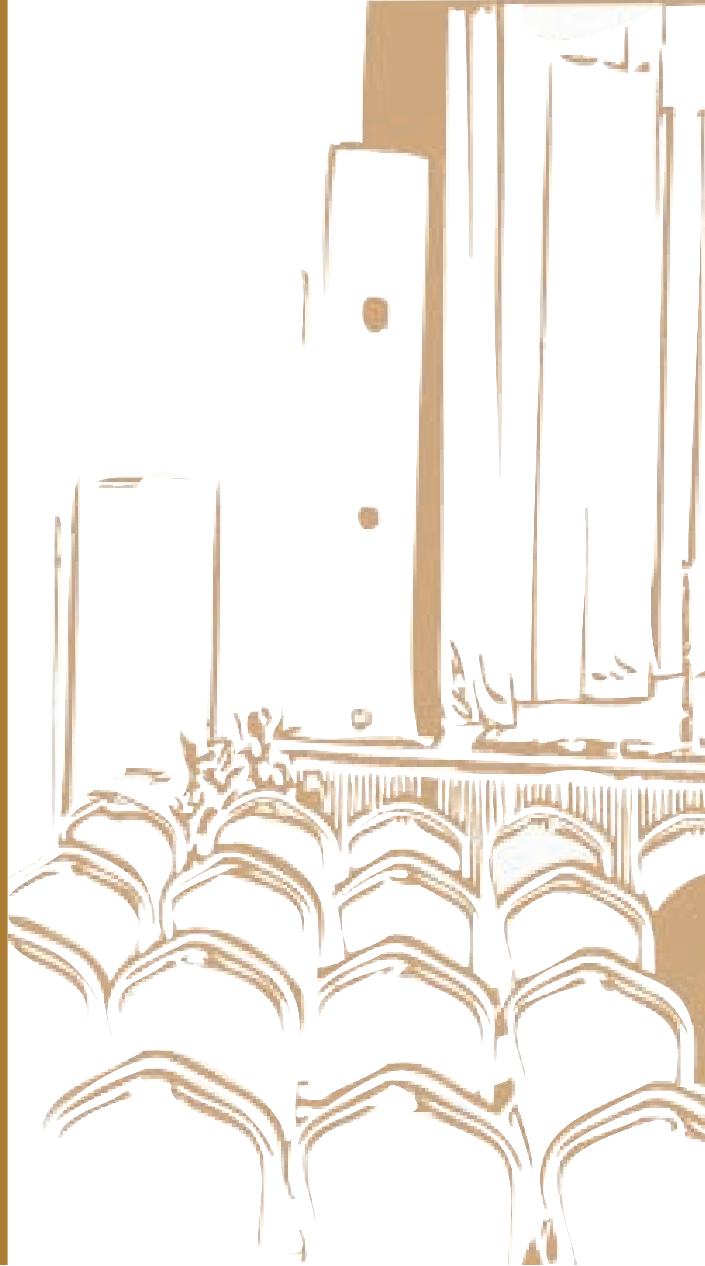
قطاعات واسعة من المجتمعات الإنسانية. أما نص فصل المقال، فقد منح أوروبا الغارقة في تقديس الحروب الدينية ومحاربة العقل، وسيلة استثنائية للفصل بين فعل العقل المتحرر والكنيسة المنغلقة على مقولاتها المتكررة، وهو ما حرر لاحقاً أوروبا من سيطرة محاكم التفتيش المقدس، ومنحها إمكانية التطور والانتقال إلى مجتمع الحداثة. أما بالنسبة لألف ليلة وليلة، فالعكس هو الذي حدث، فقد دخل بسلاسة إلى الدوائر الثقافية الإنسانية، كما تفعل النصوص العظيمة، فحرر الذاكرة الجمعية من ظلامها وذعرها ووضعها أمام حرياتها وقلقها الوجودي، وأعاد لها ألق الشوق الإنساني والرغبة في الاستمرار، لأن الحياة رهان جميل يستحق كل الاهتمام، بالاعتماد على الوسائل التي تحرر الجسد والعقل. أما رسالة الغفران، فقد كانت وراء نهضة شعرية أوروبية أعادت للشعر الإنساني، والأوروبي تحديداً، ألقه، وأخرجته من دائرة التكرار، إذ لم تكن الكوميديا الإلهية من حيث بنيتها الداخلية إلا عودة إلى رسالة الغفران التي بُنيت بدورها على رحلة الإسراء والمعراج النبوية، أخرجت إنسان العصر من دائرة الضيق وحررت مخياله إلى أبعد الحدود ليقول حياته وتاريخه وانشغاله.

حققت هذه النصوص العربية عالميتها من خلال علاقتها المتشابكة مع الفعل الإنساني الذي سدت أمامه نقصاً معرفياً وإبداعياً محسوساً. قد يكون العامل الزمني مهماً جداً في تحقيق هذه الغاية، أو هذه النقلة باتجاه رحابة لا حدود لها. من هنا يتبدى بوضوح أن العالمية في هذا السياق، لا تصنعها دائماً اللحظة الراهنة، والحاضر المتغير باستمرار؛ ولكنها ديمومة في الزمان والمكان، تستجيب لحاجة إنسانية حساسة. شكسبير دالة واضحة على ذلك، لم يكن شيئاً يذكر في الزمن الذي عاشه مهمشاً، فقد أهمل على مدار القرنين اللذين أعقبا وفاته، ولم يكن أحد ينشغل بقوة مسرحه التراجيدي، وانتظرت البشرية قرنين من الزمن قبل أن تضعه على رأس صناع التراجيديا الخالدين. فقد عبرت نتاجاته عن رؤية عالمية واسعة، أعادت تشكيل المسرح من أساسه. هذا وحده كاف لأن يجعلنا نتأمل ما يحدث أمامنا من حركة وتموجات ترفع نصوصاً إلى مصاف النصوص العالية، وتنزل نصوصاً عالية القيمة إلى حضيض التغاضي والنسيان. يجب أن يدفعنا ذلك إلى الكثير من التأمل والتريث. كل شيء يحمل في عمقه صيغة المؤقت والهش. العالمية مدار تاريخي وليست إطاراً زمنياً، لا إرادة للبشر فيه مهما حاولوا، وإلا لكانوا خلدوا كتاب الحواشي الضعيفة التي لا شيء يفرضها إلا قوة السلطان. إن ألف ليلة وليلة صارت جزءاً من الذاكرة العالمية بفعل تأثير سحرها في المخيال الجمعي بالمعنى الإنساني الواسع، عبر امتداد التاريخ، وعبر فعل تلاقحي شرقي غربي معقد، إذ لا أحد عاقل ومتبصر يهمل ملمس أنطوان غالان **Antoine Galland** على الليالي.

يبدو أننا اليوم بصدد عالمية مبتورة تحتاج بالفعل إلى تأمل حقيقي، جانبها الظالم لا يمكن نكرانه أبداً، ولكنه مؤقت. ليس كل ما تقذف به هذه العالمية صالح لأن يكون مهماً، تاريخياً ولا زمنياً. إن الذاكرة قاسية، ويمكن أن تنساه بسرعة كبيرة، لأنه في النهاية صناعة إعلامية، وليس أدبية، تعتمد على وسائلها الداخلية الخاصة. وإلا لماذا لم يلتفت نحو ساحة عربية شاسعة ثقافياً، كانت إلى وقت قريب منتجة للمعرفة وغنية بإسهاماتها، على الرغم من حالات الإحباط المتكرر، إلا بعد قرابة القرن من إنشاء جائزة نوبل مثلاً؟ المتأمل للثمانين سنة السابقة لنجيب محفوظ يكتشف أن الإبداعية العربية لم تكن جافة ولا ميتة، وأسهمت إلى حد بعيد في أنسنة مجتمعات حكمها مدة طويلة القهر العثماني، وقاتلت من أجل حداثة مستعصية، وقاومت الاستعمارات المتتالية باستماتة من خلال نصوص إبداعية تشكل اليوم مراجع ثقافية متميزة وعظيمة. ربما يكمن الضعف الكبير في أنّ العرب غير معنيين بالقدر الجاد بترجمة معرفة الآخر للاستفادة منها، كما أنهم غير منشغلين بتوصيل ثقافتهم وفكرهم وأدبهم على وجه الخصوص، إلى الآخر كما تفعل البلدان التي تهمها صورتها العالمية. وهو ما ينقص العرب اليوم وبشكل فادح، في ظل إعلام دولي متغطرس، وغير عادل. كيف يمكنهم أن يغيروا الصورة التي ألصقت عنوة بهم، ويتم استهلاكها وكأنها حقيقتهم النهائية؟

الطيب الصديقي
عميد المسرح المغربي





محمد القاضي: المغرب

يرى الباحث المسرحي الدكتور عبدالكريم برشيد أن الحديث عن الطيب الصديقي هو في حقيقته وجوهره اختصار مركز مكثف لكل تاريخ الإخراج في المسرح المغربي، ذلك لأن هذا المبدع قد وسم المسرح المغربي الحديث بسمات هي كالوشم أو الحفر على الرخام أو الكتابة بالنار. ولهذا فعطاءاته كانت من السعة والعمق والتنوع، بحيث لا يمكن أن نجملها ونختصرها داخل هذا الحيز الضيق.



أمن الطيب الصديقي بأن المسرح يجب أن يكون محترماً لأنه الفن الوحيد الذي نذهب إليه مع من نحب

انخرط الفنان الكبير المقتدر عن وعي في ميدان المسرح وتفاعل معه، وشكل بذلك مدرسة قائمة بذاتها متميزة بخصوصياتها، استمرت في عطائها الجيد لأكثر من أربعة عقود من الزمن، من خلال أعماله الرائعة التي شكلت منطلقاً جيداً لمسار المسرح المغربي مثل (ديوان سيدي عبدالرحمن المجذوب) و(مقامات بديع الزمان الهمذاني) و(أبي حيان التوحيدي) و(الفيل والسراويل) و(الحراز) و(المولى إسماعيل).. وغيرها من الأعمال الرائدة. فقد عمد إلى توظيف فنون البساط ومسرح الراوي والأهازيج الشعبية والألعاب البهلوانية والنقلات الكاريكاتيرية والحكايات الشعبية، مما جعله يحول كل نص مسرحي مهما كان موضوعاً موغلاً في التاريخ إلى فسحة كبيرة للتفرج والاندهاش.

واكب الحركة المسرحية الحديثة بالمغرب، منذ انطلاقتها بعد الاستقلال، وعايشها عن قرب عبر كل تحولاتها وازدهارها وانتكاساتها، وساهم بقسط كبير في التعريف بالمسرح المغربي سواء في العالم العربي أو في أوروبا. وصفه الدكتور حسن المنيعي بأنه (لغز) وظاهرة فذة، تألقت في المغرب والمشرق، وعملاق المخرجين المغاربة، قدم مسرحاً منوعاً، شكلاً ومضموناً.

مسار حياة

ولد في مدينة الصويرة الواقعة على الساحل الأطلسي سنة 1937م. والده هو الفقيه المفتي المؤرخ محمد بن سعيد الصديقي، صاحب كتاب (إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة)، وكان يملك خزانة كبيرة في بيته، فيها من الكتب والمخطوطات الكثير. وكان لوالده تأثير كبير على حياته.

(ولدت في بيت فيه من الكتب الكثير، وأيضاً المخطوطات التي تجاوز عمرها خمسة أو ستة قرون، والمخطوطات الأولى الصادرة عن المطابع المغربية الأولى. وكان الوالد مرة في السنة يخرج جميع الكتب والمخطوطات إلى السطح. نقلب صفحاتها لعرضها للشمس وإزالة العث والغبار من أوراقها. كانت لحظات ممتعة ومبهرة مع الكتب التي كنا نضع أحجاراً على أطرافها، إذا كانت هناك رياح.







أنا مثل كل الناس، لوالدي تأثير طبيعي علي، وإن كنت قد فهمت هذا التأثير فيما بعد، حين وجدت نفسي أغوص في أعمال تعود أصولها للوالد).

تابع دراسته الابتدائية بمسقط رأسه، ثم انتقل إلى مدينة الدار البيضاء لمتابعة دراسته الثانوية، وبعد حصوله على شهادة البكالوريا، شارك بالصدفة في تدريب مسرحي بالمعمورة سنة 1954م نظمته وزارة الشبيبة والرياضة تحت إشراف الفرنسيين (أندري فوزان) و(شارل نوك)، حيث انضم إلى (فرقة التمثيل المغربي) التي ضمت خيرة الذين شاركوا في تلك التدريبات، وقد شارك ضمنها في مهرجان باريس لمسرح الأمم سنة 1956م بمسرحية (عمايل جحا) المقتبسة عن (مخاتلات ساكابان) لموليير، ولفتت مشاركته أنظار المهتمين، وبفضل هذا الاهتمام أتيحت له فرصة المشاركة في تدريب بالمركز المسرحي لغرب فرنسا تحت إشراف (هوبير جينيو)، حيث عمل مساعداً للمكلف بالمحافظة العامة بالمسرح الوطني الشعبي (لجان فيلار)، وذلك من فاتح فبراير إلى 31 مارس 1957م.

إثر عودته من فرنسا في السنة نفسها؛ كوّن فرقة (المسرح العمالي) بالدار البيضاء، حيث قدمت في موسمها الأول مسرحية (الوارث) من اقتباس أحمد الطيب العلج في نوفمبر 1957م، ثم مسرحية (بين يوم وليلة) لتوفيق الحكيم، ثم مسرحية (المفتش)، وهي مقتبسة عن غوغول في مارس 1958م بمناسبة الذكرى الثالثة لتأسيس الاتحاد المغربي للشغل.

وفي سنة 1959م قدم مسرحية (الجنس اللطيف) من اقتباسه عن (برلمان النساء) لأرستوفان، وكانت آخر ما قدمتها الفرقة.

وبعد التوقف النهائي لتجربة المسرح العمالي عاد إلى فرنسا ليتم تكوينه. بعد ذلك التحق بمصالح وزارة الشبيبة والرياضة، فاستمر في مسيرته المسرحية مقتبساً ومؤلفاً ومخرجاً، فقدم العديد من المسرحيات.

وفي سنة 1965م تم تعيينه مديراً للمسرح البلدي بالدار البيضاء، وأطلق على فرقته المسرحية اسم (فرقة المسرح البلدي). وانطلاقاً من هذه المرحلة، سيوقع على

عين الصديقي مديراً للمسرح البلدي بالدار البيضاء وأطلق على فرقته المسرحية اسم فرقة المسرح البلدي

أعمال مهمة ابتدأت بمسرحية تراثية مغربية، هي (سلطان الطلبة) التي قدمت في موسم 1965-1966م. ثم تلاها بمسرحيات أخرى مقتبسة من التراث المغربي والعربي. وأوضح أن استحضار التراث العربي الذي يميز أعماله المسرحية؛ كان يهدف من ورائه (إلى البحث عن أشكال أصيلة عوض الأشكال التي نقلدها من المسرح الغربي. والبحث في (مسرح الحلقة) و(مسرح البساط) وسائر أنواع الفرجة في الشارع وداخل البيوت يندرج ضمن هذا الاهتمام...) وأضاف أن بحثه في النصوص القديمة نابع عن (كون المسرح العربي تنقصه «مسرحة النصوص» حتى يكون مسرحاً مبدعاً يخلق من النصوص المكتوبة مسرحاً)، مشيراً على سبيل المثل إلى أن (المقامات مسرحيات لم تمثل، وقصائد الملحون في التراث الشعبي المغربي كقصة الحراز هي نوع من الكوميديا الموسيقية)، دون أن ينسى نصيحة أستاذه الفرنسي (جان فيلار)، حينما قرر العودة إلى وطنه بعد فترة تكوينه في فرنسا، حيث قال له: (عندما تعود إلى وطنك، يجب أن تنسى كل ما شاهدته هنا، وتذكر فقط التكنيك، وتعلم من شعبك الفن الصحيح).

انخرط الصديقي عن وعي في ميدان المسرح وتفاعل معه وشكل بذلك مدرسة قائمة بذاتها متميزة بخصوصياتها

الطيب الصديقي والمسرح الجاد

فعلاً، فقد حاول الطيب الصديقي بإمكاناته البسيطة في البداية إغناء وإثراء المسرح المغربي وبالتالي العربي، فمر بمراحل الاقتباس والترجمات والتنقيب والبحث في النصوص القديمة وغير القديمة، ولجأ إلى النبش في الذاكرة عن المحطات المضيئة أو المعتمة الدالة وتطعيمها بالشروط الإنسانية العصرية الحديثة، دون أن يحصل أي خلل أو مس بالخيوط الخفية للعمل المسرحي، فاحتل مكانة لدى الجمهور المغربي والعربي على السواء، لعراقة تجربته وتفرد أسلوبه وتجرئه على معالجة القضايا الحساسة. وشكل كل عمل جديد من أعماله حدثاً فنياً فذاً يستدعي سبر مقاصده بمنتهى الحيطة والتأني، ويرى أن مسيرة أي فنان مسرحي أو سينمائي أو تشكيلي (لا يمكن أن تكون على نفس النغمة أو الوتيرة، هناك تحولات ومنعرجات، ورجوع أو خمول، وهناك توقفات للمراجعة، فمسيرة الفنان كالحياة، لأنه ليس آلة، ولا يمكن أن يكون كما يقول تروتسكي (ثورة دائمة)، فهناك عودة للصفر... لأنه يجب أن يكون هناك النص، ثم التمارين والإخراج والتشخيص ثم العروض، وعندما يعرض العمل مئتين أو ثلاث مئة مرة، تعود إلى نقطة الصفر، تبحث عن نص آخر، وهكذا).

إن مسرح الطيب الصديقي متميز عن مجموعة من التجارب المسرحية المغربية الأخرى، لأنه دائم البحث عن فرجة ذات خصوصيات، سواء كانت مغربية أو عربية. يكره الروتين، ويعمل على تكسير القوالب الجاهزة في التمثيل والإخراج، فهو صاحب مشروع ثقافي، قدم من خلاله مسرحاً مختلفاً، يعتمد في آلياته الأساسية على الخيال الشعبي بأدواته البسيطة للتعبير، كما أنه كان صاحب مشروع حضاري أدخل المسرح المغربي لأول مرة في مجال القطاع الخاص.

يرى الباحث المسرحي المغربي رشيد أمحجور أننا نحس مع الطيب الصديقي (في مسرح المرح والبهجة، نضحك ونستمتع بالضحك، نعرف أشياء ونتلذذ بمعرفتها،





نعيش لحظات ممتعة وننصرف ونحن ننتظر فرصة أخرى لنستمتع بعرض آخر، بدون أن نؤكد بجديتنا على ضرورة تجاوز بعض الهفوات التي تمليها علينا القواعد المسرحية). وفي فرجة الطيب الصديقي إما أن نتفق أو لا نتفق، إنه اختيار بالأساس للحظات من المتعة والبهجة والمرح ممزوجة بالجمال والثقافة، لا أحد يفرضها على الآخر، ويكفي أن يكون مزاجنا في حاجة إلى ذلك، أوله مسافة عقلية مخصصة لذلك، حتى نتمكن من الخروج على عقلنا أحياناً، وأحياناً أخرى نلج فيها أمثلة من ثقافتنا وثقافة غيرنا فتكون الاستفادة.

عرض مسرحياته في مدن مغربية مختلفة، كما انتقل بها إلى دول عربية وأوروبية وآسيوية، منه (كندا، الجزائر، تونس، مصر، سوريا، العراق، الكويت، إيران، فرنسا).

لقد حرر المسرح من المسرح كما يقول الباحث المغربي عبدالكريم برشيد، أي أخرجه من البناية وجعله يكون تظاهرة شعبية، تتم في أي مكان. فقدم مسرحية (معركة الملوك الثلاثة) في ملعب رياضي، كما قدم مسرحيات أخرى مثل (المولى إسماعيل) في ساحة الهديم بمدينة مكناس، و(ديوان سيدي عبدالرحمن المجذوب) في دروب مدينة الصويرة، و(سلطان الطلبة) في الساحة العمومية وعند أبواب المدن التاريخية، وعمد إلى اعتبار الجمهور طرفاً أساسياً في الاحتفال المسرحي، ووظف الخط العربي في مسرحية (مقامات بديع الزمان الهمذاني)، وأدخل الصور الفطرية التي أبدعها الوجدان الشعبي في مسرحيتي (المجذوب) و(الحراز)، واستلهم الديكور المتحرك من هذه الأخيرة.

يقول الباحث محمد أديب السلاوي إن الطيب الصديقي (ذهب بعيداً في عمق التراث العربي المدون والشفاهي، ليجد نفسه متفرداً بأعمال مسرحية طلائعية، قاد من خلالها معركة التحدي التي استنطقت هذا التراث بكل عناصره وفرجاته وإمكاناته). وفي هذا الخضم يمكن اعتبار تجربة الفرجة لديه تجربة رائدة استطاعت أن تفجر حس التفاعل والمشاركة المضمرين في لا وعي الوجدان العربي والمغربي، لتغدو الممارسة المسرحية عنده ممارسة فرجوية تسعى إلى تحقيق دفء التواصل الحميمي بين الممثلين والمتفرجين، وعياً منه بأن الفرجة آلية سيكولوجية لتحقيق التفاعل الوجداني.

لقد آمن بأن المسرح يجب أن يكون محترماً لأنه الفن الوحيد الذي نذهب إليه مع من نحب، لأنه فن الحب، وحين نذهب إليه نبذل مجهوداً بطريقة غير واعية ونتحلى بأناقة واحترام، فله طقوسه.

لقد جعلنا في مسرحه نضحك على ما ليس معقولاً، وينبع هذا الإضحاك من مقدرته على رصد المفارقات وتضخيمها بشكل كاريكاتوري، ويتجلى ذلك في الديكور والشخصيات واللباس واللعب باللغة، فحملنا إلى سوق عكاظ، وصاحبنا بديع الزمان الهمذاني في رحلاته وتنكراته، وشاطرنا أبا حيان التوحيدي وحدته وتنكر الناس له، وارتوينا من معين الحكمة في رباعيات سيدي عبدالرحمن المجذوب، وتجولنا في قصور ملوك المغرب مع فن البساط والحلقة، كل هذا كان لا يخلو من متعة وإبهار. فأين نحن اليوم من أيام مسرح الطيب الصديقي الجاد، والفرجة، والضحك؟





شـــطـارة

أحمد علي بادي: اليمن

(1)

إنه وقت الظهيرة. قسم الشرطة هادئ مثل مقبرة رغم وجود عناصر العسكر فيه.

وعادة ما يكون الملازم (علي) في مثل هذا الوقت ملازماً لمكتبه، مسترخياً وكرشه المندلق إلى الأمام فوق كرسيه بعد أن يكون في الغالب قد تناول وجبة غداء دسمة ما يجعله أكثر التصاقاً بمكانه.

وفجأة بجواره على المكتب، رن الهاتف:

-ألو!

-...

-نعم، إنه هو..

-...

-ماذا تقول!.. محل مجوهراتك الذي بالقرب منا سرق؟!.

-...

-أرجو أن تهدأ يا سيدي، نحن لسنا نائمين هنا، ثم..

-...

-سأتجاوز عن كل كلامك هذا تقديراً فقط للظرف الذي أنت فيه الآن..

-...

-أطمئنك يا سيدي، واعلم أنا هنا دائماً في خدمة الشعب.

(2)

أغلق الملازم (علي) سماعة الهاتف وكأنه يريد تحطيمها وأخذ ينادي بصوت أقرب إلى الصراخ وقد بدت عقدة الغضب على حاجبيه الكثيفين:

-يا مساعد حسن!

وحين لم تأته الإجابة من النداء الأول، أعاد مرة أخرى نداءه وهو يهوي بقبضته على الطاولة حتى اهتز كل شيء كان موضوعاً فوقها.. لحظتها فتح الباب لتلج منه جثة بالغة القصر والسمنة تتدحرج أكثر من كونها تمشي على قدمين حتى استقرت أمام حافة طاولة المكتب، وأدت تحيتها العسكرية في ارتباك:

-احترامي سيدي!

-أين كنت كل هذا الوقت.. هل كنت نائماً؟.. يبدو أني أعول هنا على مجموعة من الكسالى!

-أرجو المعذرة سيدي في الحقيقة كنت..

-لا أريد سماع أي تبريرات الآن.. وعليك في الحال أن تأخذ كل العناصر الموجودين في القسم.. هل تسمع الكل وتذهبوا لتروا محل المجوهرات هذا الذي سرق بالقرب منا.

-تمام سيدي، ولكن ألا يجب أن يبقى أحد معك هنا؟

-لا تناقش أيها الغبي قلت لك الكل ألا تفهم.. أريد أن أثبت لذلك المواطن كيف أننا دائماً على أهبة النجدة والاستعداد و.. ثم هل أنا مجبر على الشرح لك. هيا انصرف ونفذ الأوامر!

-حالاً سيدي!

أدى المساعد تحيته العسكرية مرة أخرى للانصراف وعاد بجثته إلى التدحرج من جديد وكان يجاهد هذه المرة بسرعة أكبر حتى يصل إلى الباب.

(3)

بدأ يسكن انفعال الملازم (علي) وبدأت عقدة الغضب التي كانت على حاجبيه تنفك. التقط من (الباكت) المرمي أمامه على الطاولة سيجارة. وما أن بدأت سحائب دخانه تسبح في فضاء المكان حتى راح فجأة يقهقه بصوت عال:

-يظلون مساكين هؤلاء المواطنين!

(4)

حين وجد الملازم (علي) أن القسم قد فرغ كلياً من عناصره العساكر.. انتزع نفسه ناهضاً من فوق مكتبه يتقدمه كرشه المنتفخ عاقداً يديه خلف ظهره وغادر المكتب.

ذهب يعسعس في ممرات القسم، وصوته يسبقه:

-أنت يا من تختبئ هنا أو هناك.. أظهر وبان عليك الأمان.

وحين لم يأته رد.. أعاد بصوت أعلى:

-قلت عليك الأمان.. أعرف أنك هنا.

ومن ظلمة إحدى الدهاليز فجأة.. يظهر شبح رجل وكأنه انبثق من ثنايا الجدران، كان يلتف في ثياب سوداء لكأنها قد فصلت من تلك الظلمة التي خرج منها، وانتصب أمام الملازم قائلاً بنبرات القلق الذي يشوبه شيء من الخوف:

-هل حقاً علي الأمان؟!

-قلت لك في أمان، وليس هنا سوانا.. هيا اتبعني إلى مكتبي فأنا أعرف أن غنيمتك اليوم كبيرة.

دراما الحموات









د. ناصر أحمد سنة: مصر

طُلبت مني مداخلة هاتفية في برنامج صباحي على إحدى الفضائيات. وذلك لمناقشة موضوع (الحموات، ما بين الفن والواقع)، في ضوء تلك (الصورة الذهنية السلبية) المأخوذة عنهن في المسرحيات، والأفلام، والمسلسلات، والأمثال الشعبية، والرسوم الكريكاتورية. إذا كانت الدراما: (حكاية لجانب من الحياة الإنسانية يعرضها ممثلون يقلدون الأشخاص الأصليين في لباسهم، وأقوالهم، وأفعالهم)؛ فإنها تتجلى بسخاء في دراما الحموات. فما بين طبول وزغاريد الأفراح، صراخ ودموع الأتراح.. تستمر دراما (الحماة، والكنة). دراما واقعية تراجيدية عريقة. فهي مسرحية، وفيلم، ومسلسل، ومثل شعبي يتم عرضها، يومياً، بمشاهد مختلفة.



هناك كنات يعاملن حمواتهن بود وتراحم وتعاطف واحترام ويرفعن لافتات: حماتي تحبني

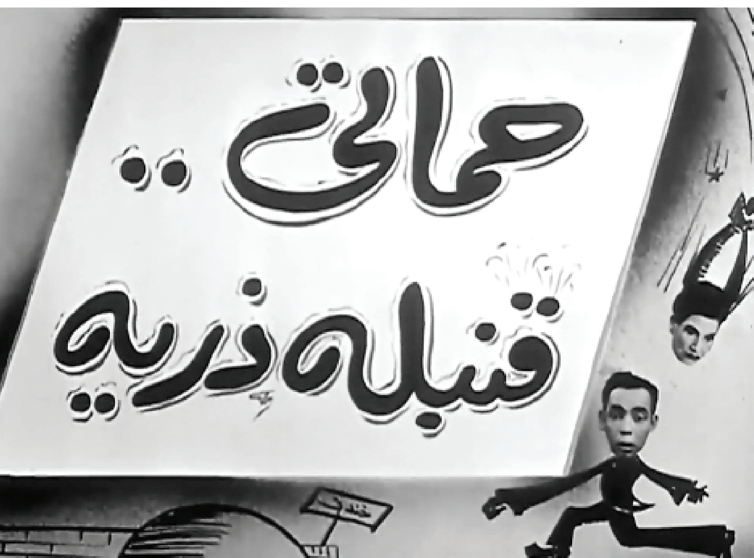
وقد تعددت الأعمال الدرامية التي تناولت بصورة أو أخرى شخصية الحماة. ففي عشرينات القرن الفائت ظهرت مسرحية (الحماة) (1926) التي قام ببطولتها (بشارة واكيم)، و(عبد الحليم القلع)، و(علية فوزي). كما أخرج (فؤاد شبل) فيلماً بعنوان (حماتك تحبك) (1950) بطولة (تحية كاريوكا)، و(محمود المليجي). ويحكي قصة (حميدو) سائق الأجرة الذي يجد حافظة نقود تركت سهوًا في سيارته. فيذهب ليعيدها لصاحبها الثري في قصره. لكنه يطلب منه أن يحل محله لأن زوج صديقته سيحضر، وما عليه إلا أن يواجه الموقف بدلاً منه. لكن خطيبة (حميدو) تظن أنه على علاقة غرامية بهذه المرأة، وتتعقد الأمور. ولا يستطيع (حميدو) النجاة من هذه المواقف، ويكاد اليأس يستولي عليه. وفي النهاية يكشف الثرى الحقيقة، ويعود (حميدو) لخطيبته.

وفي فرقة (نجيب الريحاني) المسرحية.. اشتهرت (ماري منيب) (1905-1969) بدور (الحماة القاسية، المسيطرة، المتسلطة، الغيورة، وأحياناً الطيبة). وكانت عنواناً درامياً رائداً. وتفننت في ابتكار كافة أشكال الوقيعة بين الزوج والزوجة. وبرعت في ذلك بخفة دم ملحوظة، ومواقف كوميدية طريفة. مما جعلها لدى جمهورها (الحماة النكدية، والقاسية، والمحبوبة، والمفضلة) في آن. لذا لقبت بأشهر حماة في السينما العربية، وتلاها في المكانة الفنانة (ميمي شكيب) (1913 - 1983)، وأختها (زوزو شكيب) (1909 - 1978)، و(نعيمة الصغير) (1931 - 1991)، و(عزيزة حلمي) (1929 - 1994).

ولم تدخر (ماري منيب) جهداً في أعمالها المسرحية، والسينمائية في الوقيعة بين ابنتها وزوجها، أو ابنها وزوجته (الكنة). وتفوقت في هذا الشأن في مسرحياتها: (حماتي بوليس دولي)، و(سلفني حماتك)، و(أحب حماتي). كما قدمت هذه الشخصية (المركبة) في أفلامها: (حماتي قنبلة ذرية)، و(الحموات الفاتنات)، و(حماتي ملاك) إلخ. ومن أشهر جملها في الأفلام: (أنا حماتك مدوباهم اثنين)، و(طوبة على طوبة خلي العركة منصوبة). ففي شريطها السينمائي (حماتي قنبلة ذرية) (1951) من إخراج حلمي رفلة، وبطولة (إسماعيل ياسين)، و(تحية كاريوكا). قامت بدور حماة (زاهر) التي تقسو عليه بشدة. وتعمل على إفساد علاقته الزوجية بابنتها (بطة). التي كانت حائرة بينها وبين وزوجها، وعاجزة عن إرضاء الطرفين. لكن أمها أحالت بيتها إلى جحيم، ونجحت في إفشال حياتها الزوجية. فتم الطلاق برغم حب الزوجين لبعضهما البعض. ثم يتزوج (زاهر) من (حلاوة) ابنة الثري المعلم (حسونة). وتتزوج (بطة) من المعلم (حسونة) نفسه. لكن في النهاية اكتشف (زاهر وبطة) أن الحماة قامت بمؤامرة كي ينفصلوا. فيقرر (زاهر) ترك (حلاوة)، وتنفصل (بطة) عن المعلم (حسونة). وتعود الحياة الزوجية بينهما مرة أخرى.

وهناك فيلم (الحموات الفاتنات) (1953) لحلمي رفلة، وبطولة (كمال الشناوي) و(ماري منيب)، و(كاريمان)، و(ميمي شكيب). ويتناول قصة زوجين في بداية حياتهما. فالشاب (سمير) (كمال الشناوي)، شاب وسيم في منتصف العشرينات، يعمل في شركة مقاولات. ويتزوج من فتاته التي أحبها (نبيلة) (كاريمان). لكن بعد عدة أيام من زواجهما تقرر والدة (نبيلة) الانتقال للعيش معهما. مما أثار غيرة والدة (سمير) فتقرر بدورها أن تكون بجانب ابنها. وبدأت المشاجرات والمشاحنات بين الوالدتين بسبب وجودهما





معاً تحت سقف واحد. ودبت الفوضى في البيت الجديد. لذا يقرر (سمير) التخلص من حماته، بتزويجها. لكن بدأ النزاع بين (الحموات الفاتنات) على العريس. وبعد مواقف وأحداث قررت (نبيلة) وأمها ترك المنزل. وانهارت الحياة الزوجية التي حلم بها (سمير). وبدأت المشاكل في عمله، بينما كانت (نبيلة) تنتظر مولودها. ويتهم (سمير) في حادثة اختلاس تودي به في السجن. وتعلم الزوجة بما حدث لزوجها فتقرر الوقوف بجانبه تاركةً وليدها تحت رعاية الحماتين اللتين ما زالتا في عراك مستمر. وتنتهي محنة (سمير) وتظهر براءته، وأن السارق هو ابن صاحب الشركة. ويستعد للم شمل أسرته من جديد مع ابنه الذي لم يره. لكنه يتلقى خبراً بتعرض ابنه لحادث ناتج عن انشغال الحموات بالعراك المعتاد. وينتهي الفيلم في المشفى، حيث الوالدان ولهفتهما على ابنهما. والشعور بالأسى من قبل الحماتين، وندمهما، واعترافهما بخطئهما عندما تدخلتا في حياتهما. فتطلبان الصفح، وتقرران الابتعاد عن حياتهما وتركهما في سلام.

وتنوعت المشاهد التي أبدعت فيها (ماري منيب) في دور الحماة. ويبقى أكثرها براعة وكوميدية مشهد ذهابها في فيلم (هذا هو الحب) (1958) لصلاح أبو سيف، لرؤية العروس (شريفة) (لبنى عبدالعزيز). فأعطتها المكسرات لتتأكد من سلامة أسنانها، ومن ثم تشد شعرها لتعرف أنه (ليس مستعاراً). كما تبدأ في (الطبطبة) عليها لتتأكد من أنها (مدورة ومليانة). وتتم الزيجة لحسين (يحيى شاهين) المهندس في البلدية، ذو العقلية المتزمتة. والذي أعياه البحث عن زوجة لم تعرف رجالاً من قبل. ووجد بغيته في (شريفة). وبعد عشرة أيام من شهر العسل، يكتشف (حسين) أن زوجته كانت تعيش في الماضي (قصة حب) لم تكتمل. فاعتبرها ليست سوى (امرأة ساقطة)، فطلقها.

وفي (حماتي ملاك) (1959) لـ(عيسى كرامة)، وبطولة (إسماعيل ياسين)، و(ماري منيب)، و(آمال فريد)، و(يوسف فخر الدين)؛ تدور الأحداث حول (صبري) الذي يعيش مع زوجته في سعادة. لكن تحضر (الحماة) (ماري منيب) من الإسكندرية. ولا تستريح للاستقرار الذي فيه ابنتها، فتحرضها وتؤثر عليها. ويبدأ (صبري) في الشك في سلوك زوجته، مما يدفعها لترك المنزل، وطلب الطلاق. فيتفق مع صديقه (كمال) أن يعلن عن موته كذباً. ويصل الخبر للحانوتي (خميس) عبر فتاته الخادمة. فيحضر كي يتمم إجراءات الدفن، لكنه لا يجد الجثة، وتتوالى المواقف الكوميدية. فلقد قام (صبري) بذلك كي ينتقم من حماته. وتحاول زوجته الانتحار لفراقه، لكنها تفشل. وتتضح الحقيقة وتعود المياه لمجاريها ويطلب الزوجان عدم تدخل الحماة في شؤونهما الزوجية.

وكانت (ميمي شكيب) (1913 - 1983) تمثل (الحماة، الدلوعة الأرستقراطية، بنت صلطح بابا). ولعلها تنطبق عليها المطربة (ليلي نظمي) (حماتي يا نينة دلوعة عليا). وقد شاركتها العديد من الأفلام، لعل أبرزها فيلم (الحموات الفاتنات) في دور (سعاد هانم) التي تنحدر من أصول أرستقراطية لها طابع خاص. وترغب في (دس أنفها، وفرض خياراتها) على ابنتها وزوج ابنتها. كما لا ينسى دورها في الفيلم الكوميدي (البحث عن فضيحة) (1973)، حيث شاركها بطولته (عادل إمام)، و(سمير صبري) و(ميرفت أمين) و(يوسف وهبي)، وأخرجه (نيازي مصطفى). وفيه ينتقل المهندس الساذج (مجدي) (عادل إمام) من صعيد

من الأمثال الشعبية التي تتناول الحماة: إذا كثر ضحك حماتك خاف على نفسك وحياتك.. والحماة حمّى وأولادها عقارب سامّة





تحاول الحماة فرض سيطرتها وتسلطها على زوجة ابنها فتسعى بفضول وغيرة للتدخل في شؤونهما الخاصة

مصر للعمل بشركة المقاولات العربية بالقاهرة. ويريد الارتباط بفتاة جميلة حسب رغبة والده لتحسين نسل العائلة. ويتعرف على المهندس (سامي) (سمير صبري) زميله بالشركة ويقيم معه بشقته. ويصرح له عن وصية أبيه. ثم يقع (مجدي) في غرام (حنان) (ميرفت أمين) ويصطدم برفض أمها (ميمي شكيب) المتسلطة. والتي ترغب في ارتباطها بابن اختها (ريكو) (ناجي أنجلو). لكن بعد محاولات منه وبمساعدة (سامي)، ينجح هو ووالدها في إقناع والدتها بالزواج.

وها هي (الحماة المستبدة المتسلطة) (نازلي) (نعيمة الصغير) (1931-1991) تشجع ابنتها (كريمة) (معالي زايد) على التمرد وطلب الطلاق لانشغال زوجها (سمير) (محمود عبدالعزيز) عنها. ففي العمل السينمائي (الشقة من حق الزوجة) (1985) من إخراج (عمر عبدالعزيز) اقترن (سمير) الموظف الجديد في إحدى المصالح الحكومية بزميلته (كريمة) ابنة رئيسه في العمل. وتبدأ المشاكل المادية بمجرد ولادة طفلتهما الأولى. فيشتري (سمير) سيارة أجرة بالتقسيط، ويعمل بها، ليلبي احتياجات أسرته المادية. وتشعر (كريمة) بالملل بسبب انشغال زوجها عنها. فتتدخل والدتها (نازلي) في شؤونها الخاصة، وتشجعها على التمرد، وطلب الطلاق. ويتم الطلاق بشكل عفوي، ويبدأ النزاع حول ملكية الشقة. حيث يصدر الحكم بإقامة الطرفين فيها. ويتعرض (سمير) لسلسلة من المضايقات من حماته فيضطر لترك الشقة، والإقامة في فناء أحد المقابر. تندم (كريمة) وتذهب للبحث عنه، وتستدل بصعوبة على مكانه. ويلتقيان وتعتذر له وتعده بالابتعاد عن أمها، إذا ما عاودا حياتهما مرة أخرى.

وعلى جانب آخر.. لعبت الفنانة (عزيزة حلمي) (1929-1994) دور (الحماة الأم، الحماة الملاك)؛ بملامحها الهادئة الطيبة، وأسلوبها الخاص الذي يخفف المشاكل ويمتلك حلولها. لذا تعتبر (أماً ثانية، وليست حماة)، فتخبرها الزوجة بكل شيء وتصارحها، وتجد فيها العفوية والتلقائية والمساعدة والبذل والتضحية والإيثار والصدر الحنون الذي يرطب الأجواء بين الزوج والزوجة. وتنحاز دوماً إلى الزوجة ضد ابنها. كما تعامل زوج ابنتها بعطف ورحمة الأم. فهي ترغب في أن يعيش أولادها في سعادة دائمة. شاركت (عزيزة حلمي) في فيلم (حماتي قنبلة ذرية).

أما مسلسل (كيد الحموات) (2014) فدراما تلفزيونية رمضانية عائلية كوميدية من إخراج (أحمد صقر). وتدور أحداثه، حول أربع سيدات مختلفات في طباعهن الشخصية. يتزوج أبناؤهن فيبدأن في تطبيق (أزمة سيطرة الحموات) سواء على زوجات أبنائهن، أم على الأبناء شخصياً. وبخاصة في بداية حياتهم الزوجية (ترتفع بصورة ملحوظة نسب الطلاق في العام الأول للزواج). فتنشأ معارك كوميدية، وصراعات وهمية، ومقالب اجتماعية. وإقحامهن في المشكلات التي تحدث بين الزوجين دون مراعاة للخصوصية، ما يؤدي إلى تضخمها، وإفشال بعضها. وتنتهي غالب المشاكل (بجلسة صلح) بين بطلتي العمل (ملك) (سوسن بدر) و(نور) (ماجدة زكي) في برنامج تليفزيوني. فتعترفان بخطئهما في التعامل مع أبنائهما. ويغلق مشهد النهاية على تأكيد كل منهما على عدم التدخل في حياة أبنائهما، لكن بنظرات كوميدية تتوعدان لجزء جديد بمشاكل أكثر. وقد شارك هذه الدراما عدد كبير من الفنانين.





(دراما) الأمثال الشعبية

شاع هذا (المأثور الشعبي) عبر السنين فأصبح من الفلكلور الذي يعكس شعبياً العلاقات الإنسانية حال السواء، والصحة أو المرض. وفي (سخريته) يطالب كافة الأطراف بتصويب مسارهم لتحول (العلاقات) من (الفصام إلى الوئام، ومن الشقاق إلى الوفاق). ولا يغيب عن البال أن هنالك عدداً من الكنات اللواتي يعاملن حمواتهن بود، وتراحم، وتعاطف، واحترام. ويرفعن لافتات: (حماتي تحبني)، (رضاك يا حماتي)، (حماتي هي أمي) إلخ.

فعن (الحماة.. وتأثيرها، وصراعها لتنازع الملكية وحب السيطرة والاستحواذ، والاستغلال والغيرة والفضول)؛ نجد كثيراً من الأمثال الشعبية منها: (إذا كثر ضحك حماتك خاف على نفسك، وحياتك)، (الحماة حمّى، وأولادها عقارب سامّة)، (الحماة حمّى، وأم الزوج عقربة سامّة)، (الميه والنار ولا حماتي في الدار)، (حماتي ريتك تموتي، وعلى بيتي ما تفوتي)، (دلل حماتك بتكسب حياتك)، (دلل حماتك، واكسب ودها أحسن ما تفتح لك طاقه ما تقدر تسدها)، (بوس يد حماتك، تحبك مراتك)، (بوس يد حماتك، ولا تبوس مراتك)، (بوس مراتك، تفرح حماتك)، (اللي يخاف من حماته يفش خلقه بمراته)، (ما قدر على حماته، قام على مراته)، (علشان طيبة حماته صابر على قرف مراته)، (دائماً يا حماتي، تتمنى مماتي)، (الحماة اللي بتحب الصهر عجبه من عجايب الدهر)، (علشان مراته متحمل حماته)، (قال حماتي مزهقاني قال طلق بنتها)، (وفري نصائحك يا حماتي وقوليها لمراتي)، (حماتي بطبريا وصوتها واصل ليا)، (حماتك بتحبك) إلخ.

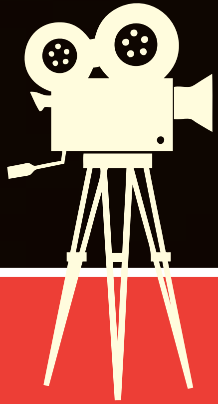
وعن (دراما الحماة، والكنة) تشاع المأثورات الشعبية التالية: (الحماة ما بتحب الكنة ولو كانت حورية من الجنة)، (أنا حملت وبدي ربت، وبنت الناس عني تبدت)، (ياكنة مين علاكي غير جوزك وبيت حماكي)، (مكتوب على باب السما ما عمر كنة حبت حماة)، (قوموا اسمعوا هالفنة بين الحماة والكنة)، (على ابنها حنونة وعلى كنتها مجنونة)، (قالوا للحماة ما كنتي كنة، قالت كنت ونسيت)، (الكلام إلك يا جارة اسمعي يا كنة)، (بين الطنة والرنة ضاعت بين الحماة والكنة)، (اجتمعوا الكناين والحكي على الحموات) إلخ. وقفت الحماة قبالتها بالعرس وقالت: (آويها يلي قاعدة جنب ابني، آويها ما فيكي شي عاجبني، آويها هلأ بتقولي حبني... آويها بكرة بتقولي كبني، آويها وإن ما مشيتي دغري، آويها لتلاقي بيت الضرة مبني). فردت عليها العروس بالقول: (آويها وحيات شالك وشنشالك، آويها بعد أسبوع لأفضالك، آويها وإن شاء الله فأل الله ولا فالك، آويها لأشغل بالك وأنهب مالك، آويها وابنك ما بيهنالك، آويها وبعدها لفرجيكي حالك...) إلخ.

جملة القول: تحاول الحماة فرض (سيطرتها، هيمنتها، تسلطها) على زوجة ابنها، فلذة كبدها، و(هديتها) لها. فتسعى بفضول، وغيرة للتدخل في شؤونهما الخاصة، وتملي عليهما وجهة نظرها التي تعتبرها مفيدة لسعادة ابنها مع زوجته. بينما (تكافح) الكنة لتعيش حياتها، وتجربتها الزوجية الجديدة (مستقلة، مستقرة). وتشكل عالمها الزوجي، و(مملكتها) الخاصة كيفما تشاء، مع احترام (خصوصياتها). ولعلها إن احتاجت شيئاً ستسعى للمشورة.

وفي (دراما الحموات).. يبقى (الزوج) هو (ضحية الصراع، والتنازع)، في حين أن كليهما (يريد سعادته، لا تعاسته).

الدراما حكاية لجانب من الحياة الإنسانية يعرضها ممثلون يقلدون الأشخاص الأصليين في لباسهم وأقوالهم وأفعالهم





أساطير في حيّز التنفيذ

عاطف الصبروتي: مصر

المقال لا يتناول الفيلم من الناحية النقدية، ولذلك لا يعتبر مقالاً نقدياً. هذا المقال هو مثال واضح لوسيلة من وسائل الدعاية للأفلام الروائية الطويلة، إنه يهدف إلى ترويج الفيلم، وهذه النوعية من المقالات تعتبر طريقة للدعاية غير المباشرة للأفلام أثناء عرضها تجارياً في دور السينما.

يعتمد المقال الترويجي على إعطاء قدر محدود من المعلومات عن طبيعة أحداث الفيلم، وعن صانعيه، وعن الظروف المحيطة بتنفيذه، وذلك من أجل إيجاد حالة من الشغف والتشويق لدى القارئ، وبالتالي تتولد عنده رغبة في معرفه المزيد عن أحداث الفيلم، فيقرر مشاهدة الفيلم، وكلما زاد عدد المشاهدين كلما زادت الأموال التي يحصدها الفيلم، وبالتالي تزداد الأرباح عن التكلفة الإجمالية لإنتاج الفيلم. تم نشر هذا المقال في مجلة سينمائية شهيرة Empire، وقت انطلاق فيلم (أساطير الخريف) تجارياً في دور العرض. وقد قمت بترجمته من أجل أن نتعرف أكثر على طبيعة هذه النوعية من المقالات التي تعتبر إحدى وسائل فن الدعاية للأفلام الروائية الطويلة. وهذا النوع من المقالات غير معروف في العالم العربي. الآن، هيا بنا نستكمل -سوياً- ما جاء بعد الاستهلال مباشرة.

ها هو إدوارد زويك مخرج فيلم (أساطير الخريف) يفتخر وهو يصرح قائلاً: (إن هذا الفيلم عبارة عن قصة حياة رجل. وإنجاز هذا الفيلم هو قصة حياة مخرجه. إنها لملحمة).

الفيلم الملحمة بدأ عندما كان المخرج ما يزال طالباً مفعماً بالآمال في معهد السينما. في بداية الأمر قرأ إدوارد زويك قصة قصيرة من تأليف جيم هاريسون تدور أحداثها عن أب وأولاده الثلاثة نشؤوا في مونتانا في العقد الأول من القرن العشرين. عندما نشرت هذه القصة في مجلة (المحترم) كان إدوارد زويك في السادسة والعشرين من عمره، ويدرس في (معهد الفيلم الأمريكي) في لوس أنجلوس. يتذكر إدوارد زويك بداية معافرة سبعة عشر عاماً لتحويل القصة إلى شاشة السينما، فيقول: (اتصلت بالوكلاء والناشرين، كنت وقتها طالباً في معهد السينما. سخروا مني وأخبروني أن الحقوق كانت مملوكة لأشخاص آخرين).

هذه القصة عن نزاعات ومواقف بطولية لعائلة (لودلو). ولمدة طويلة، كان ينظر إلى هذه القصة باعتبارها غير رائجة من الزاوية التجارية. يؤدي أنتوني هوبكنز دور الأب الكولونيل المسن، وبراد بت، وإيدان كوين، وهنري توماس؛ أدوار أبنائه. معظم الشخصيات الرئيسة يصيبها المرض، تموت، يصيبها الجنون، أو تقرر الانتحار.

لكن عندما أجريت التعديلات كان كل ممثل في موقعه بالضبط. إنهم ليسوا من النجوم المتلألئة في السماء إلا أنهم ممثلون يحققون الأرباح في شباك التذاكر. يعتبر اختيار براد بت هو أهم نجاح للمخرج إدوارد زويك، وقد حقق فيلم (مقابلة مع مصاص الدماء) للممثل براد بت عائداً قدره 105 ملايين دولار. إن انضمام أنتوني هوبكنز، والوجه الجديد البريطانية المتألقة جوليا أورموند، لفيلم (أساطير الخريف)؛ جعل الفيلم على رأس قائمة أعلى الإيرادات في الولايات المتحدة الأمريكية طوال أربعة أسابيع متتالية، وهو في طريقه لجمع 60 مليون دولار أمريكي، والبقية تأتي. وقد وقعت جوليا أورموند عقد فيلم أمام هاريسون فورد وعنوانه (سابرينا) وهو اسم بطلة الفيلم.

لنسترجع ما حدث في كندا عندما زرنا الموقع الذي فيه تصوير الفيلم. ثمه برودة ورطوبة، كان فريق العمل في وقت الاستراحة وتناول الغداء. أمسك إد زويك بفطيرة واصطحبنا إلى غرفة بالطابق العلوي، وأخذ يتحدث عن عشقه لهذا الفيلم بنفس الحماس الذي يتفحص به طعامه.

يبدو أن زويك كان موفقاً في اختيار الممثلين، إن اشتراك هوبنكز الفائز بجائزة الأوسكار الثمينة، مع هنري توماس الذي كان صبياً عندما مثل في فيلم (إي. تي)، وانضمام إيدان كوين الأقل شهرة من براد بت، وغير المعروفة على الإطلاق جوليا أورموند؛ جعل إدوارد زويك يُسَلِّم بأن ما لم يكن مقتنعاً به كان هو الصواب.

يقول إدوارد زويك عن مجموعته المتنوعة: (لنتأمل ما يفعله الفيلم الجيد، إنه يجعلك ترى الشخص في إطار لم تره فيه من قبل، ويمنح للممثل جوانب مختلفة في الدور الذي يتيحه الفيلم للمثل).

يقول هنري توماس الذي يتناول غداءه في الطابق العلوي بعيداً عن هذا الحشد: (علمت أن هناك إيدان كوين، وقلت لنفسي إن الأمور تسير على ما يرام. سمعت أن هناك أنتوني هوبكنز، كنت كمن تحقق له أمل، وبعد أن وقع اختيارهم على جوليا اختاروني. بعد أسبوع بدأنا التدريبات وكنت أشعر بانتعاش).

توضح جوليا أورموند قائلة: (عندما تركز في عملك، وتدس أنفك بين شقي الرحاة مع أناس مثل براد وإيدان اللذين يُعرفان بأنهما نجمان كبيران؛ تجد أنه مع نهاية اليوم يصبحان صديقين وزميلي عمل. لكن عندما تتحدث عن الأشخاص الذين تعمل معهم فإنك تسرح بفكرك بحق، وتقول ياه.. انظر من الذين أعمل معهم!).

يطالعنا أنتوني هوبكنز بحيويته وابتهاجه وهو يسير مع زوجته خلال موائد الطعام، ولا يبتغي معاملة خاصة. بعد الغداء تقابلنا في الطابق العلوي مع هذا المسرحي لنتحدث عن أول أدواره على الإطلاق كرجل من رجال الغرب: (ذات يوم قلت للمخرج إني قد جسدت شخصيات كتبها شكسبير وابسن وتشيكوف، لكن طوال حياتي تدربت كي أكون رجلاً من رجال الغرب)، هذا ما يقوله أنتوني في بهجة، وهو يرتدي قبعة رعاة البقر، وحذاء ذا رقبة، و(كوفية) حمراء جميلة حول رقبته.

يتابع حديثه فيقول: (انظر إليَّ، أنا لست بمستكشف علاج للسرطان، إنما حصلت على أجري كي أطلق العنان لأهواء مرحلة الطفولة).

يتردد هوبكنز على لوس أنجلوس بعد حصوله على جائزة الأوسكار عن أدائه لشخصية (هانيبال). اتصل به وكيل أعماله وأخبره بأنه معروض عليه دور راعي بقر. إنه الشيء الذي يشتهيه منذ أيام صباه التي كان يشاهد فيها أفلام جون فورد. تهلل وجهه وهو يذكر أن (هذا الدور هو الذي جعلني أقلع عن أدواري الإنجليزية الثابتة، وساعدني كي أواصل العمل في صناعة السينما التي هي أكثر شيء أحبه).

وقع الاختيار على براد بت، ليؤدي دور ترستان، هذا العاشق المتجهم المشاكس الذي يصعب معرفة مخبره في تلك العائلة. هذا الاختيار لم يتم في عُجالة كما حدث مع هوبكنز.

يحكي إدوارد زويك: (قرأ براد النص السينمائي قبل عامين من قدرتي على اختياره للتمثيل. لم يكن حتى اشترك في فيلم (ثيلما ولويس). قلة هم الذين يعرفون أن براد عمل لمدة يومين في أحد المسلسلات التليفزيونية. وبدأنا في اللقاء

يذكر براد بيت في سخرية حزينة أنه أقر ببلوغ ذروة النجاح في فيلمين متتابعين أحدهما (أساطير الخريف)



والتحادث بشأن الدور، بينما أخذت أعماله في التدفق، كان متحمساً للدور في حين كنت أكافح من أجل تنفيذ الفيلم).

ذاك المسلسل التليفزيوني الناجح الذي أخرجه زويك لا يعتبر علامة بارزة في قائمة أعمال براد بت.

في ذلك الوقت تزوج زويك، وأصبح له أبناء، ووافت المنية أخاه. عاش بين نجاح وفشل، كل ذلك جعله في احتياج إلى تنفيذ هذه القصة فحسب.

يستطرد إدوارد زويك قائلاً: (حكيت كيف أن حياة الإنسان تتبلور عن طريق الإخفاقات، والحزن، وكذلك الانتصارات. ترستان هو الإنجازات المتمناة الخاصة بكل واحد منا. إنه شخص يعبر عن أكثر الأفكار بدائية التي تنتابنا، ونتصرف على أساسها. إنه إنسان غير مقيد بالأعراف).

استغل زويك نجاح فيلمه (عن الليلة الماضية). عُرض الأمر على جيف ساجنكسي الرئيس السابق لشركة النجمة الثلاثية. يواصل زويك حديثه فيقول: (وجدت أن الشركة حريصة على التعامل معي مرة أخرى. حاولت العثور على الكاتب المناسب ولم أفلح، قابلت بيل ويتلف، كان عليه أن يشتغل في فيلم (يمامة وحيدة). مضى عام دون أن نستطيع البدء في العمل. لذا أنجزت فيلم (مجد)، وهو عن الحرب الأهلية، وقد فاز الممثل دينزل واشنطون بجائزة أفضل ممثل في دور مساعد عن هذا الفيلم. عاد الكاتب ومعه العمل في شكله المبدئي، لكن الشركة قد بيعت ولم تُبد اهتماماً. أنجزت فيلماً آخر وهو (الرحيل بصورة طبيعية).

ثمة حقيقة، وهي أن الممثلات الأمريكيات المشهورات توسلن للحصول على الدور الذي حصلت عليه جوليا أورموند.

يقول إدوارد زويك: (أردت إنسانة تدرك تماماً أن سوزانا هي امرأة ترستان المكبلة بأعراف ذلك العصر. قابلت عدداً كبيراً من الممثلات ولم أستطع أن أعثر على واحدة تروق لي بحق، إلى أن رأيت جوليا في الفيلم التليفزيوني (ستالين). اتصلت بها في إنجلترا. رتبنا لوصولها إلى نيويورك. ركبنا الطائرة أنا وبراد وتمكنا من إجراء اختبار الشاشة معاً. جوليا استوعبت وتفهمت طبيعة الشخصية، ثم كان علي أن أقنع القائمين على أمر الأستوديو بأن يضعوا ثقتهم في ممثلة غير



معروفة تؤدي الدور النسائي البارز الوحيد.

هناك مشكلة ضخمة وهي الاثنان والثلاثون مليون دولار ميزانية الفيلم. أرجأ كل من زويك وبراد الحصول على معظم أجرهما على سبيل التعاون.

يقول زويك: (استفدت من عملي في التليفزيون كيفية أن تزيد أموالك على المدى البعيد، وإني أفتخر بذلك).

نحن الآن في أصغر منظر مجهز للتصوير في العالم، وهو حجرة لا تتجاوز مساحة الخزانة، بالكاد ينحشر في الحجرة براد وهوبكنز، وهما على وشك تصوير مشهد الحانة المفعم بالتوتر، والذي يحاول فيه براد أن يطيح بمنضدة الساقي. يجلس براد في هدوء في أحد الزوايا استعداداً للمشهد. يشتبك براد مع الساقي الذي





يرفض أن يخدم صديقه الهندي. ينجح هوبكنز في تهدئة براد لبرهـة إلا أن بـراد يهجـم على ذلك المتعصب بقطعة خشب. مشهـد آخر ويحضـر براد المرهق ليتحدث عن دوره. دون ذرة غرور يقول إن ترستان هي الشخصية التي ولد كي يجسدها.

يقـول بـراد بت: (عندمـا أؤدي دوراً أجدني أشـعر دومـاً بأن هناك شخصاً ما أفضل مني في تمثيله لهذا الدور. هذه المرة وجـدت أنـه لا يمكن لأي أحـد أن يؤدي الدور أفضـل مني، فأنا أعرف الطريق والمنحنيات التي سلكها هذا الشاب).

إن فيلمنـا يعتبـر مـن النـوع المفعـم بالمناظـر الخارجيـة، أعطت مشاهد الحرب العالمية الأولى المخرج الفرصة لذلك، ثمـه خنـادق ومئات من المـواد المتفجـرة المزروعـة لمحاكاة نيران المدفعية، ومئات من الجنود يموتون وسط الانفجارات.

إلا إن زويـك تولـى مهمـة جَعْـل كل دولار لـه قيمـة. يذكـر أن التصـويـر الـذي تـم فـي كنـدا علـى أسـاس أنهـا مونتانـا؛ وفـر للقائميـن علـى الإنتاج عـبء مليونـي دولار، نتيجة قيمة التحويل. كان زويك صاحب لمسة بارعة في خفض النفقات.

(لي خبرة سـابقة بالمسـرح حيث الإيحاء يعتبـر أمراً مهماً. ذات ليلة استخدمنا 800 شخص في واحد من مشاهد الحرب، ثـم 300 فـي الليلة، ثـم 100 في الليلتين التاليتيـن. بدا العدد أكبـر من ذلـك بكثير، لأننا عملنا على أن تظل الصـورة مفعمة بالحياة).

(ذهبنـا إلـى جامايـكا وقضـينا ثلاثـة أيـام، خلالهـا جعلنا جامايـكا تبـدو وكأنهـا غينيـا الجديـدة، وأفريقيـا، والبحـار الجنوبية، وجامايكا. فعلنا ذلك بأشـياء قليلة التقطتها عدسة التصـوير، وأنـت وخيالك سـتكملان الباقـي. إن صـورة واحده موحية خير من خمس دقائق من السرد).

اختار زويك أن يصور الفيلم في كالجاري الكائنة في جنوب غـرب كنـدا، لأنها من أشـد المناطـق جفافاً. بعـد انتقال فريق العمـل إليهـا؛ قـرر الطقـس أن يخالـف عاداته، فسـجل أرقاماً قياسـية في معدلات سـقوط المطر. يقول زويك: (لا شك في أنـه لـو لـم يكن هـذا الطقس غيـر العادي لمـا كان هـذا البهاء الموجود في الفيلم. كل شـيء تراه في الفيلم تم تصـويره قبل هبـوب العواصـف أو بعدهـا مباشـرة، إلا أن ذلـك جعـل الأمور صـعبة علينـا. يمكنـك أن ترى الغيـوم الجميلة لكنك لم ترنا ونحن قابعون مدة ثلاث ساعات تحت المصدات بمعداتنا).

يعطـي مشـهد الحانـة الفرصـة للجميع لتجنب العواصـف الغاضـبة. انزوى بـراد وزويك في أحد الأركان، وأخذا يتناقشان في كيفية كسر قطعة من الخشب على رأس شخص ما.

فـي صـباح يوم بارد في ديسـمبر فـي مدينة لوس أنجلوس، يأتـي هذا النجم الظاهـرة من أجل تكملة لقائنا. يعتذر بشـدة عـن كونـه متأخـراً بضـع دقائـق. يلقي بنفسـه علـى واحد من الكراسـي ذات التنجيد. شـعره الأشـقر الطويل غير الممشـط يتهـدل حول وجهه غير الحليق. يقول براد: (حضـرت عائلتي بكاملهـا في العرض الافتتاحـي لفيلم) مقابلة مع (مصـاص الدمـاء)، تصـورت أنـه يتحتم علي تأجير سـيارة مقفلة. نفذت ما عزمت عليه، أمامي متسـع من الوقت على وصـولي الفندق لأني جوعان. عبرت امرأة الشـارع، عرفتها رغم أنها غيرت لون شـعرها وبـدت أقل جمـالاً، توقفت لأحييها. توجهـت لتنظيف السـيارة، المحل صـغير لـم يكن أحـد موجـوداً فيـه. انتظرت عشـرين دقيقـة، زدت سـرعة السـيارة، حزامـي لا يعمـل، هـذه (البنطلونات) واسعة لدرجة أنه يمكنك دعوة أصدقائك فيها.

وقـف ووضـع يـده خلـف حزامه كـي يثبـت أن بنطلونه غير محكم عليه.

يذكـر هـذا الجنوبي في سـخرية حزينـة أنه أقـر ببلوغ ذروة النجاح فـي فيلميـن متتابعيـن همـا (مقابلـة مـع مصـاص الدماء)، و(أساطير الخريف).

(كل واحـد يريـد أن يقـول لـك إنـك جيمس ديـن. النـاس تصـيبني بالذهـول فهـم يريـدون وضـعك فـي تصـنيفات. إن النجومية لشيء يبعث على الارتباك).

ثمه حقيقة وهي أن الممثلات الأمريكيات المشهورات توسلن للحصول على الدور الذي حصلت عليه جوليا أورموند

حرام آخر

أحمد مصطفى سعيد: مصر

واربت الباب
ودَّعت خمس سنوات عشق
والأحلام البكر
جلت خضاب الذكريات
وجلة هي
أُطمئنها
الغد سيحمل لنا
الرغد
الطيب
الشهد
فالصبر
الصبر
لسنوات الجدب وقت
أف صار وردها اليومي
لها الحق
فالجرذان فارقت البيت
ذات العشرين خريفاً
فرَّت
وبقي صداها

يرتل عبرات:
زوجي الحالم
واهمٌ أنت
انظر
من فوقك
تحتك
حولك
لا غمام
لا يمام
زوجي الحالم
لا تبحث عنّي
في الحارات
الروح تعشقك
الجسد
مات
الجسد الحر
صار عبداً
للقيمات



ابتكار الانطباعية

تاجر اللوحات الشهير دوران رويل

رشا عدلي: مصر

تستضيف صالة ناشيونال جاليري بلندن، معرضاً بالغ الأصالة يوثق سيرة فنية لرجل لا نعرف حتى الآن ماذا نطلق عليه، وتحت أي مسمى نستطيع أن نصنف مهنته، هل هو تاجر لوحات فنية أم هو ذواق للفن التشكيلي ومتابع جيد له.

وعلى أي حال، هناك شيء مؤكد لا يمكننا الاختلاف عليه، هو أن له بالغ الأثر في الحركة التشكيلية الانطباعية، ولولاه لما وجدت هذه الحركة أو خرجت للضوء وعرفها الجمهور، وهذه هي المرة الأولى التي يقام فيها معرض من هذا النوع، ليعرفنا برجل على قدر كبير من الأهمية، لم يسطع اسمه في سماء الفن لأن الدور الذي يؤديه كان من خلف الستار، ليدفع الآخرين لهالة الضوء. إنه بول دوران رويل (1831 - 1922)، الذي عاصر بداية الحركة الانطباعية، وظل يشد من أزر روادها آنذاك. ففي الوقت الذي كانت تتجاهلهم الأوساط الفنية، وترفض صالات الفن عرض لوحاتهم، ويهاجمهم الجمهور في الجرائد والمجلات؛ كان هو يراهن بعناد بماله وبسمعته على هذا التيار الجديد، وكان عناده هذا بمثابة حياة أو موت بالنسبة له، فمنذ ظهور هذه الحركة، وقد أخذت في التحقير الذي أدى إلى استبعادها من الصالون الرسمي لباريس 1870م، وتحالف النقاد وبعض الكتاب كإميل زولا ضدها، وأكبر شاهد على ذلك النص الذي يعلق بالمعرض لذم الانطباعية، يقول أحدهم: (لوحاتهم مريعة، لا تملك أي قيمة، منجزة من قبل معتوهين).

هكذا كانت تصنف الانطباعية وقتها بأنها لوحات مريعة رسمها حفنة من المعتوهين، ونجح بول دوران بجدارة في تحديه لهم حتى تم الاعتراف المطلق بقيمة وجمال هذا النوع من الفن التشكيلي الجديد، ولم تتوقف مسيرته في مؤازرة هؤلاء الفنانين حتى بعد الاعتراف بهذا النوع من الفن، بل ظل يواصل رهانه وتحديه منذ بداية نشأة هذا النوع من الفن في 1870 حتى توفي عام 1922، فأخذ يسافر ويقدم الانطباعية في معارض العالم، فمن باريس، للندن، لنيويورك، وروما، يعرض المعرض حوالى ثمانين لوحة انطباعية من مجموعته الخاصة التي تمسك بعدم بيعها أو التفريط فيها. وإن دلت تلك الأعمال فهي تدل على الذوق الراقي الذي كان يتمتع به، فهي لوحات قمة في الجمال والإبداع، وقد أجمع كل من مؤرخي الفن ونقاده على أهمية الدور الذي قام به دوران رويل، فهو بدون شك كان المحرك الرئيس للحركة الانطباعية، ولم يكن دوران هو تاجر الفن الوحيد الذي أدى دوراً محورياً في تاريخ الفن التشكيلي، فهناك الكثير منهم قاموا بأدوار مهمة في مساعدة الفنانين، ولولاهم لما سطعت أعمال عظماء مثل: فيرمير وفان جوخ ورامبرانت للضوء، ولكن الاختلاف في أن دوران لعب دوراً مهماً وأساسياً ليس في حياة فنان واحد فحسب، ولكن في وجود حركة تشكيلية جديدة، لعدد كبير من الفنانين. لم تكن علاقة دوران بالفنانين علاقة عمل فقط بقدر ما كانت علاقة إنسانية، فكان يساعدهم في استئجار الإتيليه الخاص بهم ويشتري لهم المواد التي يحتاجونها لإنجاز أعمالهم، وفي كثير من الأحيان كان يمدهم بالأموال اللازمة للمعيشة. قال مونيه عن ذلك: (لولا دوران لقضينا من الجوع). في عام 1872 قام بشراء جميع أعمال إدوار مانيه، وكان الفنان الفرنسي بيسارو، يمر بضائقة مالية فخصص له دوران راتباً شهرياً مقابل أعماله المقبلة، وقد

دوران رويل.. هل هو تاجر لوحات فنية أم هو ذواق للفن التشكيلي؟ الثابت أنه صاحب الأثر الأبلغ في الحركة التشكيلية الانطباعية ولولاه لما وجدت هذه الحركة



تعرف تاجر اللوحات على مانيه وبيسارو في لندن أثناء الحرب البروسية على فرنسا، وسرعان ما ابتاع أعمالهما وعرضها في الجاليري الخاص به في حي ماي فير بلندن، وأصبح للجاليري الخاص به في باريس عدة أفرع في لندن ونيويورك وبروكسل، تعرض فيها الأعمال الانطباعية، حتى أصبحت تلك الحركة هي الأكثر انتشاراً في العالم. وليقينه بهذا النوع من الفن، اشترى 12 ألف لوحة في الفترة ما بين 1891 و1922، منها ألف لوحة لمونيه، و1500 لرينوار، وأكثر من 400 لديغا، و800 لبيسارو، إلى جانب 200 لمانيه، و400 لماري كاسات. ومعرض ابتكار الانطباعية هو معرض متجول لاقى إقبالاً بشكل كبير من الجمهور، حيث تعرض فيه قطع فنية لأول مرة من مقتنيات دوران، وهي أعمال مميزة وفريدة، وسيتجول المعرض من مدينة لأخرى ليقدم لنا بالإضافة لمجموعة اللوحات المميزة، الدور الكبير الذي قام به رجل واحد بمساندة فنانين عظماء، في وقت لم تكن أعمالهم تلقى أي قبول. ويعد معرض ابتكار الانطباعية توثيقاً لتلك الحركة وانتشارها، فنجد ديكوراً لغرفة الجلوس في شقة التاجر، تعرض على حوائطها لوحات لرينوار ومونيه، حيث كانت هذه هي طريقته في عرض وإقناع زواره، وكان عدد كبير منهم من زبائنه، وبعد عرض هذه اللوحات بمنزله يقوم بوضعها في الجاليري الخاص به، ثم يقوم بطبع كتالوجات خاصة بهم، ودوران رويل كان يتمتع بحدس خاص كتاجر الجواهر الذي يعرف قيمة مجوهرات بعينها، فإن أدرك أهمية وقيمة هذا العمل يقوم بشرائه على الفور، وفي أوقات كثيرة يقوم بشراء الأعمال جميعها لتكون أعمال الفنان حكراً عليه هو فقط، وفي إحدى غرف المعرض كانت لوحات الفنان ديلاكروا التي قال عنها رويل: (هذه الصور فتحت عيني على أن أساعد هؤلاء الفنانين)، وأكثر الأعمال المشاركة، لمونيه، ورنوار، حيث أن دوران رويل كان محتكراً لأعمالهم، وهناك أعمال تاجر آخر كان منافساً له، وهو (إمبرواز فول)، وقد تخصص في أعمال فان جوخ وسيزان وبيسارو وسيسلي وديفا ومانيه. وتكشف وثائق البيع والشراء التضارب الكبير والتناقض ما بين الأسعار في هذه الفترة 1870 - 1900 مثال لوحة مانيه (الأنفالد) التي اقتناها دوران 1872 بألفي فرنك ثم باعها بثلاثة أضعاف سعرها، وأهم المعارض التي أقامها دوران كان معرض ضخم في عام 1905 بجاليري غرافتون بلندن، حيث علقت على جدرانه أكثر من 315 لوحة انطباعية لـ200 فنان، ومن ثم انتقل هذا المعرض لصالات الفن بالمدن المختلفة نيويورك- روما- برلين، وذلك أكبر دليل على دور دوران في زيادة شعبية هذا الاتجاه الجديد، وبعد موت دوران توارث أولاده المهنة باحترافية شديدة حتى استمروا في ازدهار صالاته في باريس حتى عام 1974م. وأخيراً يمكننا أن نؤكد أن أهمية المعرض لا تتوقف فقط على الأعمال المعروضة التي لا تقدر بثمن، بقدر إلقاء الضوء على خفايا هذه المرحلة، ونضوج هذه الحركة، وذيوعها وانتشارها في العالم كله.

كانت تصنف الانطباعية بأنها لوحات مريعة رسمها حفنة من المعتوهين ونجح بول دوران في تحديه حتى تم الاعتراف المطلق بقيمة وجمال هذا النوع من الفن التشكيلي





زكريا أحمد

ملحن الروائع



محمد فؤاد علي: مصر

ينتسب الشيخ والد الفنان المبدع زكريا أحمد إلى إحدى القبائل العربية التي تقطن محافظة الفيوم، وبها نشأ وترعرع، وقد جاء إلى القاهرة تلبية لدعوة السيدة زينب له في الحلم من أجل التعليم، ولما عرض الحلم على والده وأخواله وأعمامه وافقوا على سفره إلى القاهرة لتحقيق هدفه وهو التعليم في الأزهر. وفى القاهرة تعرف على أحد أقاربه (زيدان أفندي) الذي كان يعمل في قصر عابدين، وكانت له كلمة مسموعة عند الخديوي، وقد سعى الرجل لدى الخديوي إسماعيل من أجل تعيين الشيخ أحمد في القصر لمعاونته في الأعمال الموكولة إليه، فوافق الخديوي على طلبه.







بدأ اسم زكريا أحمد يلمع من 1922 في المدن والأرياف مما دفع الكتّاب إلى تسطير الصفحات للإشادة بفنه الغنائي والموسيقي

وفي القصر ومن خلال عمله تعرف الشيخ أحمد على الكثير من نجوم الفن الذين كانوا يترددون للغناء في الحفلات التي كان يقيمها الخديوي إسماعيل للترفيه عن نفسه وعن حاشيته، ومن أبرزهم عبده الحامولي وألمظ وساكنة والشلشموني والمنيلاوي والراقصة الأولى في مصر (كوشوك هانم)، كما تعرف على صغار الفنانين وتوطدت بينه وبينهم الصداقات الطيبة، كما شاركهم حفلات الأفراح التي كانت تقام في الأحياء الشعبية من أجل زيادة دخله والوفاء بمستلزمات زوجته الأولى فاطمة التي كانت تقيم مع أسرته في الفيوم، كما سعى إلى قراءة القرآن مقابل أجر يتحصل عليه من الأسر الغنية، حيث عينه أحد أفرادها في وظيفة في الأزهر مقابل أجر مناسب، وزوّجه من فتاة تركية مشهود لها بكرم الأخلاق وطيبة القلب، وهي التي أنجبت له الفنان المبدع زكريا.

ولد الشيخ والفنان زكريا أحمد في حي الحسين أشهر أحياء القاهرة حتى يومنا الحاضر، ولما شب عن الطوق ألحقه والده بكتّاب الشيخ نكلة ليتعلم قراءة القرآن وتجويده وتلاوته، وكان شيخنا زكريا حريصاً على تقديم الحلوى التركية اللذيذة للشيخ نكلة والعريف (المعلم)، فضلاً عن دفعه كل يوم سبت ثلاثة قروش للشيخ نكلة قيمة التعليم في الكتّاب على الرغم من أن القيمة المقررة كانت تعريفة (نصف قرش) أو قرشاً كاملاً، ولهذه الأسباب حظي الطفل زكريا بالترحيب والتدليل من معلميه، ولم يضايقهم منه إلا شقاوته وتكرار هروبه من الكتّاب، وكثرة معاكساته لزملائه، وصبغ وجوههم بالحبر الأحمر الذي كان متوافراً في الكتّاب بكثرة، ولهذه الأسباب كان أولياء الأمور يناشدون ويحرضون الشيخ نكلة على ضرب وتأديب زكريا على الفلقة، وقد انتهز الشيخ نكلة فرصة مساعدة زكريا أحد أقرانه في الهروب من الكتّاب وأسند مهمة تأديبه للشيخ منصور أحد مساعديه، وقد استجاب الشيخ الضرير لصاحب الكتّاب، وضرب صاحبنا ضرباً مبرحاً بالقرعة (سعف النخيل)، ولم يجد زكريا وسيلة للتخلص من قبضة شيخه وتخفيف الضرب عنه إلا بعض ذراع الرجل بعضة قوية أجبرته على تركه والفرار من أمامه وعدم العودة إلى الكتّاب مرة أخرى خوفاً من انتقام الرجل منه، ولما علم والده بهذه الحادثة اصطحبه إلى مقر الأزهر من أجل إلحاقه به، وقد اجتاز صاحبنا زكريا الامتحانات الشفهية التي خضع لها قبل الدخول إلى الأزهر، كما حقق صاحبنا بروزاً ملموساً في دراسته الأزهرية جعلته محط اهتمام شيوخه ومعلميه وزملائه الكبار الذين كانوا يشجعونه على قراءة القرآن ويتمنون له أن يصبح من كبار القراء في المستقبل نظراً لجمال وحلاوة ورخامة صوته، كما لا تفوتنا الإشارة في هذا المقام إلى اهتمام زكريا بهندامه وأناقته (القفطان الشاهي والجبة الخضراء الزاهية والعمامة الأنيقة). وعلى الرغم من تفوقه في التعليم بالجامع الأزهر؛ كان حريصاً في





أوقات فراغه على ارتياد المقاهي (قهوة التجارة) للقاء الموسيقيين والمطربين الأمر الذي أغضب زملاءه فتقدموا لشيخ المشيخة بشكاوى ضده، وقد أحيلت الشكاوى إلى لجنة تحقيق من أجل سماع أقواله ودفاعه عما جاء بهذه الشكاوى، وقد ثبت للجنة صحتها بعد ضبطه متلبساً بقهوة التجارة أثناء تناوله الشاي والبسطرمة على إحدى موائدها، وقد قررت لجنة التحقيق حرمانه من حضور دروسه بالأزهر ومن الجراية المقررة لطلاب الأزهر لمدة عام كامل جزاء وفاقاً على الإثم الذي ارتكبه، والمرة الأخيرة التي خرج فيها زكريا من الأزهر إلى غير رجعة كانت في بداية عامه الثالث عشر بالأزهر بسبب طرد المعلم له بسبب سؤاله عن معنى جزور (الجمل الصغير) وأسباب التوضؤ بعد تناول لحم الجمل الصغير، وعدم التوضؤ بعد تناول لحم الجمل الكبير، الأمر الذي اعتبره تطاولاً على الأحاديث النبوية، وانهال عليه سباً وشتماً وضرباً، ولم يحتمل زكريا هذه الإهانة فقذف أستاذه بمقلمة من النحاس في وجهه، فسال دم الرجل، وأحيل الطالب زكريا مقبوضاً عليه بتهمة جرح معلمه، وبعد الإفراج عنه قرر زكريا عدم العودة نهائياً للدراسة في الأزهر، الأمر الذي دفع والده إلى إلحاقه بمدرسة ماهر باشا في جهة القلعة لاستكمال تعليمه العام بديلاً عن التعليم الأزهري، ولكنه طرد منها بعد يوم واحد من التحاقه بها بسبب ممارسة الغناء في الفصل أثناء الدراسة، وفي الفسحة، وفي وقت الغداء، الأمر الذي رآه ناظر المدرسة إخلالاً بالنظام المدرسي، ولما علم والده بهذه الواقعة اصطحبه إلى المدرسة للاعتذار للناظر عن الخطأ الذي ارتكبه ابنه، ولكن ناظر المدرسة رفض قبول اعتذار الوالد، ووصف الابن بأنه ولد مجنون لا يصلح للتعليم ومن الأجدر إلحاقه بتخت أو فرقة موسيقية، وبناء عليه نال زكريا كل أشكال وألوان القسوة والضرب من والده لإصراره على الغناء وإهمال دروسه المقررة. وفي ضوء هذه الأحداث قرر زكريا أن يصبح قارئاً للقرآن، أو مطرباً، وقد اختار أن يصبح مطرباً بسبب عشق والديه للطرب والغناء والموسيقى على الرغم من حفظهما القرآن الكريم وتلاوته. وقد بدأ الرجل ارتياد الحفلات والأفراح تسللاً وخلسة للاستماع إلى كبار الموسيقيين والمطربين. وفي ذلك يقول أستاذنا صبري أبو المجد في كتابه القيم (زكريا أحمد / القاهرة 1963): بعد خروجه من المدرسة بشكل نهائي انطلق زكريا بكل ما في قوته يغشى الأندية والمجتمعات والصالونات، ويتردد على صالات الرقص والغناء والمقاهي والملاهي، ويتنسم كل مكان يشم فيه رائحة الفن، كما أخذ يحضر الندوات والاحتفالات والأفراح، كما كان شغوفاً بقراءة كل ما يكتب عن الفن، وبخاصة الغناء والموسيقى، وقد سعى بكل جهده إلى التعرف على الفنانين والموسيقيين من مختلف المواهب والأشكال والاستفادة من تجاربهم، فضلاً عن استفادته من التغيرات السياسية

بلغت ألحان زكريا أحمد نحو 500 لحن منها 60 عملاً لأم كلثوم وضع فيها قصارى جهده وعصارة فنه

لماذا ضرب زكريا أحمد معلمه وقرر بعدها عدم العودة نهائياً للدراسة في الأزهر؟

والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي طرأت على المجتمع المصري بعد حادثة دنشواي العام 1906، ومن أهم معالم وملامح هذه الفترة من تاريخ مصر ظهور المسارح الغنائية وانتشارها في مصر، وكان زكريا أحمد حريصاً على مشاهدة عروضها وحفظ موسيقاها وكلمات أغانيها، خصوصاً التي كان يؤديها الشيخ سلامة حجازي، كما استفاد صاحبنا من التجارب التي كان يقدمها أهل الفن في المقاهي والنوادي وصالات الرقص. وقد بدأ اسم زكريا أحمد يلمع ابتداء من العام 1922 في المدن والأرياف، الأمر الذي دفع الكتّاب والفنانين والمبدعين إلى تسطير المقالات والصفحات للإشادة بفنه الغنائي والموسيقي، ومن أبرزهم الشيخ يونس القاضي الذي عرف شيخنا زكريا



بفنان الشعب الشيخ سيد درويش الذي التقى به في الإسكندرية أثناء عمله في قهوة بلدي بكوم الدكة مسقط رأسه، وأقنعه بالانتقال معه إلى القاهرة حيث مجالات العمل أكثر والفوائد المالية والقيمة الفنية أعلى، وقد أكد صبري أبو المجد في تعليقه على مذكرات زكريا أحمد أن صاحبنا كان أكثر الناس إعجاباً بسيد درويش وبفنه، وأنه كان يحفظ الكثير والكثير من أغانيه وألحانه، ويراه أحق الفنانين المصريين لتبوُّؤ قمة الغناء والمجد الفني في مصر، كما أنني لا أبالغ إذا قلت إنه تأثر به تأثراً عظيماً في تلاحينه للمسرحيات التي شارك فيها ابتداء من العام 1916. ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى دور زوجته في تحقيق نجاحاته العظيمة، وفي ذلك يقول أستاذنا صبري أبو المجد في كتابه سالف الذكر: (كانت دائماً إلى جواره في السراء والضراء، والغنى والجوع، والصعود والهبوط، إذا تنكر الناس له جميعاً بقيت هي، وإذا خاصمه الناس جميعاً فإنها وحدها تصالحه، وإذا أقفرت يده من المال فإن نظرة واحدة إليها تمنحه السعادة)، لهذه الأسباب دامت الحياة الزوجية والحب بينهما أربعين عاماً كاملة، كان أول يوم فيها تماماً كآخر يوم، سعادة وانسجاماً وحباً قوياً. كما نذكّر في هذا المقام بدوره الفني في إذكاء روح ثورة 1919 من خلال تلحينه العديد من الأغاني منها: (مين غيرك يا سعد زعيم، يا مصر دي أيام أنسك، لمصر فيك يا سعد، مصر أولادها رجال، نار الوطنية في القلب، نشيد سعد زغلول). ولم يهدف من وراء هذه الأعمال الخالدة للحصول على مناصب أو صيت أو مكاسب مادية أو وسام؛ إنما أبدعها إيماناً منه بأن واجب المواطن أن يقف على وطنه دمه، وجهده، وروحه، وكل ما يملك، وبعد انتهاء الثورة ارتفع اسم زكريا أحمد في مجال الموسيقى والغناء في مصر والعالم العربي، وخير شاهد على ذلك تلحينه أكثر من 56 أوبرا وأوبريت، فزاحم بهذه الأعمال مارون نقاش ويعقوب صنوع وسلامة حجازي أبرز مبدعي المسرحية الغنائية في مصر في أوائل القرن العشرين. ومن أشهر المسرحيات الغنائية التي شارك فيها زكريا أحمد بالتلحين نذكر (فقراء نيويورك) التي توقف بعدها لمدة عشرة أعوام عن التلحين المسرحي بعد أن استولى المؤلف على أجرة التأليف والتلحين كاملة لنفسه، وقد شارك زكريا أحمد بعد عودته للتلحين المسرحي في مسرحية (دولة الحظ)، وهي من المسرحيات الاجتماعية التي تناولت المجتمع المصري بعد ثورة 1919. وقد بلغت ألحانه المسرحية نحو 500 لحن، وضع فيها زكريا أحمد قصارى جهده وعصارة فنه وعايشها معايشة كاملة، لذا بلغت هذه الألحان قمة النجاح والشهرة والذيوع على الرغم من غياب الراديو ووسائل

الاتصالات. وقد حققت هذه الألحان الصيت والشهرة وساعدته على تبوُّؤ مكانة سيد درويش بعد وفاته، وخير شاهد على الألحان التي قدمها في روايات: أنوار، أنا وأنت، السفور، الغول، علي بابا والأربعين حرامي، يا سمينة، البلابل، الكنوز، العروسة، العيلة، مين فيهم، ما فيش منها، طاحونة الهوا، ملكة الغابة، ابن الأومباشي، قاضي الغرام، عيد البشاير، الهادي، الساحر أبو فصادة، السكرتير، غاية المنى، بدر البدور، خمسة مليون، ناظر الزراعة، عثمان حيخش دنيا، الطنبورة، الخالة الأمريكانية، ابن الراجا). وقد تميزت الأغاني التي لحنها زكريا أحمد بالبساطة رغم تصويرها الدقيق للمجتمع المصري في أعقاب ثورة 1919 في كافة مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتعليمية، فضلاً عن نقد ما به من أخطاء وتشجيع ما فيه من أعمال طيبة. ومن أبرز الموضوعات التي وجهت لها سهام النقد العنيف (نظام القرعة الذي أسسته قوات الاحتلال الإنجليزي والقاضي بعدم تجنيد الشباب المصري في القوات المسلحة (الجيش) لضمان الاستقرار لقواتها خصوصاً في منطقة قناة السويس والمديريات الحدودية، السخرية من ضعف الحكام المصريين ومساندتهم للاحتلال والإشادة بسياساته، عدم تعليم البنات، عدم تشجيع الشباب على العمل بالصناعة، ترسيخ القيم البالية في عقول ونفوس المصريين الغلابة)، ونظراً لقيمة هذه الألحان أشاد به معاصروه ولقبوه بصانع أو ملحن الروائع، ومن أبرز الذين أشادوا به نذكر موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب: (زكريا أحمد هو الوحيد في مصر ذو اللون الشرقي البحت)، ويقول أيضاً: (ومن مزايا هذا الرجل تميز ألحانه بالطرب الشرقي الذي يرجع سامعه إلى مجالات الأنس بما فيها من خير وحب ورغد، كما أنه يمتاز بشخصية فنية، فبمجرد استماعك إلى لحن من ألحانه تحس بإحساس معين يوحي إليك بمؤلفه). ويصفه رياض السنباطي في مجلة الفن: (زكريا أحمد التلميذ المخلص للمدرسة الفنية القديمة، له طابعه الخاص الذي اشتهر به، الميال فيه دائماً إلى المرح حتى في الشكوى والأنين، فكأنه كالطير يرقص مذبوحاً من الألم، وهذه ميزة). وقالت مجلة المصور عن رواية أم البلابل: (لقد لازم التوفيق زكريا أحمد فلم يفلت لحن من زمام سيطرته الفنية، وإنها لقدرة أي قدرة). وقالت مجلة المصور أيضاً عن رواية مين فيهم: (إن هذه الألحان المصرية تشهد لملحنها زكريا أحمد فيما بلغ في عالم الموسيقى من مكانة). كما وصفه بديع خيري في مجلته 1000 صنف بأنه فلتة موسيقية لم تتكرر إلا نادراً. كما أشادت به مجلة الراديو: (الأستاذ زكريا أحمد من أئمة التلحين في مصر، كما أنه صاحب إنتاج رفيع، وهو صاحب المدرسة القديمة، ويمتاز صاحبنا بشخصية قوية واضحة المعالم، وبأسلوب خاص في التلحين، لحن لكبار المطربين والمطربات، وكانت ألحانه لهم سبباً في شهرة الكثيرين منهم). وعن خلق زكريا أحمد لروائعه يقول أحمد كفافي وهو صديقه الصدوق: (ولدت معظم أغاني زكريا التي أحرزت المجد والشهرة في الإسماعيلية والسويس والإسكندرية وطنطا وأبو النمرس). وعلى الرغم من هذه الإشادات الفنية والنقدية لا يفوتنا في هذا المقام تذكير القارئ الكريم بأن لزكريا أحمد بعض الأغاني والألحان التي يغلب عليها طابع الميوعة والإسفاف في الكلمة واللحن.

كما لا تفوتنا الإشارة في هذا المقام إلى تعرفه على أم كلثوم (كوكب الشرق) للمرة الثانية، حيث كانت المرة الأولى وهي في العاشرة من عمرها، وقد قدم لها أكثر من ستين لحنا، لم يشبه أسلوب لحن منها غيره من الألحان، ومن أشهر هذه الألحان نذكر (جمالك ربنا يزيده، مالك يا قلبي حزين، الليل يطول ويكيدني، أكون سعيد، قالوا لي إمتى قلبك، العزول فايق ورايق، هو ده يخلص من الله، واللي حبك يا هناه). وقد كان صاحبنا يعتبر أم كلثوم أسطى من أسطوات الغناء في مصر، فانظره يقول عنها في مذكراته: (تمتاز أم كلثوم على غيرها من المغنيات بثلاثة أشياء: أولها أن الله وهبها صوتاً لا مثيل له من ناحية القوة والجمال، والثاني أنها بحكم حفظها وتجويدها للقرآن الكريم قد اكتسبت خبرة تجعلها قديرة على إعطاء كل كلمة وكل حرف ما ينبغي للنطق الصحيح، والشيء الثالث هو أنها دقيقة الحس عظيمة الذكاء، كثيرة الاطلاع، فهي تجيد فهم كل أغنية وتحس بكل المعاني التي تتضمنها أو تشير إليها كل كلمة من الأغنية، وكثيراً ما يفتح الله عليها فتتعمق في فهم الأغنية، وفي الإحساس باللحن الموضوع، فتضيف إلى المعاني التي يريدها المؤلف والملحن معاني أخرى متولدة منها شديدة الشبه بها، تخلب لباب السامعين، دون أن تخرج عن المقصود في التأليف والتلحين. ومن هنا كانت أم كلثوم من أحسن المطربات لأن صوتها وأداءها يصدران عن فهم وإحساس، ولا عجب فإن التي تجيد تأدية كلام الله وتبرز فيه جديرة بأن تؤدي كلام الناس وألحانهم أحسن الأداء).

وقبل أن نضع القلم نؤكد في هذا المقام أن أجمل ما في شخصية زكريا أحمد أنها تمثل شخصية الرجل العادي في بلادنا أصدق تمثيل، فهو من الشخصيات التي تمتاز بالصدق والأصالة والبساطة والرغبة في الحياة دائماً مع الآخرين في سعادة وسعة وحرية وكرامة، كما أنه من الشخصيات ثابتة السلوك.

اجتذب الفن والموسيقى زكريا أحمد منذ صغره لعدة أسباب منها ميول والديه الموسيقية

الروائية الكويتية ميس العثمان:

ما أكثر الشخصيات في شوارع الدنيا!

حوار: أحمد الواصل

ميس خالد العثمان، كاتبة وقاصة كويتية. تحصلت جامعياً على شهادة في الإعلام (2000)، وعملت كباحثة أدبية في (دار الآثار الإسلامية) في الكويت منذ أبريل 2013 حتى أكتوبر 2015 وعملت قبلها محررة وسكرتير التحرير في (جريدة الفنون) الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت، منذ 2000 – 2012.

أصدرت أعمالاً سردية، في القصة القصيرة والرواية والنصوص السردية غير المصنفة، ففي القصص القصيرة: عبث (2001)، أشياؤها الصغيرة (2003)، وفي النصوص السردية (صلوات الأصابع) (2010)، أفتح قوساً وأغلقه (2013)، وفي الرواية: غرفة السماء (2004)، وعرائس الصوف (2006)، وعقيدة رقص (2009)، لم يستدل عليه (2011) وآخرها رواية ثؤلول (2015).

وأصدرت كتاباً مشتركاً بعنوان (رحلة إلى أسرار الشرق القديم) نصوص سردية، في كتاب آثاري/ سردي مشترك مع الباحث (عقيل عيدان) من إنتاج (دار الآثار الإسلامية) الكويت- 2014

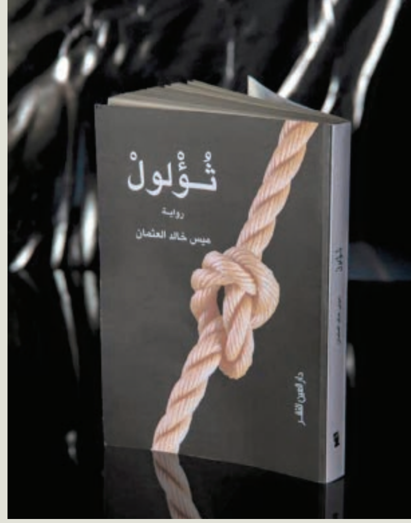
حصلت على جائزة الشيخة باسمة المبارك للقصص القصيرة (2004)، جائزة الأديبة ليلى العثمان في الإبداع السردي (2006). هذا حوار معها..

- كيف تجيبين على سؤال حول خبرة الكتابة لكونك تخصصت في الإعلام وعملت في التحرير الثقافي والبحث الأدبي وبالتأكيد في الأساس تجربة الإبداع السردي في القصة القصيرة والرواية والنصوص السردية الأخرى؟



خبـرة التعاطي مع القلم والفكرة تتنامى كل لحظة، ومع كل تجربـة إنسـانية (تعركنا) بيـن فكيها، نحن نعلـو كتابياً وتعبيريـاً، هـي كمـا أسـميتها (خبـرة)، وتلمسـت أولهـا مـع الدراسة والبحث الجامعي حين تعلّمنا كيفية ترتيب أفكارنا فـي أقصـر جملـة مفيـدة وغنيـة بالمعنـى، ليأتـي التحرير الثقافي/الصحفي ويعيد تنسيق الموهبة نحـو باب جديد يصـقل ذاك الـذي فتـح ككُوّة أولـى نحـو السـؤال المفضـي لجـواب مدرسـي، وتدرجـت -بصـراعٍ جيّد لإثبـات أنا- حتى مدير تحرير يعمل بعقله وفريق عمل يحتاج للنكز كلما غفى معتمداً عليّ، تزامن ذلك كله مع الإبداع المكتوب، إبداع حُرٌ أعمـل عليـه كل الوقت، حيـن الكتابة وحيـن التفكير وحين العمل، وحين الالتقاء بشخصيات تتورّط بالمستحيل، أضع علامة في رأسي، لأننا دوماً نحتاج لشخصيات روائية تدهش المتلقي، وما أكثرهم في شـوارع الدنيا! والخبرة مستمرة.. نكتسبها كل لحظة.

- كيف ترين قراءاتك الأدبية التي شـكلت الخزينة الأساسية لما حفزك على الكتابة وتكوين اسمك بين الأديبات والأدباء في الكويت؟





بدأت النبش القرائي منذ زمن بعيد، مذ تشكلت مراهقتي الأولى، كنت ألوذ بمكتبة أبي في بيتنا القديم، أهرب إليها حين تتوه مني بوصلة السؤال الذي لا تشبعني حوله إجابات أمي أو صوت مدرستي الواثق باللايقين!

وظلّت المكتبة والكتب مهربي الهادئ الذي يفتح عيون الدهشات مع كل كتاب، خلال الجامعة في مكتبة كلية الآداب في الشويخ كانت رائحة الكتب تغريني للابتعاد قليلاً عن عناوين الدراسة للتسلل لأي شيء جديد، ثم بعد لطمة اكتشاف تتعلق بمفاهيم أعلى من الدين وأقرب للإنسان والكينونة البشرية والماوراء، نفضت روحي واقتنيت كتباً من نوع جديد يطرق ما فيها أبواب الغرف. الغرف الخلفية الساكنة من العقل، نفضت المُسلّمات، وهذا استوجب مني تركيزاً أعلى وسرية آنية في الكشف، لأننا حين ننفض «بطانة» قناعاتنا لتحوّل أفضل، نتصارع والموروث وعيون آبائنا وتُسلب حرياتنا وقتياً بذريعة إعادتنا للصواب، صوابهم الذي لم يرَ الضوء، وبقيت المكتبة وكتبي الخاصة مهربي النبيل، فهل تصدّق بأني مثلاً خلال حرب 2003 لتحرير العراق كنت أقرأ ديوان شعر في سرداب بيتنا كي لا أنتبه لأصوات صواريخ «صدام» وأصوات الصافرات المؤذية؟ كنت حينها في نهايات العشرينيات.. تصور كل تلك التحولات والاكتشافات، إلى أي السبل ستفضي بك كاتبا؟

- العناية بالتفاصيل التي تجعل من الإنسان والحقيقة هدفاً على التنوع في الكتابة السردية هو شرطك الإبداعي. أين شعرت لحظتها أن الحقيقة تحولت إلى ضد الإنسان؟

لا توجد حقيقة ضد الإنسان، لكنها مؤكد ضد أفكاره التي (يرتاح) لها لأنها لا تنبش فيما يريحه، وتضطره لتغيير مساره بالكامل، بعضنا يستمتع جيداً بما تقول، لكنه لا يقوى على تبديل مفهوم واحد مما قلته وأعجبه حدّ الصياح بـ: (الله)! لأنه مرتاح بما يمارس «مجتمعياً»، الحقيقة حينما تنكشف تؤذي، خصوصاً إذا لم تكن مهيئاً للكشف، روحانياً، سيكون الأمر بمثابة هدم حقيقي، وليس الجميع مستعداً لإعادة ترميم روحه بالشكل الجديد، لذا، يفقد الكثيرون عقولهم بشكل ما.. حين يكتشفون الحقائق.

وكل ذلك يتطلب تدريباً في الروح، كي نحافظ على تركيزنا وإنساننا.

- ما بين التشجيع العائلي والاعتراف الأدبي بالكتابة وبين الموقف الرقابي المؤسساتي على الكتب في العالم العربي. كيف يمكن أن يوازن المبدع للاستمرار في مسيرته الثقافية؟

ما عدت أهتم لكل ذلك، لا التشجيع العائلي/المجتمعي ولا الموقف الرقابي حتى أياً كان مصدره، أنا أكتب لأني مؤمنة بالدور الذي نُذرتُ لأجله، سيبتهج إنسان واحد على الأقل في هذا العالم، مما أكتب.. سيستفيد، وسيصيح (يا سلام)! وسأكون في قمة السعادة حينذاك.. أتوازن حين أقول كلمتي بصوت عال ومسموع، وصدقني، الضوء لا يقدّم مبدعاً للعالم، الضوء يحرق، لكن الأعمال المكتوبة هي ميراثنا للجيل الذي سيولد بعد ألف عام.

- هل يمكن القول إن رواية غرفة السماء (2004) دفعت إلى اتخاذك مكاناً في الثقافة الكويتية؟

ربما نعم، لست أنا من يقيّم ذلك، لعل النقاد من يمكنهم الإجابة على هكذا سؤال، لكن الأكيد (الاستمرار) في تقديم الأعمال التي تنضج تجربة بعد أخرى، هو ما



قدّمني للقارئ الذي يحب لغتي وأفكاري.

- هل بالإمكان التحدث عن سمات عامة تمثل تجربة الكتابة السردية في الخليج عند مبدعين كبار مثل إسماعيل فهد السماعيل وليلى العثمان من الكويت وعبد الرحمن منيف وسميرة خاشقجي من السعودية وعبد الله خليفة من البحرين على سبيل المثال؟

لكل كاتب ممن ذكرت كونه الخاص، دائرته التي تحفظ تفاصيل ونمط كتاباته، ولكل منهم سماته التي تحدد مفصلات أعماله الكتابية.. شيء واحد يهمني ككاتب / كقارئ لأي من المبدعين، متى ما انشطرت الشخصية الأصيلة للكاتب عن شخصية كتابته، فقد احترامي له.

- كيف تتعاملين مع بطلاتك وأزماتهن الحياتية مقابل متطلبات السرد من التنويع وتوظيف النصوص المختلفة؟

حين الكتابة ندس أنوفنا في حيوات الآخرين ممن يشكلون أبطالاً على ورق كتابتنا، نستحيل (القدير) الذي يحرّك الأحداث كما يحب ويشتهي، أو كما يتخيل بدايات ونهايات الأحداث، نحن بشكل ما (مخرج) لهذه السلسلة من الأحداث، لكننا لابد نكون منتبهين لكل متطلبات السرد التي لا تفسد التلقي على القارئ، ولا نخنق تقديراتنا للحدث في زوايا مثالية أو حتمية كما نرغبها في الحياة، كما لا مكان نهائياً للصدفة في الكتابة، لأنني أؤمن ألا صدفة محضة في الحياة!

- تتمتع عناوين كتبك بكسر التوقع مثل (لم يستدل عليه) أو (أفتحُ قوساً وأُغلقه) أو حتى آخرها (ثؤلول) فهل الإغراب في العنونة أحد مفاتيح جذب القارئ أو متطلب النص السردي نفسه؟

في الواقع العنوان تعب الكاتب ووجعه قبل وخلال وعند الانتهاء من النص! ويشكل قيمة رئيسة للعمل الذي سطا على حياتك خلال تلبسه لك، وحين نختاره فنحن أمام أمرين، أنه -العنوان- نصف العمل الإبداعي بكل ما تعنيه العبارة من معنى، وأنه ما ينادي القارئ لاختياره فيما تتنافس معه على رف المكتبة مئات الكتب.

فأي المعضلات نحن أمامها؟

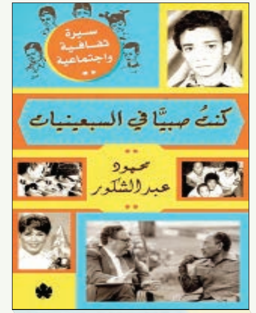
الاستسهال في وضع العناوين مرهق للمتلقي الذي يُشعره الكاتب أحياناً بسطحيته، فيدمغ كتابه بأي عنوان مستهلك، فبعضنا لا يتعب أنامله الشريفة في البحث عمّن استخدم هذا العنوان قبله مثلاً كي لا يتضارب وعنوان شبيه أو قريب..

- كيف تقيمين الآراء والانطباعات عبر مواقع التواصل على ما تقدمين مقابل الكتابات النقدية عن أعمالك السردية؟

مواقع التواصل لا تتعدى كونها كذلك، هي مثل غرفة الاستقبال في بيتك، تجمع رفاقك في الفعل الكتابي، للكلام والنقاش والضحك وشرب الشاي.. هي ليست مقياساً على أي تميّز إبداعي، بل هي نافذة للإعلان في أكثر الأوقات، والتعرف بما وراء الشخصية، ليس إلا.

هل هناك مشاريع توقيع روايتك الأخيرة (ثؤلول) أو مشاركة في ندوات؟

شاركت في معرض الشارقة للكتاب أول نوفمبر للاحتفاء بكتابي الجديد، وبعدها في معرض الكويت للكتاب كذلك.. هذا في الزمن القريب، وبين هذا وذلك تقديرات الله.



الكتاب: كنت صبيًا في السبعينيات
المؤلف: محمود عبدالشكور
الناشر: دار الكرمة، 2016

يصدر عن الكرمة في هذه الأثناء كتاب (كنت صبيًا في السبعينات). وهو أول سيرة ثقافية واجتماعية لسنوات السبعينات في مصر، من خلال عيني الناقد الثقافي المتميز محمود عبدالشكور. فبين وفاة عبدالناصر واغتيال السادات؛ شهدت مصر والعالم تحولات مهولة: الشارلستون والفساتين القصيرة، التلفزيون الملون، خلي بالك من زوزو، مقتل سلوى حجازي، حرب أكتوبر، محمود الخطيب، حسن شحاتة، وفاة فريد الأطرش وأم كلثوم وعبد الحليم، المغامرون الخمسة، جماعة التكفير والهجرة، مدرسة المشاغبين، ويمبلدون، كأس العالم، ماما نجوى وبقلظ، بروس لي والكاراتيه، برنامج العالم يغني، نجم والشيخ إمام، السادات في الكنيست، انتفاضة يناير 1977، فوازير نيللي، معاهدة السلام... انقلبت السياسية، وتبدل الاقتصاد، وتطورت التكنولوجيا؛ فتبدلت حياة الأسرة المصرية.

هذا الكتاب الممتع يبتعد عن التأريخ الأكاديمي الجاف، ويجعل القارئ يعيش داخل أسرة تكاد تكون نموذجاً لعديد من العائلات المصرية وقتها. ففي سرد حي وشيق ومزين بأكثر من 70 صورة؛ يذكرنا محمود عبدالشكور بهذه السنوات الثرية، نعيش معه طفولته ومراهقته بين القاهرة والصعيد، ونرى من خلال عينيه كيف عاشت العائلة المصرية، كيف كان التعليم في المدارس، ماذا كان الناس يقرؤون في السبعينات، وماذا كانوا يشاهدون في التلفزيون والسينما والمسرح.

كتاب يربط بذكاء بين الخاص والعام، ويحكي لنا قصة جيل كامل، وعصر مثير، مليء بالحيوية والإبداع.



الكتاب: شهرزاد أمريكا اللاتينية
المؤلف: إيزابيل الليندي، ترجمة: عبد الله الزماي
الناشر: جداول للنشر والترجمة

صدر عن دار جداول للنشر والترجمة في بيروت كتاب «شهرزاد أمريكا اللاتينية: نزهة في اعترافات إيزابيل الليندي». والكتاب من إعداد وترجمة عبدالله الزماي.

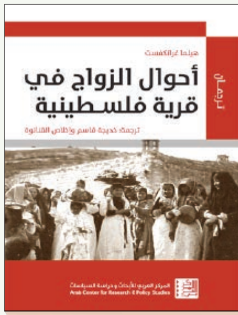
يقول باراك أوباما في حفل تقليد إيزابيل الليندي وسام الحرية الرئاسي: حينما علمتْ إيزابيل الليندي أنَّ جدها كان يحتضر في تشيلي بدأت تكتب له رسالة تعود إليها ليلة بعد ليلة. حتى أدركت أنها كتبت بالفعل روايتها الأولى. وفي الحقيقة لم تتوقف أبداً. تتحدث رواياتها ومذكراتها عن الأسر والسحر والرومانسية والاضطهاد والعنف والخلاص وكل الأشياء العظيمة، ولكن على يديها يصبح العظيم متناولاً ومألوفا وإنسانيًا. نُفيت من تشيلي بواسطة الطغمة العسكرية، فاختارت الولايات المتحدة وطناً لها. واليوم أنشأت مؤسسة على شرف ابنتها (باولا) لمساعدة الأسرى في أرجاء العالم. تبدأ كل كتبها في الثامن من يناير، اليوم الذي بدأت به الرسالة لجدها قبل سنوات عديدة مضت. (أكتب لأدون التاريخ) تقول، (أكتب ما لا يجب أن ينسى).

الجدير ذكره أن الروائية الليندي تشيلية، وُلدت في 2 أغسطس 1942، وحاصلة على العديد من الجوائز الأدبية المهمة، ومن الأسماء المرشحة دائماً للحصول على جائزة نوبل. تُصنف كتاباتها في إطار الواقعية السحرية، وتنشط في مجال حقوق المرأة والتحرر العالمي. أصدرت الكثير من الروايات، ومنها ما تحول إلى أفلام ومسرحيات. وفي الفترة منذ 1959 وحتى 1965 عملت الليندي في منظمة الغذاء والزراعة التابعة للأمم المتحدة في سانتياغو، وفيما بعد في بروكسل، وأماكن أخرى في أوروبا. عادت الليندي إلى تشيلي في 1966، وبدأت مُنذ 1967 العمل في هيئة تحرير مجلة باولا، ومن ثم مجلة مامباتو للأطفال. وُلدت ابنتها باولا في 1963، وفي عام 1966 وُلد ابنها نيكولاس. وفي 1973، عُرضت مسرحيتها إل إمباجادور El Embajador، وفي سبتمبر من العام نفسه، حصل الانقلاب الدموي على عمها سلفادور أيندي الذي قُتل خلال الاستيلاء الدموي على لامونيدا (القصر الرئاسي التشيلي). في 1975 نُفيت الليندي إلى فنزويلا حيث عملت في جريدة كاراكاس إل ناسيونال، كما عملت معلمة في مدرسة ثانوية. ورافقت الليندي في عام 1981 جدها البالغ من العمر تسعة وتسعين عاماً خلال موته، وبدأت عندها في كتابة روايتها الأولى بيت الأرواح.

الكتاب : أحوال الزواج في قرية فلسطينية

المؤلفة: هيلما غرانكفست

الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات



ضمن مشروع ترجمان، صدرت عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الترجمة العربية لكتاب أحوال الزواج في قرية فلسطينية، للباحثة الفنلندية هيلما غرانكفست، وقد ترجم الكتاب إلى العربية كل من: خديجة قاسم وإخلاص خالد القنانوة، ويقع الكتاب في 704 صفحات من القطع الكبير. وعنوان الكتاب الأصلي هو: Marriage Conditions in a Palestinian Village، وصدر أول مرّة عام 1931.

أمّا قدرة المؤلفة الفنلندية على وصف الحياة القروية الفلسطينية في منتصف القرن العشرين تقريباً؛ فتعود إلى أنه قبل نحو تسعة عقود، توجهت طالبة فنلندية تدعى هيلما غرانكفست (1890-1972) إلى قرية أرطاس إلى الجنوب من بيت لحم في فلسطين، حيث شهدت مسيرتها الشخصية والأكاديمية منعطفاً أساساً بتحولها إلى دراسة حياة المرأة الفلسطينية. فوضعت خمس دراسات مونوغرافية رائدة عن (الحوادث الثلاثة الأهم في حياة البشر)، وهي الولادة والزواج والموت، في قرية أرطاس. ونشرت دراساتها باللغة الإنكليزية، ولم تترجم قط إلى العربية أو أي لغة أخرى. وتعدّ هذه الترجمة لدراستيها الأولى والثانية حول الزواج مصدراً من أكثر مصادر توثيق حياة القرية الفلسطينية المتاحة للقارئ العربي.

ويتكوّن الكتاب من قسمين رئيسين، ضم القسم الأول أربعة فصول، تشرح الكاتبة في فصله الأول منهجية البحث، والوسائل التي اعتمدتها، فيما يتحدث الفصل الثاني عن سن الزواج، وتذكر فيه أنواع الخطوبة، مخصصة جزءاً مهمّاً للحديث عن خطوبة الأطفال وأسباب الزواج المبكر في القرية. فيما خصص الفصل الثالث للحديث عن آلية اختيار العروس، والأسس التي تقوم عليها هذه العملية المعقدة، أحياناً، وفي الفصل الرابع نقرأ عن مفهوم الزواج بالعياض، ليختم القسم الأول بشجرة أنساب القرية وقوائم الزواج وجداوله، إذ تمكنت المؤلفة من تتبع أنساب جميع السكان في أرطاس، منذ بداية آخر فترة استقرار للسكن فيها وحتى عام 1927.

أما القسم الثاني من الكتاب فقد خصص للحديث عن مراسم الزواج والحياة الزوجية وما بعدها، ويقع في أحد عشر فصلاً، يعرض الفصل الأول مراسم الخطبة وعاداتها وشروطها بالتفصيل، ويتحدث الفصل الثاني عن أوقات السنة التي يتمّ فيها الزواج عادة، فيما يعرّف الفصل الثالث بالاحتفالات التمهيديّة للعرس، كرقص الرجال ورقص النساء، والولائم، وينقل رابع الفصول تفاصيل إحضار العروس إلى بيت الزوجية، ويُعنى الفصل الخامس بالوصول إلى بيت العريس، والخلوة بين الزوجين، وتلقيهما التهاني. وأخيراً يعرض الفصل السادس لأسبوع العرس، وما يفعله العريسان بدءاً من صباح اليوم التالي لزفافهما.

أمّا الفصل السابع فتتحدث المؤلفة فيه عن حياة الزوجة في بيت زوجها، وعن طريقة معاملته لها، وعن علاقتها بالأقارب، فيما يستعرض الفصل الثامن قضية تعدد الزوجات عبر ذكر أمثلة على التعدد، وذكر الأسباب التي تدفع نحوه، والعلاقة بين الضرائر، ويعرّفنا الفصل التاسع بعلاقة المرأة المتزوجة ببيت أبيها، ووضع المرأة (الحردانة)، مع ضرب أمثلة على وقوع هذا الأمر، والصعوبات التي تلقاها، وخصص الفصل العاشر للحديث عن الطلاق، واختتم الكتاب بالفصل الحادي عشر الذي اتّخذ الأرمل والأرملة موضوعاً له.

يأتي هذا الكتاب في (سلسلة ترجمان) في نطاق مشروع متكامل لترجمة الدراسات المتعلقة بالتراث الشعبي الفلسطيني ونشرها. وتتجاوز أهمية هذا المشروع البعدين الأكاديمي والدراسي؛ لأنّ هذه الدراسات تقدم شواهد فذة على وجود نشاط إنساني وافر في فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر وحتى أواسط القرن العشرين، ناشئ عن مؤسسات وممارسات اجتماعية واقتصادية ودينية وفولكلورية حيّة معقّدة التركيب ومغرقة في القدم. وهذه الدراسات التي وضعها مؤلفون أجانب متخصصون عاشوا في فلسطين في تلك الفترة؛ تدحض دحضاً صريحاً المقولات الصهيونية القديمة والراهنة الرامية إلى محو الهوية الفلسطينية أو تشويهها أو انتحالها أو استلابها.

والمؤلفة هيلما غرانكفست عالمة أنثروبولوجيا فنلندية، تعدّ رائدة في مجال الدراسات الميدانية، احتلت دراستها عن قرية أرطاس مكانة مرموقة ضمن روّاد مدرسة «الأنثروبولوجيا الجديدة» التي نشأت في بريطانيا في عشرينيات القرن الماضي، وتستند سمعة غرانكفست الدولية إلى خمسة أعمال تناولت التقاليد والأعراف والممارسات الشعبية المتصلة بالزواج والولادة والطفولة والوفاة في فلسطين.

المترجمتان:

خديجة محمد علي قاسم (1934 - 2009) من مواليد سلوان / القدس، اعتنت عناية خاصة بالدراسات التي تُعنى بالتراث الشعبي الفلسطيني، بدأت بترجمة هذا الكتاب ولم تنجزه.

إخلاص خالد القنانوة، باحثة أردنية تحمل درجة الدكتوراه في اللغات الساميّة الشمالية الغربية من جامعة برلين الحرة - ألمانيا الاتحادية. صدرت لها عدة ترجمات من بينها: آثار قمران ومخطوطات البحر الميت (جودي ماغنس).



مجلة الجزيرة..إرث الحروب

صدر عدد فبراير/شباط 2016 من مجلة (الجزيرة) التي يصدرها موقع الجزيرة نت على أجهزة الحواسيب اللوحية والهواتف الذكية، ويتناول العدد الخاص (إرث الحروب) وما تخلفه الصراعات والحروب الداخلية من إرث الكراهية للآخر، خصوصاً في نفوس الأجيال الجديدة.

ويعرض العدد القضية من خلال نماذج لصراعات عرقية أو مذهبية أو طائفية عاشتها دول، وكيف انعكست على تعايش مكونات المجتمع حتى بعد انتهاء الصراعات السياسية المعلنة، إلا أن الكراهية تم توريثها لمن فاتته هذه الصراعات من الأطفال. بما يقتل الطفولة براءتها في نفوسهم.

ولعل أقسى إسقاطات الحروب أن يألف الأطفال لغة الحرب ومصطلحاتها وأجواءها حتى تغدو إحدى أقرب الألعاب لهم، كما يجري في سوريا اليوم، التي يتعرض من بقي فيها من أطفال إلى وجه آخر، وهي صراعات المناهج الدراسية في كل منطقة وفق الجهة التي تحكمها.

وفي سياق الحديث عن المناهج الدراسية، تعزز المناهج الإسرائيلية روح الكراهية في نفوس طلبة المدارس تجاه الفلسطيني، بما ينسجم مع النزوع نحو العزلة والعنصرية التي تغلب على المجتمع الإسرائيلي.

أما في لبنان، التي عاش سنوات من الحرب الأهلية، فإن جراح الحرب لا تزال ندوبها في القلوب رغم انتهاء الحرب قبل ربع قرن، وتتجدد آثار الاشتباكات المسلحة على المدنيين كحال سكان خط التماس في طرابلس بين جبل محسن والتبانة. وفي مشهد آخر للحرب، نتعرف على ما تزرعه الصراعات في قلوب الأطفال من كراهية عفوية، كنظرة بعض الأطفال اللبنانيين تجاه أطفال اللاجئين السوريين.



علم وخيال.. كواكب مروضة ومعارض الكتب

صدر العدد 24 من مجلة علم وخيال (يناير 2016)، ومن كلمة العدد: الحدث المميز في هذه الفترة ربما يكون معارض الكتب التي تتوالى في بعض العواصم العربية، وأقربها منّا الآن هو معرض القاهرة الدولي للكتاب في الفترة من السابع والعشرين من يناير إلى العاشر من فبراير.

وكما هو حالنا، لا نستطيع أن تمر مناسبة مثل تلك حتى نأخذ منها -كمحبين للعلوم والخيال العلمي- ما نستمتع به. لذلك، ستجدون على صفحات العدد عدداً من الترشيحات لكتب علمية وروايات من الخيال العلمي ومعلومات عنها وعن ناشريها لتستطيعوا أن تقتنوها في أي معرض من المعارض المتتالية.

أمّا باقي المقالات فأبدأها برحلة سريعة في الأفكار الخاصة بتحويل بيئات الكواكب لبيئات صالحة للسكن البشري بعنوان (كواكب مروضة). يلي ذلك نظرة تاريخية وعلمية ثم خيال علمية حول الهندسة الوراثية، يكتبها د.سائر بصمه جي. هذا بخصوص الخيال العلمي.

أمّا العلوم، فخاطرة رقيقة بعنوان (عناق الفوتونات) لعاشق الفيزياء، م.أكرم. وترجمة لمقال مهم جداً لماكس تيجمارك بواسطة م.عبدالحفيظ العمري، وهو مقال تحتل فيه الرياضيات -ملكة العلوم- مكانها المستحق كأساس لوصف الكون وظواهره.

ثم -كالعادة- مراجعة وتقديم لكتاب (هوس العبقرية) لـ(باربرا جولد سميث) ورحلة في حياة العالمة الكبيرة (ماري كوري). بقلم أ.زكريا عبدالمطلب.

إذاً، تخيلوا. وليكن خيالكم رشيقاً مهذباً كما هو حال (الخيال العلمي).



ذاكرة مصر.. الاسم والتاريخ والحفائر

صدر عدد 24 يناير 2016 من مجلة ذاكرة مصر، العدد يقع في 92 صفحة، وهي مجلة ربع سنوية تصدر عن مكتبة الإسكندرية، ورئيس التحرير خالد عزب.

وأما محتويات العدد في محور بعنوان بيت الكريدلية حمل عنوان المادة: تنيس.. الاسم والتاريخ والحفائر، ومادة حدث في صور.. رحلة السفينة مباحث لاستكشاف البحر الأحمر، وتجارة مصر المحروسة في القرن التاسع عشر، ومقتطفات من جامعة أسيوط، وكلاكيت ثاني مرة: أفراح الأنجال، والنشيد القومي المصري يونس القاضي.. مؤلف النشيد الوطني المصري وعصر من التنوير، ومن ذاكرة السينما: فن الأفيش في السينما المصرية.

وأما الملف الخاص فاحتوى على المواد التالية: الخيل في عصر المماليك، ومخطوط عباس باشا عن أصول الخيل العربية، وقراءة في كتاب: القاهرة.. خططها وتطورها العمراني.

الكتاب: الحداثة السائلة
المؤلف: زيجمونت باومان
الترجمة: حجاج أبو جبر
الناشر: الشبكة العربية للأبحاث والنشر 2016

أحمد الواصل: الرياض

يعد هذا الكتاب الأول من سلسلة وضعها المفكر زيجمونت باومان حول موضوع السيولة في المجتمع الغربي منذ عام 2000، وهي نقيض الصلابة في الفكر والقيمة والمبدأ، وتولى المترجم حجاج أبو جبر، الذي سبق له ترجمة كتاب (الحداثة والهولوكوست) للمؤلف نفسه (مدارات، القاهرة، 2014)، ترجمة السلسلة إلى العربية وهذا أولها بينما تصل إلى سبعة أجزاء على التوالي: الحداثة السائلة، الحياة السائلة، الحب السائلة، الأزمنة السائلة، الخوف السائل، الثقافة السائلة، والمراقبة السائلة.

يحتوي الكتاب على خمسة فصول هي: التحرر، الفردية، الزمان/ المكان، العمل، الجماعة.

وفي مقدمة خصصت للطبعة العربية، ذكر باومان أن أفضل وصف لكتاب الحداثة السائلة أنه قصة سفر، قصة انتقال أو عبور، قصة التوسع التدريجي المتواصل للمسافة التي تفصل الظرف الحياتي الحالي عن نقطة انطلاقه، قصة وضع إنساني يصير مختلفاً عما نعرفه أو ظننا أننا نعرفه. تلك القصة سجلت محاولة فهم الجديد عبر استيعاب تباعده الوليد عن القديم. تلك السردية تتبع هذا الدافع وتحدد لنفسها هذا الهدف، ولا مناص لها من جعل الوضع الحياتي القديم المتراجع أبرز الأبطال الرئيسين في القصة، حتى وإن كان ذلك عبر نفيه وإنكاره ورفضه. أما ذلك الوضع الإنساني القديم الذي ظل على حاله على الرغم من تغير ما حوله فكان، إذا جاز التعبير، نفياً فوتوغرافياً يعكس الوضع الجديد الناشئ.

ينطلق باومان في دراسته هذه باعتبار أن الناس في كل بقاع الأرض صاروا (أهل حداثة) فإن الدخول في عصر ما بعد الحداثة يفضل تسميته "الحداثة السائلة" ضمن مبدأ أن التغير هو الثبات الوحيد، وأن اللايقين هو اليقين الوحيد.

فإذا كانت الحداثة تحاول الوصول إلى (حالة نهائية من الكمال)، فإن ما بعد الحداثة أو الحداثة السائلة تسعى إلى التحسين والتقدم بلا حدود من الكمال والنهائي، بل هي تنفي هذه الرغبة القديمة.

إذ إن الحداثة في مرحلة الصلابة تمثل في التحكم بالمستقبل وتثبيته، ففي مرحلة سيولة الحداثة تتمثل في ضمان استقلال المستقبل وحريته.

هذه الحداثة الصلبة هي التي كان يهجس بها زرادشت نيتشه، ومصطفى أو نبي جبران، وهي التي أدعت إلى يأس القصيمي وسيوران. إن النفور الفطري كام يرى سارتر من الحداثة السائلة يعادل النفور من المواد اللزجة أو الموحلة.

وتنذر الدراسات والتحليلات الاقتصادية بأن الحداثة خلقت حالة استهلاكية قصوى عند شعوب الكرة الأرضية تهدد الموارد الطبيعية وحياة الإنسان نفسه كما ورد في كتاب (رخاء بلا نمو) (2009) لتيم جاكسون كذلك في تقرير (النوع البشري في خطر) (2011) وضعه ثلاثة متخصصين ميشال روكار ودومينيك بورغ وفلوران أوغانيور..

وقد تنبهت الباحثة إلينور أوستروم في كتابها (إدارة العامة) (1990) مبكراً إلى أن هناك أنماطاً من العيش خارج المدن لا تسعى إلى الربح السريع والاستهلاك الأسرع بل هناك جماعات تتضامن بالإخلاص والأمانة لاستدامات معيشية تتشابك فيها الروابط الاجتماعية والأنظمة الاقتصادية وهي ما غابت عن حداثات المدن وأهاليها.

يلاحظ باومان أن الإشارات الأولى لتحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية تتجاوز الحداثة تبدت عند مفكرين كثر تنبهوا فوضعت مجموعة من التوصيفات مثل نهاية التاريخ عند فوكوياما وما بعد الحداثة عند ليوتار، والحداثة الأخرى عند أولريش بيك والحداثة الفائقة وسواه.

حين يناقش باومان مفهوم العمل ينظر إلى إحدى مثله وهي مسألة التقدم الذي لا يرمز إلى أي سمات التاريخ، بل الثقة بالنفس التي يحظى بها الحاضر. إذ تتعلق مسألة التقدم بمعتقدين: الأول، الوقت في صالحنا، والثاني، أننا نحن من نستحدث الأمور، فهما يعيشان معاً ويموتان معاً.

إن ما يزعزع هذين المعتقدين أمور مختلفة:

أولها الغياب الواضح لقوة مستقلة قادرة على دفع العالم إلى الأمام، وثانيها يضمحل وضوح الدور الذي ينبغي للقوة الفاعلة المستقلة، أية قوة فاعلة مستقلة، أن تقوم به من أجل تحسين صورة العالم، وهي لا تملك على الأرجح القوة الكافية التي تمكنها من القيام بهذا الدور.



يجادل باومان في قضية مثيرة ومازالت تثير الكثير من التحليلات عن ظاهرة الجماعات التي تتخندق بأفكار سوية أو عنيفة، فمن الناحية الاجتماعية ليست الجماعية سوى رد فعل متوقع لعمليات التمييع المتزايدة التي تتسم بها الحياة الحديثة أي عدم التوازن المتفاقم بين حرية الفرد والاستقرار.

بالإضافة إلى هشاشة بدت في الروابط الإنسانية وسهولة زوالها دفعت إلى تثمين حق الأفراد في السعي وراء أهدافهم الفردية التي يعيقها الوصول إليها كما ينبغي، وعامل الشجاعة المتطلب إلى ذلك. هذا التناقض الدافع إلى حالة جماعية لتحقيق هدف فردي بأداء جماعي!

ولعل ذلك ما أدعى إلى توهمات حيال مفاهيم أيديولوجية حول القومية والوطنية والخلط بينها، واعتبار الأقلية الإثنية بأن وجودها الثقافي والتاريخي حقيقة طبيعية بينما هو نتاج فاسد لخلل في التركيبة الاجتماعية والأنظمة الاقتصادية والإدارة السياسية.

إن أسطورة الأمن والأمان مهددة وملغاة من وهم ترويض الأمواج وتكميم البراكين وإيقاف الريح ومنع المطر!

لا شيء يمكن تسييره!

إذا كان العنف فعلاً تأسيسياً بحسب مقولة رينيه جيرار في أطروحات كتبه (الأشياء الخفية منذ خلق العالم) أو (كبش الفداء) أو (العنف والمقدس) ينسحب ليكون فعلاً دفاعياً مستمراً، كما أنه يمكن أن يكون فعلاً داخل الجماعة حين تتحول قيمة القربان أو التضحية ويعاد توجيهها لإعادة التناغم إلى الجماعة وتقوية النسيج الاجتماعي.

هذه النظرية، في مستوى أول، تحقق حالة انتظامية في استعادة الفعل التأسيسي فالعنف المستعاد لتجديد العقد الاجتماعي هو تذكير غير مباشر بالفعل التأسيسي.

وفي مستواها الثاني، تكشف الإزاحة المحسوبة للعنف الداخلي خارج حدود الجماعة هي ذريعة مغرية واهية تجعل من النتيجة (القتل) سبباً (للسلام)!

وفي مستواها الثالث، يلزم إخفاء غياب المخاطرة بدقة أو الأفضل إنكار المخاطرة في فعل التضحية أي العنف!

وكيف تنعكس هذه القراءة؟

يعسكها باومان إلى حالة الفرجة من الشهود عبر الإعلام حيال عمليات إبادة الشعوب مثل الهولوكوست (إبادة اليهود في ألمانيا) وإبادة البوسنة وسواها من الإبادات التي تعزا إلى أن المجتمع الانفجاري متحيز إلى صلابة أيديولوجيته حيال التاريخ والجغرافيا بتحويل فئات من المجتمع إلى غرباء أو عناصر دخيلة كما تفكر الكثير من الجماعات العاجزة عن الاندماج في مجتمعاتها حين تحمل السلاح ضد بعضها!

يقترح باومان مفهوم جماعات غرف المعاطف أو جماعات الكرنفال التي تلزم الحضور إلى العروض أو المشاركة فيها إلى ألبسة مشتركة ولو مؤقتاً لكنها فعل تضامني ولو لبرهة زمنية تخرج المجتمع من تحيزاته التاريخية والجغرافية لتجعله ممكن التضامن والتآخي..

يلحق باومان نهاية الكتاب بمقالة تأملية (في الكتابة: كتابة السوسيولوجيا) نشرها عام 2000 حيث يثمن من دور الفن والأدب من حيث إنهما يرفضان تقديم حقائق معلومة ومستهلكة.

إن تيارات التاريخ والثقافة وعلم الاجتماع تحاول أن تجدد من فهم الإنسان لنفسه وإعادة التعبير عنه ودراسة الإمكانيات المجهولة لديه للاستمرار في مقاومة اليأس من الحياة..

وحيث تتمثل وظيفة علم الاجتماع في التحقق من أن الاختيارات تحظى بحرية أصيلة، وأن تبقى أصيلة، وتزداد أصالة، ما بقيت البشرية.

وبهذا يكرس باومان من حالة تفاؤلية تتحلل من قيود وتضع مسارات مغايرة تمتنع من التصلب وتسيل في سيولات مختلفة!



صباح قباني.. سيرة دمشقية لا يهزمها النسيان

منى كيوان: سوريا

يضاهي حضور صباح قباني غيابه في الساحتين السياسية والإعلامية. الرجل الذي عاش في دمشق وأعطى سوريا في مجالات عدّة، لم يحظ بالتقدير والتذكر الكافيين، وعلى الرغم من تداعي المشهد الثقافي السوري في خضم الحرب والدم، إلا أن (العم صباح) كما يطلق عليه يطغى في تفصيل كل مجال ثقافي، نظراً لعطاءاته وغزارة إنتاجه وفعاليته.

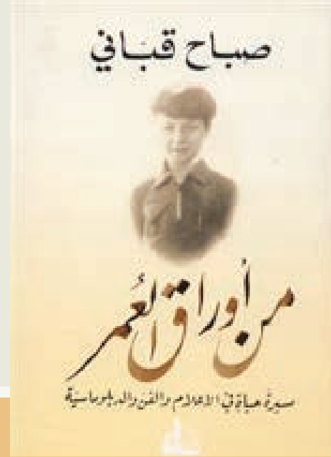
قباني لم يكن فقط دبلوماسياً محنكاً، كما اشتهر، لكنه أيضاً أديب ورسام كاريكاتوري استطاع أن يطلق في تجربته منظوراً جديداً للرجل السياسي الذي يتعامل مع الفن يومياً كأنه «فسحة» راسخة لا يمكن التخلي عنها.

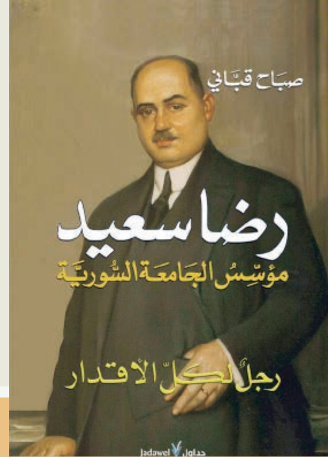
جمع قباني في شخصيته، حنكة الدبلوماسي الغربي، القادر على استخدام رؤية وتبصر علمية في مسار المفاوضات والعمل السياسي، وتواضع الرجل الشرقي وشغفه في تكوين بصمته الخاصة. فخاض الكثير من التجارب واكتسب العديد من الخبرات، إذ مثَّل وطنه سورية في أكثر من بلد، ونجح كإعلامي ومصور فوتوغرافي، وحين كلف بتأسيس التلفزيون السوري، استطاع جمع دريد لحام ونهاد قلعي ورفيق السبيعي في كادر الشاشة الصغيرة.

ولد قباني في العام 1928 في حي (مئذنة الشحم)، وهو من أبهى أحياء المدينة القديمة. أسس جده (أبو خليل قباني) المسرح الغنائي في مصر والشام، وكان والده يعمل صانعاً للحلويات، وزرع فيه شقيقه البكر نزار قباني الكثير من الحماس لكتابة الشعر وتجربته ودفعه إلى صقل مواهبه.

فأحيط قباني منذ صغره بجو يستلهم سحره وقوته من الموسيقى والرسم، وتعززت لديه الرغبة لكسب الثقافة، حيث تلقى علومه الأولى في الكلية الوطنية ثم التحق بجامعة دمشق ونال شهادة الحقوق في العام 1949، ليتابع طموحه ويحصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق الدولية من جامعة (السوربون) في باريس عام 1952 وبعدها تزوج من السيدة مها نعماني.

فور عودته إلى دمشق شغل مواقع إعلامية عدة، فعين مديراً لبرامج الإذاعة والتلفزيون ومؤسساً ومديراً للتلفزيون السوري بين عامي 1959 - 1961، وكان أول من ابتكر موجز الأخبار في إذاعة دمشق، كما أوجد التقاسيم





التي تسبق الأذان وتلاوة القرآن الكريم.

ابتكر قباني العديد من البرامج التلفزيونية مثل برنامج (الأسرة السعيدة)، وهو أول برنامج تلفزيوني للتوعية الصحية، وساهم في اكتشاف ودعم مواهب الكثيرين، نذكر منها تقديمه الفنان عبد الحليم حافظ، لأول مرة عبر شاشة التلفزيون السوري. أما في السلك الدبلوماسي فكان القنصل السوري في نيويورك لأربع سنوات ثم مديراً للإعلام في وزارة الخارجية السورية في العام 1966، فوزيراً مفوضاً في جاكرتا، ونصب مديراً لإدارة أمريكا بوزارة الخارجية في دمشق عام 1971 وأخيراً تولى منصب أول سفير سوري في واشنطن من العام 1974 حتى عام 1980 وفي العام 1983 استقال من عمله وأصبح مستشاراً لعدد من المؤسسات.

كتب قباني العديد من الكتب، من أهمها سيرته الذاتية، بعنوان (من أوراق العمر). تحدث فيه عن أصدقاء عمره بالرسم والكلمات، ومن هؤلاء عبد السلام العجيلي، أحمد السمان، سعيد الجزائري، شاكر مصطفى وفؤاد الشايب، واختتم بشقيقه وصديقه الأقرب نزار قباني، ليدلي بشهادته فيه. فيقول: (في العاشرة كان يريد أن يصبح رساماً أو خطاطاً، وفي الثانية عشرة حاول أن يكون موسيقياً، وحين بلغ الثالثة عشرة أدرك أن قدره هو الشعر، والشعر وحده).

وبعد رحيل الشاعر نزار قباني قدم السيرة الذاتية (كلام عبر الأيام)، وأيضاً جمع كل القصائد التي كتبها نزار عن دمشق في (دمشق نزار قباني)، بالإضافة للسيرة الذاتية للدكتور (رضا سعيد) مؤسس الجامعة السورية. ترجم العديد من المؤلفات منها كتابان لابنته رنا قباني، بعنوان: (أساطير أوروبا عن الشرق) و(رسالة إلى الغرب).

إضافة لكل هذا النجاح والتنوع كان موهوباً بالرسم الكاريكاتوري إلى جانب التصوير، وكرم عام 2004 في حفل افتتاح المعرض الخامس والعشرين لنادي التصوير الضوئي في سوريا، بعد إقامته عدداً من المعارض لصوره الفتوغرافية منها معرض (نشيد الأرض) و(لحظات إندونيسية) و(لمعرض الاستعاري). سئل ذات يوم لماذا كل هذا الاهتمام بالتصوير فأجاب: (هل للمرء أن يوقف الزمن؟ بالطبع لا لأنه يتحرك باستمرار، لكن آلة التصوير توقف الزمن، وتحنط اللحظة، فالصورة هي اللحظة الفائتة من عقالات الزمان، وهي لا تشبه سابقتها ولا ما يلحقها).

يشار الى أن قباني رحل في 31 كانون الأول في العام 2014، حيث وافته المنية بمنزله في حي المالكي، عن عمر ناهز 87 عاماً، تاركاً إرثاً لا يزال يتناقله السوريون.

طقوس الإبداع وشيء من حوافزه

سيد أحمد إبراهيم: مصر

عند قراءة أو رؤية عمل فني رائع كان لابد أن تدور بأذهاننا تساؤلات عدة عن تلك اللحظات الحاسمة، والتي يبدأ فيها انبثاق عمل فني جديد عند المبدع الفنان.. متى تقع؟.. وكيف تقع؟..وما الذي يحددها؟..وما الذي يحدد نهايتها؟

أسئلة لا يستطيع الذهن أن يدعنا نلقيها جانباً ونستريح من عنائها، فخيالنا لابد وأن يشتغل، وعندئذ ننسج صورة وهمية لا ضابط لها. أليس من الأفضل أن نحاول أن نطلع على الحقيقة عن كثب؟!. وإذا حكمنا بظواهر الأمور فيبدو أن هذه اللحظة لا ضابط لها، فالفن الأصيل أياً كان نوعه أو متعدداته ينبع من نفس صاحبه ويقهره على التعبير، ويفرض نفسه في لحظة فلا يستطيع صاحبه أن يتخلص من قبضته.

ينصح أحد كبار الشعراء مثلاً في رسالة يوجهها إلى شاعر ناشئ قال: (لا تكتب الشعر إلا عندما تشعر أنك ستموت إذا لم تفعل). هذا إذا حكمنا بظواهر الأمور على نوع اللحظة التي يتوقف عندها الفنان المبدع ليصوغ إبداعه. ويبدو لنا أن هذه اللحظة لا ضابط لها، فقد تكون لحظة مرتبطة بالحماس الوطني، أو تكون لحظة مرتبطة بابتسامة أو بدمعة في الحب، فأحمد رامي مثلاً يذكر أن الصوت الجميل كثيراً ما كان نقطة البداية في قصائده، بينما يذكر الأستاذ عبدالرحمن الشرقاوي أن موت أخيه كان مصدر إحدى قصائده، وهكذا. فإذا تركنا السطح وتقدمنا قليلاً نحو الأعماق تلاشت الفوضى البادية لنجد أنه ليس هناك عمل فني إلا وله (ماض) في نفس صاحبه، هذا الماضى هو تجربة قديمة مرت بهذا الشخص فتركت آثاراً عميقة فى نفسه، هذه الآثار قد تختفي من السطح ولكن هذا لا يعني أنها انتهت، فمثلاً قد تفقد إحدى الأمهات ابنها، وتمر شهور بعد حزنها العاصف الذي انتفضت له عقب الوفاة، فتلقى هذه الأم تحيا حياة لا تختلف كثيراً عن غيرها من السيدات.. تبتسم حيناً وتضحك أحياناً أخرى، ولكن ربما تأتي صديقة لزيارتها وتروي لها أن عزيزاً لديها أدركه الموت، عندئذ يختفي هدوء السطح وتتفجر أحزان كانت مختزنة فى الآثار الدفينة. إذن لابد من تجربة قديمة تترك آثاراً عميقة في نفس الفنان المبدع، لأنه مرهف الحساسية، وربما لأن التجربة نفسها عميقة عنيفة، فإذا مرت بهذا المبدع في الوقت الحاضر تجربة إبداع تشبه في بعض جوانبها تلك التجربة القديمة، عندئذ تكون هذه التجربة الحقيقية التي يتوقف عندها وتبدأ دواعي الإبداع تتفتح في نفسه، هذا غيض من فيض عن طقوس الإبداع وشيء من دوافعه.

كونديرا والشيوعية

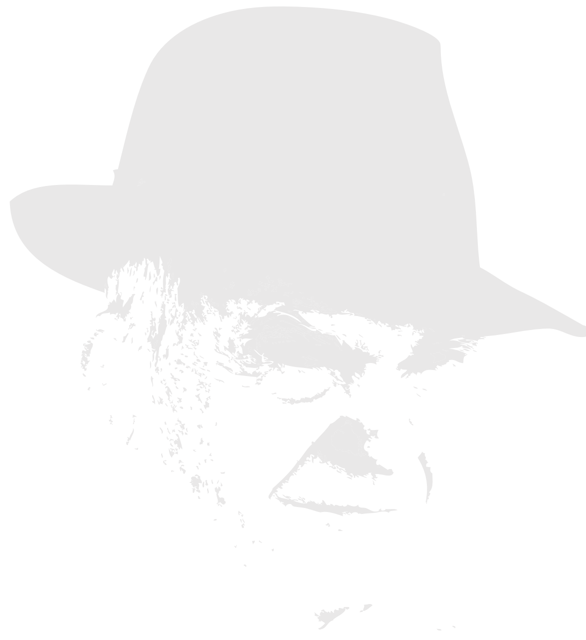
براء الشهري: مكة المكرمة

يعد الكاتب ميلان كونديرا، الفرنسي الجنسية التشيكي الأصل، والذي ولد عام 1929 في براغ؛ أحد أكبر الكتاب الأحياء، حيث يتردد اسمه في الأوساط الثقافية مع كل موسم لجوائز نوبل الأدبية. إلا أن علاقة غامضة تربط الكاتب بالشيوعية، فليس من قبيل المصادفة أن تكون شخصيات رواياته ميريك في (الضحك والنسيان) وتوماس في (الكائن الذي لا تحتمل خفته)؛ عبارة عن شخصيتين مثقفتين كليهما خسر وظيفته، واضطهد من قبل حزبه، وكذلك جاروميل الشاب في بداياته المتحمّسة للحزب الشيوعي في (الحياة هي في مكان آخر)، ولودفيك في (المزحة)، الشاب الذي يقضى على مستقبله بسبب مزحة سخيفة أرسلها لحبيبته الشيوعية التي تظهر كعدو في روايات كونديرا المختلفة. أصر كونديرا في أحد لقاءاته الصحفية أنها لا تعدو كونها ظرفاً شأنها شأن الفقر أو المرض أو الغنى أو غيره من الظروف التي تتفاعل معها الشخصيات وتتأثر بها.

ولكننا إذا نظرنا لحياة كونديرا الذي ولد في التشيك ودرس بها الموسيقى والسينما والأدب، وهو ما أثر بشكل مباشر على نتاجه الثقافي الذي له تناغم وعبقرية الموسيقى؛ نجد أن ميلان كونديرا كان عضواً من أعضاء الحزب الشيوعي في التشيك، قبل أن يطرده الحزب، وهو ما يشابه تماماً بل يكاد يتطابق مع ميريك في (الضحك والنسيان) وتوماس في (الكائن الذي لا تحتمل خفته)، لينتهي به الحال دون مستقبل في بلده الأم، ودون وظيفة مثل لودفيك في (المزحة). ليشارك كونديرا بعدها في ربيع براغ، وهي المحاولة البائسة لصنع اشتراكية ديموقراطية، انتهت بفشل ذريع، وببلد محتل من قبل الاتحاد السوفيتي، ليجد كونديرا نفسه حينها مضطراً على الرحيل، لكنه برحيله من التشيك لم يرحل إلا بجسده، مخلفاً كل ما كان يملكه خلف ظهره، حتى أعمال شبابه التي استهلها شعراً عام 1953م، قبل أن يُعرف كروائي وقاص بعد نشره غراميات مرحة عام 1963م.

كونديرا والشيوعية علاقة غامضة جعلته يتهم في بلاده بعد تحررها من الاحتلال بالعمالة، وهو ما حدا بميلان كونديرا لقطع آخر رابط بينه وبين التشيك وهو اللغة، إذ اعتمد كونديرا بعدها الفرنسية لغة لرواياته.

وأخيراً يرى البعض هجوم كونديرا المتكرر على الشيوعية عداء وكراهية، ويراه البعض الآخر شكلاً من أشكال العتاب المر.



هل سنكون على ما يرام؟

بلقيس محمد: الأردن

هل سنكون على ما يرام لو أننا نعيش وحيدين في شقة صغيرة تطل على أحد الأحياء الجميلة، نقابل الناس لسويعات قليلة ثم نرحل، وكأن لا شيء حصل، يصبحون من ثانويات الحياة، ونصبح نحن من أساسياتها. نتفرغ لأنفسنا لنجعلها تبقى على قيد الحياة، نكف عن التفكير بأولئك الذين يعيشون معنا، نعيش براحة، بعيداً عن شجارهم المتكرر، بعيداً عن دموعنا الممطرة، وبعيداً عن هجومات الأمراض النفسية المتكررة. نغلق هواتفنا نتخلى عنها، ونفتح أرواحنا لنعود لحياتنا كبشر، نقرأ كتباً ونشاهد أفلاماً ونتعلم طبخات جديدة، نستمع لموسيقى هادئة نرقص قليلاً ونغني، ممسكين فرشاة الشعر الخشنة، نصعد على الأريكة ونعيش بجنون في قوقعتنا في شقتنا الصغيرة، ماذا لو أننا نعيش حقاً هناك، هل سنشعر بوحدة مع أنفسنا لأننا لا نعرفها، لا نعرف ماذا تحب أو ماذا تكره فنعذبها بداخل تلك الجدران الأربعة؟

نمارس ما نكره مقنعين أنفسنا بأن هذا حقاً ما نحبه، فتحاربنا نفوسنا لترحل تاركتنا وحيدين هناك.

ماذا لو أننا نعرف أنفسنا، نعرف حجرات قلوبنا وزواياها، نعرف كل ما نحب ونكره، هل سنكون على مايرام، نمارس كل ما نحب، نسمع لها، نعيش معها، بعيداً عن هذا العالم، نستيقظ صباحاً، نطل من شباك نافذتنا، نشاهد حركات الحياة المستمرة، نشعر بالحياة حتى ونحن في قوقعتنا المعزولة هذه، فالأهم هنا أننا نسمع ونرى ونتحدث، ونشعر بالمحيط، فقط نحن نعيش هنا في عزلة جميلة تبعدنا عن كل من حولنا، ماذا لو حقاً عشنا هناك وحيدين نحضر قهوتنا المفضلة، نحمص خبزتين من التوست المربع، نضع عسلاً في إحداهما ونضع زبدة في الأخرى، نلتهمهما بنهم من غير أن يحدثنا أو أن يصرخ في وجهنا أحد، نبتسم ونحن نكمل ارتشاف قهوتنا من غير أن نرى وجوهاً عابسة لأسباب تافهة، نفتح تلفازنا البلازما، نفتح قائمته الشاهقة، وتزداد ابتسامتنا حينما لا نرى أسماء قنوات الأخبار الكئيبة، نبحث عن أحد برامج الصباح، نشاهدها متمعنين في أخبار الصحة والنفس والأخبار الأخرى المشوقة - ولو أنها أحياناً تصبح مملة. نراقب آخر أخبار الثقافة والمواهب، ونلقي إحدى العبارات العابرة. نخرج لأعمالنا متجهين للمصعد، نبتسم لمن هم فيه، نلقي التحية، ونعبر عن جمال الطقس بكافة أحواله، أوَليس المطر جميلاً، أو.. أوه.. ماذا عن الرياح العاصفة، هيا فلتنظروا نظرة إيجابية واحدة، فعندما نعيش ببساطة سنرى جمال الأشياء في أقبحها -ولو أنني شخصياً أحب الأجواء العاصفة-. نخرج من المصعد ونودع كل من فيه متمنين لهم يوماً سعيداً، نكمل الذهاب لأعمالنا، نلقي التحية على كل من نلاقيه ناثرين التعليقات في كل مكان، وهناك يبدأ العمل ببداية مميزة بعقل خاو من التفكير فيما سيحدث لاحقاً، فلسنا مسؤولين عن أحدٍ إلا أنفسنا، فنشرع في عملنا بهمة عالية ونفس راضية، وفي نهاية اليوم ونحن في طريق العودة نقرر اللهو قليلاً، الذهاب للسينما مثلاً، أو حتى نذهب لمقهى جميل تحيطه نسمات الهواء المنعشة، أو حتى ربما نذهب للمشي قليلاً على كورنيش الشاطئ لتنعشنا رؤيته بحالته المهيبة. وبعدها وكالعادة التي ستستمر للأبد؛ سنعود لقوقعتنا حيث ينبع السكون هناك.

حلم ونافذة وبقايا مطر

حسين أحمد المحمد: سوريا

الحلم: هو الانتقال اللاإرادي إلى عالم المجهول الغيبي، وهو صفة ملازمة للإنسان في كل حياته. والحلم يمثل حصيلة نظم قيمية، قد تكون تراكمية نتيجة الكبت، أو تفاعلية أي نتاج التفكير العميق بطموحات الفرد المستقبلية. كان مكسيم غوركي يصف أحد كبار ثوريي عصره قائلاً: إن نصف عقله يعيش في المستقبل. وحتى آينشتاين كان يردد: «المثل التي أنارت طريقي ومنحتني المرة بعد المرة الشجاعة لمواجهة الحياة هي الحب والجمال.. والحقيقة الحلم وحده هو الذي يمنحني هذه القدرة العجيبة على الاستمرار رغم كل المرارات والخيبات».

النافذة: هي الفسحة التي من خلالها نستطيع أن نزيد مساحة الرؤية، إذا كان أمامنا عائق أو جدار. تشترك الأحلام والنوافذ بعدة صفات لعل أهمها السماح للإنسان بزيادة فسحة الأمل لديه، لكل منا حلم ونافذة خلال مراحل حياتنا منذ بدء الخلق وحتى نهاية العمر، نسعى لتحقيقه، ومن يدري ربما أعظم ملاحم البشرية مثل ملحمة جلجامش وكل ملاحم الصراع مع الطبيعة والغيب المجهول خرجت من نافذة الحلم.

طبعاً لكل نافذة شكل خاص بها؛ فللسجن نوافذ صغيرة عليها قضبان من حديد، وللقصور نوافذ كبيرة تسمح للريح أن تداعب ستائرها، وللحبيب نوافذه التي تغنى بها الشعراء.

وهناك نوافذ غطى سطحها زجاج أسود خلفها عيون تراقب كل شيء.

أما بقايا مطر: فهو يا صديقي نقطة ماء دخلت جوف الأرض مثل رحم الأم، يخرج منها يوماً طفلاً قد يصنع له القدر حلماً جديداً يعيد الأمل للبشرية المتوحشة في هذا الزمان الذي ضاق ذرعاً بصراعاتنا.

يعلم العرب جيداً قصة زرقاء اليمامة التي كانت الحارس الأمين لأهل مدينتها، حيث كانت تبصر العدو من مكان بعيد، فتحذرهم ليستعدوا لملاقاة عدوهم، فكانوا ينتصرون بفضل حرصها، لأنها كانت حارس أحلامهم ونوافذهم، لكن عندما لم يصدق القوم رؤيتها حل الخراب في ديار أهلها.

وقيمنا الأخلاقية من حق وفضيلة وتسامح، وأحلامنا للغد المشرق، ونوافذ الأمل؛ هي الحارس الأمين، فإذا ماتت حل ما لا تحمد عقباه. وضاع الحلم وأغلقت النافذة، ولم يعد هناك حتى بقايا مطر.



حقيقة عدم ترجمة العرب للمسرح اليوناني القديم

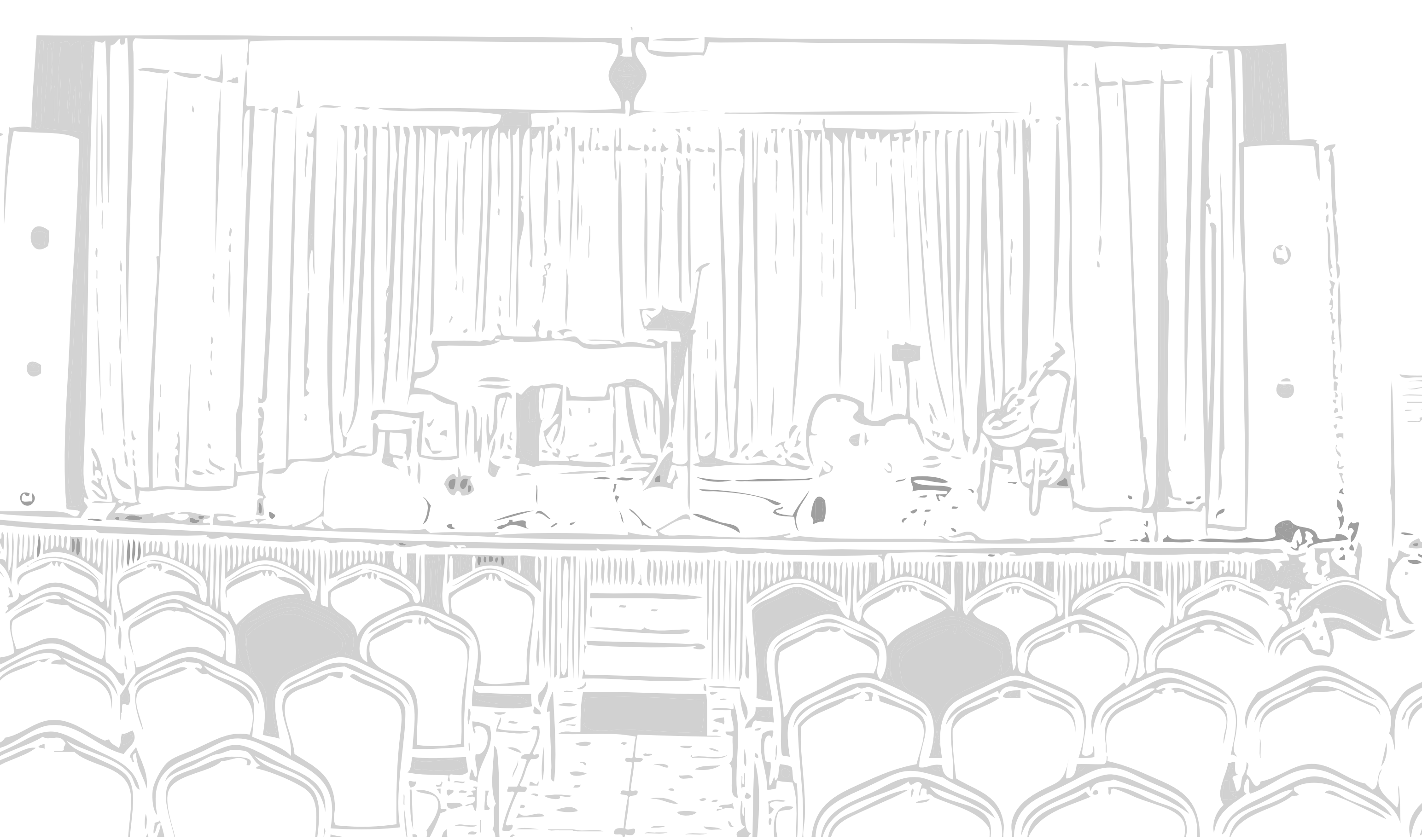
فوزي تاج الدين: مصر

لا أحد يقلل من شأن الثقافة الأوروبية، ولكن دون مغالاة في تقدير أهميتها، فالثقافة ابنة بيئتها، ومن ثم فهي خير معبر عنها. في الوقت نفسه فإن حضارتنا التي أفادت العالم أجمع فترة العصور الوسطى، لها أن تستفيد بالقدر الذي تراه مناسباً من باقي الحضارات والثقافات. كل هذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بخلفية تاريخية مؤداها أنه يجب الحذر كل الحذر عند التعامل مع بعض آراء المستشرقين التي تنتقص من قيمة حضارتنا، لذا فقد تصدى بعض مفكرينا لهذا المنهج الاستشراقي، ومنهم د.محمد البهي، د.طه حسين، د.محمد غلاب، د.أحمد شمس الدين الحجاجي، والأديب محمود تيمور.

من المعروف أن الدكتور محمد البهي الذي أكمل دراساته الفلسفية في ألمانيا، وقام بتدريس الفلسفة بالأزهر، كما شغل منصب وزير الأوقاف؛ له رأي يكشف فيه أهداف المستشرقين المتنوعة التي نجحت في خلق التخاذل الروحي لدى نفوس المسلمين في الفترات الماضية، مما جعلهم يشعرون بالنقص ومن ثم الخضوع للاستعمار.

بينما أوضح د.طه حسين، في مقال له نشر في مجلة الأزهر ديسمبر 1959 بعنوان (المبشرون والمستشرقون)؛ أن المسلمين ترجموا الفلسفة اليونانية، وابتعدوا عن الأدب اليوناني المليء بأسماء الآلهة اليونانية. ومن جانب آخر فإنهم أدركوا أن هناك فرقاً واضحاً بين كل من الفلسفة والعلم، وبين الفن والأدب، فالفلسفة والعلم يرجعان إلى العقل، وهو شيء عالمي يشترك كل الناس في قضاياه ونتائجه، بينما مرجع الفن والأدب إلى الذوق، وهو مختلف بين الشعوب، ولأنهم لم يستسيغوا الفن والأدب اليوناني فلم يترجموه.

وأشار د.محمد غلاب -أستاذ الفلسفة بجامعة الأزهر- إلى أن العرب وجدوا في أدبهم سواء الجاهلي أو الإسلامي ما يغنيهم عن الآداب الأخرى. وفي كتابه (العرب وفن المسرح) يوضح د.أحمد شمس الدين الحجاجي أن العصور الإسلامية تنقسم إلى ثلاث مراحل، الأولى تبدأ من البعثة النبوية إلى الحروب الصليبية، وهي تمثل عصر البطولة، وشهدت ازدهار الحضارة الإسلامية، وبخاصة فيما يتعلق بالاحتكاك الحضاري بين الثقافة الإسلامية والثقافة اليونانية القديمة. والمرحلة الثانية الممتدة من الحروب الصليبية حتى الدولة التركية العثمانية، وشهدت بداية ضعف الأمة العربية، وعرفت هذه المرحلة بمرحلة السيرة. أما المرحلة الثالثة والأخيرة وتمتد من الحملة الفرنسية على مصر والشام (1798 - 1801) حتى تاريخنا المعاصر، وشهدت احتكاكاً حضارياً بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافات الأوروبية، وتضمنت ظهور المسرح للمرة الأولى



فـي المجتمـع الإسـلامي. ويفسـر أن وجـود المسـرح يعود إلى وجود حاجة إليه، ففي عصـر البطولة وما صـاحبه من فتوحـات لـم يكن المسـلمون فـي حاجة إلـى المسـرح، لأن الديـن الإسـلامي منحهم عقيدة صـافية أعطتهم تصـوراً مقنعـاً لكل مـن الوجود والكون، ومن جانـب آخر فلا مكان فـي الإسـلام للمسـرح اليوناني المليء بأسـاطير ملحمية وثنيـة. وفـي ظل وجـود بطولة إسـلامية حية ومعاشـة لم تعـد هنـاك حاجة إلـى ملحمة تبالـغ في تصـوير البطولة، واسـتعاض المسـلمون عـن ذلـك الأدب بـالأدب القصصـي بمـا يشـمله من قصـص الحب العـذري، والقصـص الناقد للمجتمع مثل البخلاء للجاحظ، والقصص التعليمي كفن المقامـة. وفـي كتابـه فن القصـص؛ أشـار الأديـب محمود تيمور إلى أن المسلمين معذورون في عدم ترجمة المسرح اليونانـي لأنهـم لم يشـهدوا هذا الفن في بلادهـم، وأدركوا أن ترجمة النصوص الشعرية للمسرح اليوناني يذهب عنه روعته.

ويطـرح الباحث د.محمد عبدالمنعم العربي في دراسـته (أدب المسـرح فـي اللغـة العربيـة بيـن القبـول والرفض) سـؤالاً: هل أثر غياب المسـرح عن الأدب العربي الإسلامي فـي كفاءتـه أو قلـل مـن قدرتـه علـى أداء رسـالته؟ ليجيب بالنفي، مستشـهداً برأييـن للدكتـور طـه حسـين، وعباس محمـود العقـاد، حيث يقـول د.طه حسـين، فـي كتابه (من حديـث الشـعر والنثـر): إن الأدب العربـي الإسـلامي هـو الـذي عاشـت عليـه كل الأمـم العربيـة، وحمـل لـواء العلم والعقـل خـلال العصـور الوسـطى، وإن النهضـة الأوروبيـة الأولـى التـي ظهـرت في القـرن الثاني عشـر جـاءت نتيجة لاتصـال أوروبـا بالعرب، ولو لـم يكن للأدب العربـي إلا أنه حمل لواء الأدب الإنساني والعقل الإنساني في عشرة قرون لـكان هـذا كافيـاً للاعتراف بأن هـذا الأدب مـن الآداب التي تعتـز بنفسـها وتسـتطيع أن تثبـت لصـروف الزمـان. وفـي هـذا السـياق أكـد عباس العقـاد في كتابـه (أثـر العرب في الحضـارة الأوروبية) أنه إذا اسـتطاعت أوروبا أن تفخر الآن بعلمائها المستشـرقين، فإننا نثـق بأنها مدينة بهذا للأدب العربي، فـالأدب العربي ترك في شـعر الأوروبيين ونثرهم أعظم الآثار في الفترة من القرن الثالث عشر حتى القرون الحديثـة، إلا أن الأثـر الذي يفوق كل أثر هو الأثر الشـامل الـذي يعـزى إليه أكبـر الفضـل فـي إحياء اللغـات الأوروبية الحديثـة وترقيتها إلى مقـام الأدب والعلم، ويكفي لإجمال الأثر الذي أبقاه الأدب الإسلامي في آداب الأوروبيين أننا لا نجد أديباً واحداً من نوابغ الأدباء عندهم خلا شعره أو نثره من بطل إسـلامي أو نادرة إسـلامية، ومـن الجدير بالذكر تأثـر القصـة الأوروبية في نشـأتها بمـا كان عند العرب من فنون القصـص في القرون الوسطى وهي المقامات وأخبار الفروسية وبطولات العرب في سبيل المجد والحب.

الأمثال.. خلود سرمدي



محمود أحمد حسانين: مصر

حينما نزل القرآن على سيدنا محمد تحدى العرب، وكانوا بالفعل أهل البلاغة، فتحداهم الله بالقرآن وببلاغته الخاصة، وخصوصاً في ضرب الأمثال. وأمثال القرآن لها بلاغة خاصة، وتذوق جميل، لا يحس بها إلا العارف لأسرار اللغة والدارس لمعاني المثل. وفي القرآن كما يذكر ثلاثة وأربعون مثلاً. وفي العهد القديم كانت الأمثال كما هو في سفر الأمثال أو أمثال سليمان التي في العهد القديم.

فهل أصبحت الأمثال تحظى بما كانت تحظى به في حياة العرب السابقين؟

إن المثل يشكل الحكمة وخلاصة التجربة التي يبحث عنها الإنسان في حياته، وهي حكاية مروية من حياة أجدادنا، وكثير منها يمثل لنا ضرورة تتكشف بها أمور قد يستعصي على الكثير فهمها، وأيضاً هي ملخص ناجز لكثير من المواقف التي تكون عبرة للآخرين في كل البلاد وعلى مر العصور، فنجد المثل هو لغة البلاغة في الموطن الذي يخرج منه، ومن هذه الأمثال ما له دلاله بالنسبة لمن يلقيها أو يتلقاها شفاهة من الغير، فهو لم يؤلفها من فراغ، ومهما كان المقصد فهي في النهاية تترك انطباعات تثري الوعي لدى الأفراد.

فتعبر عن سير الملاحم العربية باتساع الوطن العربي، كما جسدتها الشاشات في الدراما والسينما، حيث يمتزج فيها التاريخ بالخيال والحقيقة بالأسطورة، وهي السير التي تمجد قيم الشجاعة والبطولة والشرف والنخوة، حتى صارت شخصيات السير وأحداثها مضرب الأمثال.

وليس كما يقال إن المثل وأغلب الموروث الشعبي في حالة اندثار، بل نجد أن الأمثال من أهم الموروثات لدينا، تتخاطر على ألسنتنا، فهي خلود سرمدي لا يفنى. فنجد الأمثال والحكم نابعة من أحوال البسطاء، وهكذا تقوم الأمثال بتكوين جزء من الوعي لدى الناس، تتقاسم ذلك مع الأغاني التي يتأثرون بها، وتميز الحياة من المنزل إلى معترك الشوارع، حيث الألفاظ والمعاني، ومن ثم فإن إدراك الموروث السلوكي من أفواه العامة من البسطاء والتعامل معهم؛ هو الذي يجعل من هذا الفلكلور الشفاهي جسر تواصل بين الحضارات القديمة والحديثة.

فنجد من الأمثال الكثير الذي يأخذ على محمل للعظة وللحكمة وللنصيحة. وتقسم الأمثال إلى عدة أقسام فهي: للتعزية، للفرح، للحسرة، للتنكيل، للعبرة.

كما أنها شديدة الخصوصية بالتهكم، وهناك أمثال عامة للتفكر في الكون، فتصدح تلك الأمثال في سماء الحياة، فنجد سيلاً من الأمثال ينطلق في كل ما يواجه الإنسان من خلال تعامله في الحياة. يقول الفيلسوف الألماني شيلر: (هنالك معان عميقة تكمن في الحكاية الشعبية التي رويت لي في طفولتي تفوق في قيمتها أي معلومات اكتسبتها في الحياة). إذ نجد من أهم المؤثرات التي تترك في الطفل أثراً ينمو معه، وقد يحتذي به في بعض تصرفاته؛ منبعه من الحكايات الشعبية، فمن حيث الموروث أو التراث الذي هو عبارة عن مجموعة تركيبات تفاعلت داخل الإنسان في حقبته التاريخية التي عاشها، فهو ينفث ويسري عن نفسه بطريقته التلقائية.

ومن هذه الأمثلة:

(اللي ما حصلش الضاني يلحس الفروه.

حننتك ما تقبل تحنين ولا القلوب القاسيه تلين.

بوز الكتكوت عمره ما يسكت.

الفاجرة ست جيرانها.

ديل الكلب عمره ما يتعدل حتى ولو علقوا فيه قالب.

ألحس مسني وابات متهني ولا قلقاسك اللي قتلني.

عطاكي زمانك يا بافا منديل بزرافه وشباك تبصي منه وتقولي نيو.

عطاكي زمانك يا ام رجلين عوج سقه وراكب قاعود.

رحت يا دندوف تكيد ناسك خطف الغواص طقيتك ورجعتلنا براسك).

وهكذا تتكاثر الأمثال في شتى نواحي الحياة لتجعلنا لا نهمل التراث الشفهي الذي هو مصدر العبقرية في التأليف والتنوع اللهجي.



نحن وتجاربنا الإبداعية

عبدالواحد ابجطيط: المغرب

حين ما يصدر الواحد منا إصداره الأول، في جنس أدبي ما، تغمره السعادة، ويشعر أنه قد حقق فعلاً رغبته التي طالما سعى إليها، وثابر من أجلها. ويزداد فرحاً إذا ما لقي عمله هذا استحساناً من قبل القراء، ورواجاً من طرف الإعلام.

وإذا كان حسن الصدى عادة يطمئننا، ويضيف إلينا الشيء الكثير؛ فإننا في كثير من الأحيان نجد أنفسنا قد دخلنا في متاهات نحن في غنى عنها، فننسى نتيجة لذلك أن نسائل تجاربنا، ونقيم إبداعاتنا، دون أن نغتر بقول فلان أو علان. والطامة الكبرى، حين ترى الواحد منا يحاجج في المناسبات والمسابقات، بدراسة فلان أو تقريظ علان، لعمله هذا أو ذاك، على تمكنه واستحقاقه للجائزة!

إن المبدع الحق، هو من يسائل تجربته الإبداعية بنفسه، مهما قيل عنه، ويراهن في مستقبله الإبداعي على الجودة، ويحذر التكرار والرداءة. علماً بأن الرداءة يسقط فيها المبدعون الكبار، نتيجة لمسارعتهم في النشر، فكيف بالمبتدئ الذي ما زال يشق طريقه؟!

إن تجاربنا الإبداعية، على كل حال، يجب أن تبنى على أسس متينة، نشيدها بأنفسنا، وذلك بالإجابة الصريحة عن مثل هذه الأسئلة الكبيرة التي تلاحقنا دائماً: لماذا الكتابة؟ هل نكتب لأننا نحب أن نرى أسماءنا على ظهور الكتب، ويقال عنا بأننا كتاب ومبدعون، على اعتبار أن الغاية تبرر الوسيلة؟ هل نكتب لنفتخر على الآخرين، لاسيما ونحن في مرحلة الشباب بما يصاحبها من عجب واندفاع وغرور..؟ أم نكتب لأن هناك فراغاً في الساحة، يجب على الجيل الحالي أن يملأه، ويأخذ لواء من سبقه، ويعبر عن قضايانا الكونية والمجتمعية والذاتية..؟ وإذا كان الأمر كذلك- يعني إذا كنا نكتب لغايات نبيلة ومشروعة- يبقى السؤال الآخر، الذي يؤرق حقيقة، هل نحن فعلاً نمتلك القدرات المعرفية، والمؤهلات العلمية، التي تخول لنا أن نخوض غمار الكتابة؟ علماً بأن الكتابة مهمة صعبة، وحرفة شاقة، كما القراءة تماماً. فالمبدع لابد أن يكون صريحاً مع نفسه، وعليه أن يهتم بسد هذه الثغرات في شخصيته المعرفية، إذ لا مفر له من النقد الذاتي.

ونحن اليوم نلاحظ أن كثيراً من نصوص شعرائنا الشباب، تتكئ مثلاً على شعر هشام الجخ، وتميم البرغوثي، وغيرهما، ممن توجد قصائدهم على اليوتيوب. لماذا؟ السبب واضح، وهو أنهم استمعوا لهذه القصائد وأعجبوا بها، مما يعني أنهم لو قرؤوا الشعر، بصفة عامة، لتأثروا به أيضاً، ولوجدوا أثره في نصوصهم، بوعي أو بدونه، ذلك أن الإبداع لا يأتي من الفراغ أبداً. فمن هو تميم البرغوثي، إذا ما قورن مثلاً بمحمود درويش، ونزار قباني، وصلاح عبدالصبور، وأمل دنقل، ونازك الملائكة، وبدر شاكر السياب... ومن هو إذا قورن بالبحتري، وأبي تمام، والمتنبي، وأبي فراس الحمداني، وغيرهم بالنسبة لزمان كل واحد منهم، لكن التكنولوجيا فعلت فعلها. ولسنا هاهنا نريد أن ننتقص من شاعر ما، ولا أن نقارن بصرامة شعر شاعر قديم بآخر معاصر، كما لا يجوز أن نحاكم القدامى انطلاقاً من ثقافة عصرنا نحن، لأن المقارنة تتعذر؛ لكن نتحدث عن مكانة كل واحد في سياق عصره، فالمتنبي في عصره مثلاً كان شاعراً متمكناً، وشاعراً تقدمياً.. وقل هذا عن غيره.

إن كتابة الشعر -كما الأجناس الأدبية الأخرى- تتطلب من الكاتب أن يكون ذا ثقافة واسعة، ومطلعاً على علوم كثيرة، مثل: الفلسفة، التاريخ، والدين.. فكيف يعذر إذا كان جاهلاً بالشعر نفسه، قديمه وحديثه؟ وجاهلاً بما هو معلوم من الأدب بالضرورة؟!

بطاقة الهُوية في الشعر الحديث مقاربة سيميائية

إبراهيم جابر علي: مصر

الهُوية أيقونة تحقيق الشخصية، حيث تبرز أهم بيانات صاحبها، وتحتفظ له بصورة التقطت في لحظة ما من الزمن. وتحقيق الشخصية هو إثبات لها ولفاعليتها، ولأحقيتها في حقها إذا سلب.

في قصيدة (بطاقة هوية) للشاعر الفلسطيني محمود درويش (1941-2008) نقرأ:

(سَجِّلْ
أَنَا عربيّ
وَرَقْمُ بِطَاقَتي خَمْسُونَ أَلْف..
وَأَعْمَلُ مَعْ رِفَاقِ الْكَدْحِ في الْمَحْجَرْ).

فبطاقة الهُوية هنا أيقونة تجمع معاني الإثبات وتحقيق الذات على أرضها السليبة، مهما كانت محاولات عدوها لأن يقتلعها من جذورها. فالاسم: (عربيّ) يختزل مساحة الوطن العربي كلها في فرد واحد يوحد بين جميع الجنسيات المتحدثة بالعربية، ويقف رقم البطاقة (خمسون ألف) مؤشراً سيميائيًا يثبت الوعي الجمعي لقضية الذات، فإذا ما مات صاحب تلك البطاقة فإن باقي العدد سيواصل المسير لإحقاق الحق. هذا الوعي الجمعي ينسحب على الوظيفة (وَأَعْمَلُ مَعْ رِفَاقِ الْكَدْح)، إذ تشير (مَعْ) إلى اندماج الذات في جمع تتقاسم معه الهم الوطني والعيش.

أما عن صورة صاحب الهوية فنقرأ:

(وَلَوْنُ الشَّعْرِ فَحْمِيٌّ
وَلَوْنُ الْعَيْنِ بُنِّيٌّ
وَميزَاتي: عَلَى الرَّأْسِ عقَالٌ ثُمَّ كُوفيّة
وَكَفّي صُلْبَةٌ كَالصَّخْرِ تُخَمِّشُ مَنْ يُلَامِسُهَا).

تحمل صورة الهوية إذن عدة إشارات سيميائية تؤول كلها نحو إثبات الذات وأحقيتها في أرضها، فالشَّعْرُ لم يشتعل شيباً، والعين لم تزل بنضارتها مصرة على حقها بكبرياء، وتاج العرب (العقّال والكوفية) يُكَلِّل الرأس، بجانب هذه الوسامة النضرة، ثمة القوة حاضرة في الكف الصلبة كالصخر التي ترد بأس أعدائها.

وقد تفقد الهوية فاعليتها فلا تشفع لصاحبها، ولا تريح له حقاً، ولا تحميه بأساً، وذلك حين يرتفع الخط البياني لبطش هرَاوَات السلطة، وإذا ما كان ذلك لن تشفع حتى عشر هويات.

في قصيدة (الهُويات العشر) للشاعر العراقي بُلند الحَيْدَري (1926 - 1996) تكون الهوية نفياً للذات لا تحقيقاً لها، إذ يخرج الشاعر في الليل وبجيبه عشر هويات في ظنه أنها تشفع له بالتسكع في الشوارع مستمتعاً بحريته، يقول:

(... وَخَرَجْتُ اللَّيْلَة
كَانَتْ في جَيْبي عَشْرُ هُوِيَّاتٍ تَسْمَحُ لي
أَنْ أَخْرُجَ هذي اللَّيْلَة
اسْمي بُلَنْدُ بْنُ أَكْرَمْ
وَأَنَا منْ عَائلَة مَعْرُوفَة
وَأَنَا أُقْسمُ لَمْ أَقْتُلْ أَحَدًا
لَمْ أَسْرِقْ أَحَدًا
وَبِجَيْبِي عَشْرُ هُوِيَّات تَشْهَدُ لي
فَلِمَاذَا لَا أَخْرُجُ هذي اللَّيْلَة
وَرَصيفُ الشَّارِعِ كَانَ خلواً إلّا منْ صَوْتِ حِذَائي
طَقْ..
طَقْ..
طَقْ..)

تأتي بطاقة الهُوية هنا حاملة إشاراتها السيميائية بشكل جعلها أشبه بصحيفة الحالة الجنائية، فيها الاسم كاملاً، ومكانة العائلة، وفيها بصمات الذات/الشخصية التي لم ترتكب جرماً يوماً ما. فلماذا لا يمارس حريته ويمشي متسكعاً فرحاً منطلقاً، مرة على يمين الطريق وأخرى وسطه وثالثة على شماله، وحيداً يطرب لصوت حذائه؟ إلا أنه يضبط ممارساً فعلاً فاضحاً في الطريق العام، وهو ممارسة الحرية، يقول:

(فِي الْيَوْمِ الثَّانِي/كَانَ بِبَابِي شُرْطِيَّانِ
سَأَلَانِي مَنْ أَنْتَ:
أَنَا بُلَنْدُ بْنُ أَكْرَمْ
ضَحِكَا مِنِّي.. مِنْ كُلِّ هُوِيَّاتِي الْعَشْرِ
وَرَأَيْتُ يَدًا تُومِضُ فِي عَيْنِي/
أَنْتَ مُدَانٌ يَا هَذَا
لَكِنِّي أَدْرَكْتُ بِأَنَّ هُوِيَّاتِي مَا كَانَتْ إِلَّا شَاهِدَ زُورِ
وَبِأَنِّي سَأَنَامُ اللَّيْلَةَ فِي السِّجْنِ وَبِاسْمِ هُوِيَّاتِي الْعَشْرِ
فِي زَمَنٍ.. فِي بَلَدٍ لَا يَمْلِكُ أَيَّ هُوِيَّةٍ).

لقد أصبحت الهُوية بل العشر هويات شاهد زور على صاحبها، وأدت به إلى السجن، أي أن الهوية هنا قد تحولت إلى أداة تجريف للذات، أو أداة نفي تسلب الإنسان أجمل ما فيه، تسلبه تلقائيته وتحليقه في كل الأجواء، وسعادته المؤقتة بالحياة.

أما عن الصورة الشخصية في هوية النفي فهي صورة بائسة ألقت عليها سلطة البطش مخلفاتها وتعاليها وعقدها النفسية، يقول (بلند):

(هَذَا رَسْمِي
هَذَا خَتْمُ مُدِيرِ الشُّرْطَةِ فِي بَلَدِي
هَذَا تَوْقِيعُ وَزِيرِ الْعَدْلِ وَقَدْ مَدَّ بِهِ زَهْوٌ فَحَزَّ فَمِي
وَأَطَاحَ بِسِنٍّ مِنْ أَسْنَانِي
خَدَّشَ بَعْضاً مِنْ عُنْوَانِي).

لقد ظهرت الصورة الشخصية مشوهة منفية تحت (ختم مدير الشرطة) و(توقيع وزير العدل) الذي أحس بزهو منصبه فمد في (فورمة) التوقيع حتى أطاح بعضاً من جهاز النطق الإنساني (الفم والسن)، وهي إطاحة بالغة الدلالة، ترصد حالة النفي حتى داخل الذات، وقطع الطريق على أي فرصة للتعبير.



على ضفاف النهر تحققت الأمنيات

محمد أكروح: المغرب

كان تفكيرهما مختلفاً تماماً، في الضفة المقابلة، جلس قرب مكب نفايات صناعية، يتناول خليطاً من الأفكار، حول كيفية تنفيذ خطته التي يحلم بتحقيقها كل يوم.

وفي الجهة الأخرى، جلس أيضاً، تحت مظلة شمسية جميلة، يشرب عصيراً طازجاً، ويستمتع بدفء الشمس، وأفكاره كلها، أحلام يأمل أن تصير واقعاً.

إنهما من عالمين مختلفين، لكنهما متصلين بعدة طرق، أغلبها ظاهر للعيان، لكن تلك الخفية منها، هي دائماً الأعقد، والأخطر.

مدينة الأحلام، ومدينة المصير، يفرقهما نهر عظيم، يحتاج أكثر من ساعتين للمرور بين ضفتيه، مدينة الأحلام، وجدت لتكون جنة على الأرض، أو كما يعتقد أكثر أهلها، هي الجنة التي وصفها القدماء، لكنهم أخطأوا في القول بوجودها في السماء، إنها في الأرض الآن.

بناياتها جميلة، منسقة وفق نظام دقيق، يبعث الأمل في كل نظرة توزعها حولها، بين كل بناية، تجد بستاناً فيه أفضل أنواع الأشجار، والزهور، والطيور، أو لنقل أن كل شيء في الطبيعة هو جميل، لذلك عني المهندسون كثيراً بتوزيع الغابات وسط المدينة.

حتى نظام التنقل فيها، يعد من المعجزات التي يمكن أن نتحدث عنها الآن، لا شيء يلوث البيئة، لأنه لا وجود لعربات مثل ما نعرفه نحن، الأمر أشبه بطقطقة أصابع اليد ليتحقق ما تريد، لا خوف على الحياة، في ظل وجود نظام صحي متطور، لا قلق من ضجيج، أو جريمة، أو سرقة. الحياة هناك، كما يسميها سكان مدينة المصير، (حياة الأحلام).

في الضفة الأخرى للنهر، والمقابلة لمدينة الأحلام، تقع أرض تلقب بالمنفى، أو هي مدينة المصير، كما هي معروفة عند سكانها، وكما الخير والشر، الوجود والعدم، مقابل الجنة، توجد مدينة الجحيم، التي تكثر فيها الجرائم، والأوساخ، وكل شيء سيء كما نعرفه في عالمنا وأكثر.

للبقاء فيها، يجب أن تكون سيداً قوياً، أو عبداً مطيعاً، أما غير ذلك، فربما تكون محظوظاً وتعيش فاراً، لا تعرف أي وجهة تقصد، قبل أن تلقى حتفك جوعاً، أو تحت قبضة من يطاردون الفارين من النظام، الملقبون بـ(معارضي المصير).

رغم أن المرور إلى مدينة الأحلام مستحيل، بل هو أم المستحيل، فإن البعض ممن فقد الأمل، تجده في بعض الفترات من اليوم، ملقى أمام حاجز من الطاقة غير مرئي يفصل المدينتين، مشوياً، بعد أن تعرض للصعق.

كان يجلس هناك طيلة اليوم، فهو معارض للمصير، ولا يستطيع العودة إلى المدينة، ويحدق باستمرار إلى الجمال البعيد عن متناوله في مدينة الأحلام، يرى كل شيء كان يمكن أن يكون له، لكنه لم يكن، ويتساءل: لماذا؟ ليرتد إليه جواب راسخ في أعماق شعوره، حفظه عن كل من عرفهم في مدينة الجحيم: إنه المصير المحتوم.

قبل أن ينهض إلى مخبئه القريب من مكب النفايات، حدّق في الغروب لآخر مرة هذا اليوم، وقال أمنيته التي أخذها النهر بعيداً: أتمنى أن تتدمر مدينة الأحلام، ليحس سكانها بقليل من الجحيم الذي نعيش فيه.

وبين يدي الغروب، عند ضفة الجنة، نهض بدوره يغادر المنتجع، بعد أن قرأ رواية جميلة، تحكي عن حب لم يوجد بعد، وأرسل نظرة عميقة إلى مدينة المصير، التي لا يظهر منها سوى أعمدة دخان حريق ما، أو مصنع ضخم لا يتمتع بأدنى شروط السلامة، وبعض المباني القديمة الوسخة. وتمنى أمنيته التي كانت حلماً لأمه الميتة: أتمنى أن تصبح حفرة الجحيم تلك، مثل مدينتنا، حتى نعيش السعادة الكاملة.

كان من المستحيل تغيير واقع المدينتين، فالنهر يفصل بينهما جغرافياً، والسنوات الضوئية تفصل بينهما في طرق العيش، لذلك، وكما يقول القدماء، يحتاج الأمر قوة أكبر منا.

من كان ليصدق أن النهر الذي يفصل بينهما، هو من سيغير كل ذلك الواقع! حمل النهر الأمنيتين معاً، ووصلتا إلى الوصي على المدينتين، ولا داعي لنتحدث عنه، لأنه قوة غير معروفة لدى البشر، حتى في مدينة الأحلام.

فكانت المعجزة، وتحققت الأمنية الأولى. فاض النهر على مدينة الأحلام، وغرقت عن آخرها، وصارت شوارعها نتنة، مليئة بالجثث، وغادرت الطيور، وماتت الغابات، وعاد البشر يتقاتلون سيداً وعبيداً.

وفي المصير، بدأت الأمور تتغير، وتحققت الأمنية الثانية، حين بدأ سكانها، بفضل قوة ما، إعادة بنائها من جديد، في ظل قانون جديد، والناجون هناك في المدينة التي كانت سابقاً تدعى أحلاماً، ينظرون إليها من وراء سياج، ويتمنون أشياء لا تخطر على بال.

تعليم المهارات الحياتية

محمد عباس عرابي: مصر

أصبحت المهارات الحياتية ضرورة حتمية لجميع الأفراد في أي مجتمع، فهي من المتطلبات الأساسية التي يحتاج إليها الفرد لكي يتوافق مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه، ويتعايش معه، حيث إنها تمكنه من التعامل الذكي مع المجتمع، وتساعده على مواجهة المشكلات اليومية، والتفاعل مع مواقف الحياة. وتعرف المهارات الحياتية بأنها: مجموعة من المهارات المرتبطة بالبيئة التي يعيش فيها الفرد، وما يتصل بها من معارف وقيم واتجاهات، يتعلمها بصورة مقصودة ومنظمة عن طريق الأنشطة والتطبيقات العملية.

كما تعرف بأنها :مجموعة من السلوكيات التي تعتمد على معارف ومعلومات ومهارات يدوية، واتجاهات وقيم، يحتاج كل فرد إلى إتقانها وفقاً لعمره وطبيعة مجتمعه وموقعه في هذا المجتمع، ليتفاعل بإيجابية وموضوعية مع متغيرات العصر، سواء أكانت معلومات أم مواقف أو مشكلات. وتُعنى المهارات الحياتية ببناء شخصية الطلاب للتعامل مع مقتضيات الحياة الواقعية الشخصية والاجتماعية والوظيفية، والتفاعل الخلاق مع مشكلات مجتمعه، وتتضمن مهارات التفكير، ومهارات التواصل الاجتماعي، ومهارات العمل اليدوي، واستخدام التقنية. والمهارات الحياتية كثيرة ومتعددة، منها: التفاعل مع الآخرين، التغذية السليمة، المهارات الغذائية والصحية، ترشيد الاستهلاك، مهارات المواطنة، مهارات الاتصال، مهارات تحقيق الذات، مهارات الوعي الاجتماعي، مهارات الوعي العلمي، مهارات حل المشكلات واتخاذ القرار.. وغيرها. وإن من الأهمية إكساب الطالب المهارات الحياتية، فهي مستهل تنشئتهم الاجتماعية بشكل يكفل لهم التعامل مع الأحداث والمواقف العديدة والمتنوعة والمتغيرة التي يبوح بها المجتمع، بما يهيئ للجيل الجديد أن يتمرس على التعامل مع الآخرين، ويعيش حياته بشكل أفضل عندما يحسن تعامله مع المواقف وينجح في مواجهة الأحداث، ويكتسب ثقة بنفسه تساعده على الارتقاء بقدراته.

وتؤكد الدراسات التربوية على أهمية المهارات الحياتية في إعداد الطالب للحياة، ومساعدته على التفاعل الناجح والإيجابي مع المواقف والمشكلات اليومية التي تعترضه، وتنمية ثقته بنفسه، وتحمل المسؤولية لديه وإكسابه القدرة على التواصل الفعال مع الآخرين وتطوير ملكاته العقلية المرتبطة بالإبداع والابتكار والاكتشاف وحل المشكلات.

إن تعليم المهارات الحياتية للطالب يركز بشكل كبير على التعليم العملي النشط، فلا يكون تعليم المهارات نظرياً وإلا لما كان اسمها مهارات حيث إن:

- الطالب هو المحور، فتعليم المهارات الحياتية يبنى على احتياجات الطالب.
- يستعمل المعرفة والخبرة لديه.
- يعطي الفرصة للطفل لاكتشاف القيم والمواقف في بيئة آمنه وخاليه من التهديد.
- دور المعلم في تعليم المهارات الحياتية هو «الميسر» وليس المدرس الملقي.
- تعتبر الطرق التعليمية الاكتشافية والتجريبية ولعب الأدوار، وقراءة القصص، ومجموعات العمل أساساً له.

ومن العوامل التي تساعد المعلم على تنمية المهارات الحياتية لدى الطالب ما يلي:

- البحث عن الطرق التي تزيد من إحساس الطالب بالبيئة المحيطة به. وتوفير المصادر والخامات الضرورية لإنتاج وإخراج أفكار الطلاب.
- العروض العملية، حيث يتعلم الطالب الكثير من المهارات الحياتية عن طريقها.
- الاهتمام الواعي بأسئلة الطلاب واقتراحاتهم.
- تنمية التقييم الذاتي لدى الطلاب.
- عدم الحكم السريع على الأفكار التي يقدمها الطلاب.



الأدب ليس لمن غلب

شعبان ناجي: مصر

في مقاله الرائع «أدب يتغزل بمن غلب» المنشور بالعدد 469 بمجلتنا الحبيبة، نكأ الأستاذ هاني نقشبندي من الإمارات الجراح حين تحدث عن الأدب العربي المسيس، والذي يسير دوماً في ظلال السلطة، مشيراً إلى أن الإبداع العربي في هذه اللحظة الراهنة عاجز تماماً عن مجاراة الواقع السياسي والاجتماعي، ولا سيما فيما يختص بثورات الربيع العربي، رغم الكم الكبير من الأعمال الإبداعية التي تصدر ليلاً ونهاراً، مدعية أنها تنبأت بتلك الثورات.

ونحن نؤكد من الوجهة العامة على أن كل هذا الكلام صحيح، فالأعمال الأدبية وخصوصاً الرواية لم تتناول واقعنا السياسي الحالي بشكل موضوعي وعميق، لكن ثمة أسباب أدت إلى ذلك لابد أن نشير إليها، أهمها أنه بعد ثورات الربيع العربي التي اجتاحت أرضنا العربية، لا يزال المبدع العربي في حالة ذهول تام، وانعدام وزن مما حدث، لأنه بكل المقاييس كان مفاجأة له ولم يكن أبداً مهيأً لها.

كما أن الكثير من هذه الثورات العربية لم تؤت ثمارها حتى الآن، حيث سرعان ما انقض عليها الكذابون، والمتلاعبون بالعقول فأجهضوها وأفرغوها من محتواها، في الوقت الذي ابتعد فيه الحقيقيون الشرفاء عن المشهد تماماً.

ومن ثم صارت هناك حالة من الفوضى، جعلت الرؤية ضبابية، وجعلت الثقة مزعزعة وربما غائبة أحياناً، وبناء على ذلك لم يستطع الكاتب الحقيقي هنا، وفي ظل هذا الاضطراب والتخبط أن يخط فكرته على الورق، لأن الظروف تضطره إلى التريث والاعتدال، في الوقت الذي لابد فيه للفكرة أن تختمر في عقله حتى تخرج بالصورة التي يرضاها هو، ويرضاها المتلقي المتعطش لإبداع مختلف.

إن قول كاتبنا هنا إن (الأدب يتغزل بمن غلب) ليس القول الفصل، لأنه قد ينعكس تماماً إلى النقيض، فيكون الأدب هنا ليس للذي غلب، خصوصاً لو وجد هذا الأدب للانطلاق الأرض الخصبة والمناخ الملائم، وهامش الحرية المتسع.



الإبداع والسياسة العطر والغبار

عمر إبراهيم محمد: مصر

تابعتُ في العدد 469 لشهر صفر 1437هـ من «المجلة العربية»، موضوع «علاقة جدلية بين السياسة والإبداع» للكاتبة حنان كامل من مصر. وقارنت بين الإبداع كعالم مثالي وخيالي، والسياسة كمصالح ومواءمات.. وركزت على الفن خصوصاً التشكيلي «الجرافيتي» ومدى انتشاره وتأثيره المباشر على السياسة، بعكس الأدب الذي يأخذ وقتاً أطول، وانعكاس الأزمات السياسية على صناعة النشر ببلدان الربيع العربي.

وتعقيباً أضيف بأن الإبداع ذائقة مضيئة التميز بين العطر والغُبار، الإبداع حالة صاعدة من مخزون العقل ومكنون الروح، هو نشاط إنساني واع يتيح للفرد والجماعة استخدام المعاني المتصورة في داخله، ليصبح بعد ذلك مدركاً حسياً مشتركاً، سواء كان ذلك مشاهداً كالفن بشتى مجالاته، أو ملموساً كرواية أو مطبوعة، أو مسموعاً كشعر بكل أطيافه.

وللأسف عندما ينتشر الأدب، ويتفاعل في شرايين المجتمع أي مجتمع، ليحرض ويحث على الحرية والتغيير، تُسن السكاكين، وتفتح السجون والمعتقلات أبوابها من قبل أهل السياسة!! لأن السياسة هي صندوق الظلام والدمار، وملعب الأفاقين والقادمين من فضاء العتمة، وأرضاً ووطناً موهوماً، وميعاداً منحولاً، وأجساداً يعبق بها الكذب.. كم من أوطان خربت باسم السياسة، وكم من معارك وحروب شنتها نخبة سياسية متهورة أودت بحياة الملايين من البشر!!.

أي نعم.. الإبداع فتح الطريق لثورات الربيع العربي منذ عدة أعوام ومازال، فكم من رواية أو قصة أو مقال أو بيت من شعر أو لوحة فنية، حرضت على الثورة ضد الطغيان وسفاكي الدماء.. ولكن للأسف مازالت الجروح تنزف، وبعض النخب السياسية تتأرجح هنا وهناك!!

كل تلك العوامل الأدبية وغيرها ساعدت على قيام الثورات، أما الكتابة عن مُجريات الأحداث الجارية الآن وتوثيقها أدبياً، فتحتاج إلى الكثير من الوقت لاستكشاف الحقائق والأباطيل. وعن سرعة انتشار فن «الجرافيتي» في الوطن العربي، يرجع لظهور جيل جديد يرغب في التعبير عن مكنوناته، فوجد الكثير من الشوارع وفضاءً على الحوائط فاستغلهما، فسلط الرؤية مباشرة عليه بدون مشقة أو تكليف، وأضحى مُعبراً عما في خلجاته سلباً أو إيجاباً، ولكنه ليس توثيقياً بالمعنى الشامل.

وهُنا ينسب الفضل لشبكات التواصل الاجتماعي التي خلقت عالماً نشطاً ومتحرراً من خوفه، وموازياً للعالم الكامن منذ سنين في خوفه ورهبته.

قراءة في بنت الأكابر



مصطفى محمد أبوطاحون: مصر

طالعت مسروراً العدد 471 من «المجلة العربية»، وقد أعجبت كثيراً بأكثر مقالاتها الرصينة كحكاية قصيدة، وبتحقيقاتها الواعية المنشغلة بواقع الأمة وهمومها، وبخاصة تحقيق «شوقي بغدادي»، وبنصوصها الإبداعية. ومن أهم ما جذبني قصة «بنت أكابر» للأديبة المبدعة «نوال مهني»، وتحكي قصة كل فتاة (نبيلة) تقهرها تقاليد المجتمع البالية، فتفوت عليها حياةً هانئة، ملؤها دفء عش الزوجية وسكنه ومودته.. وهو المشكل القديم الجديد الذي سيظل. وتمتاز القصة بعدة جوانب فنية، إضافةً إلى واقعية الفكرة وبساطة المعالجة وفطريتها.. من ذلك:

(1) تناصها الفني من خلال عتبة العنوان مع فيلم «ليلي بنت الأكابر»، والأدبي مضمونياً مع السيرة الروائية «وحدي مع الأيام»؛ مما شكل عامل جذب أولياً للمتلقي نحو القصة.

(2) اتسامها بالتشويق الافتتاحي المعتمد على التوصيف الدال، المؤسس للمشكل الرئيس بالنص. ففي مطلعها تقول (بعيون دامعة ونظرات حزينة، وقفت نبيلة أمام المرآة، تتأمل ملامحها الذابلة وبشرتها الباهتة، وقد سيطرت عليها مشاعر القلق واليأس والكآبة).

(3) الإبداع في ترسيم تحولات الذات البطلة من سعادة إلى غم، كما بدا من قولها (لن أنسى ما حييت حينما حضر أحد الشباب لخطبتي بعد أن سمع منْ يثني على خلقي.. كان البيت كله مهيأً لاستقباله، الثريات مضاءة وآنية الزهور في المدخل). وبفشل مشروع الخطبة تتجسد مأساة الفتاتين الأختين (أصبحنا نُرفض.. بعد أن ظللنا لسنوات نرفض المتقدمين إلينا بحجج واهية وتقاليد بالية).

(4) النجاح في تصدير السعادة والبهجة.. بنهاية القصة، مع زواج «نبيلة» بـ«شهير» ابن عمتها الذي كان مغترباً بعيداً عنها.. وربما كان في تسمية ابنه «عادل» ما يلمح إلى العدالة الإلهية في إنقاذ «نبيلة» من شبح العنوسة المميت.

(5) يعزز ذلك ما ورد بثنايا الدعوة المغلفة برقة القاصة في تعظيمها لخلق الحياء لنبيلة، حين تصرح القاصة وتلمح إلى ذلك بالنهاية، وفيها (لقد كنت ابنةً بارة بوالديها، ولذا سوف يعوضك الله خيراً. شعرت نبيلة بدبيب الحياة في جسدها، وغاب شبح الوحدة عن عينيها، وتهللت أساريرها. وهي تجيب في حياء الرأي رأيك.. يا عمتي).

وربما عيب على فقرة من القصة بعض تقريرية تتبدى بقولها (بالطبع أغلب المتقدمين غير لائقين اجتماعياً..) والفقرة (وبالطبع .. على رأي).. في مجملها غير مفصلية في تسيير أحداث القصة وتنامي دراميتها، ويمكن حذفها، دون ضير ينال بنية النص.

***

وثمة ملحوظة «لا تسأل عنها القاصة بحال»؛ تتمثل في مفارقية الصورة المصاحبة.. وهي إحدى العتبات الدلالية، التي تسهم في تشكيل النص ومعناه؛ إذ جاءت لفتاة شعْراتها البيض أكثر من السود بخلاف النص.. أيضاً الفتاة بالصورة مبتسمةٌ سعيدةٌ مفعمةٌ بالأمل مما أفسد على المتلقي بهجة النهاية؛ إذ عاجله بها قبل القراءة.

والقصة على نمطية موضوعها، رساليةٌ في مضمونها، جيدةٌ في أسلوبها، ولو استصحبت الأديبة، وهي الشاعرة شيئاً من تقنيات الشعر التكثيفية لجاءت القصة شاعرة.. حالمة على نحو أرقى، ولاتفق الشكل الدقيق مع المضمون الرقيق.



التمسك بفعل المقاومة

رانيا جابر: مصر

طالعت بمزيد من الاهتمام المقال المهم والمشوق للأستاذة «أمل زاهد» المنشور في عدد 469 من مجلتنا الغراء، والذي يحمل عنوان «الأزمات وظلال البؤس»، وفي الحقيقة فقد أثارت عندي كلمات المقال شجوناً كثيرة متضاربة، حيث استفزتني تلك النبرة التشاؤمية السارية بين السطور.

تناقش الكاتبة تضارب معايير القيم واختفاء مبادئ الأخلاق والشرف والأمانة، وقد وضعت لذلك عدة أسئلة تؤكد بها رؤيتها التشاؤمية تلك، ومنها: ماذا تفيد الكلمات في عالم يبدو أنه فقد الرشد؟ وماذا تفيد الكلمات وقد أصيبت بقعتنا التعيسة من الأرض بلوثة الكراهية والصراعات الدموية؟.

وهي هنا تستنكر أن يكون الأدب استباقياً للواقع ومستشرفاً للمستقبل في ظل هذا الكم من الفوضى والجنون وانعدام الثقة، مشيرة هنا إلى مقولة الكاتب الروسي «أنطون تشيكوف» التي يقول فيها (أكتب لأبين للناس كم هي سيئة ومملة حياتهم، فحينما يدركون ذلك سيسعون حتماً لتغييرها).

وأقول لكاتبتنا إنه مع تقديرنا الكبير جداً لتشيكوف، لكن كلامه ليس قرآناً منزلاً، فما ضيرنا لو غيرنا مقولة تشيكوف إلى العكس لنقول: (نكتب لنبين للناس كم هي جميلة الحياة، فعندما يستشعرون هذا الجمال سيسعون حتماً لتأكيده كي يظل مصاحباً لهم ومعيناً).

إنه رغم حالة البؤس التي تحيط بنا من كل حدب وصوب، لكن لابد أن نعرف أنها حالة تتكرر عبر كل العصور، ولنرجع إلى قراءة تاريخنا العربي والإسلامي لنتأكد من ذلك، لذا فلابد أن يكون عندنا فعل مقاومة نواجه به ظروفنا حتى نستطيع الاستمرار في هذا العالم المضطرب الأمواج.

إننا نستطيع بالإرادة أن نستمطر الأمل، وننتزع الحلم من براثن اليأس واللاجدوى من خلال الإبداع الصادق القادر على التجاوز والتغيير، لابد أن نؤمن بأنه في البدء كانت الكلمة، وفي النهاية أيضاً ستكون.


من ظواهر الرسائل الشخصية

تباريح

أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

الترسل فن عربي أصيل

مصطفى أحمد البواب: مصر

طالعتنا المجلة العربية عدد 470 بمقالة «من ظواهر الرسائل الشخصية» لأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري الذي أتعلم دائماً من مقالاته. فتطرق إلى الرسائل بين العلماء والأدباء والمثقفين كركن أصيل من التراث عند العرب والخواجات، لما لها من فائدة فكرية وثقافية، حيث يدافع كل مفكر ومؤيد عن منهجه بالحجة الواضحة والبرهان الدامغ، فأشاعوا حياة فكرية رائعة وحالة ثقافية نادرة قلما تتكرر في هذا الزمان. وتوقع أننا لن يكون لنا سموق علمي وفكري وثقافي ما لم نعيد للرسائل الشخصية كرامتها وعمقها لتواكب المختار للكتاب والمجلة والجريدة، وذلك لأن الرسائل الشخصية العلمية الجادة أبعد من النفاق العلمي وأقرب للتقوى والترفع عن المغالطة، وهي تعود بالمجد العلمي على الطرفين المتراسلين، من أجل أن يعين كل واحد صديقه أو خصمه في رسم منهجه، وإيضاح دعواه، وإظهار حجته، ولفت نظره إلى القوادح والمعارضات والإيرادات، فتكون الرسائل لقاح العقول، فإذا انتقلت هذه الرسائل ولو بعد سنين إلى تناول الجمهور عادت بالمجد العلمي على الأمة بأخرَة..

وهذا المقال ذكرني بأشهر كتاب الرسائل «فن الترسل» في تاريخ الثقافة العربية عبدالحميد الكاتب، كاتب الخلفاء، وشيخ كتاب الدواوين، وأحد أعلام الأدباء الكتاب في القرن الثاني الهجري، إذ يضرب به المثل في الكتابة والبلاغة، وقد قيل (فُتحت الرسائل بعبدالحميد، واختتمت بابن العميد). إن عبدالحميد كان جديراً أن يعد في عصره وبعد عصره إمام المنشئين والمترسلين في الأدب العربي، فقد كان أمة وحده في بلاغة العبارة ورصانة الأسلوب ودقة المعاني ولطفها وعظمة الخيال وروعته وشدة التأثير وامتلاك ناحية البيان، وكن يفصل جمله تفصيلاً، ويزنها أحياناً بقليل من السجع ويحليها بألوان من الوشي الفتي المطبوع. وقال عنه «ابن النديم»، في فهرسته: (أخذ عنه المترسلون، ولطريقته لزموا، وهو الذي سهل سبيل البلاغة، في الترسل واحد دهره).


رحيل فاطمة المرنيسي
باحثة قضايا المرأة

المجلة العربية: الرياض

فاطمة المرنيسي.. الصوت المنعش

ناجي العتريس: مصر

حمل العدد 471 من مجلتنا الغراء موضوعاً يحمل عنوان (رحيل فاطمة المرنيسي باحثة قضايا المرأة)، يوجز في عجالة مسيرة واحدة من أشهر المدافعات عن حقوق المرأة المسلمة، وعن حقوق الإنسان والديمقراطية في العالم العربي والدول الإسلامية. وعطفاً على هذا أود القول إن المرنيسي أثارت جدلاً ونقاشاً حاداً وعنيفاً في الوسط الثقافي، بدءاً من كتابها الأول الذي حمل عنوان (الجنس كهندسة اجتماعية)، والذي كان حصيلة تحليل كلاسيكي قامت به عند إعدادها أطروحة الدكتوراه. وقد أثبتت وجودها على الساحة من الوهلة الأولى، وتميزت بالوضوح والإبداع في الفكر. حيث قدمت للوسط الثقافي صورة مغايرة للكثير من الأكاديميين، مقتحمة مناطق شائكة، وخارجة على الأنماط السائدة في الأوساط العلمية. وأثار كتابها هذا جدلاً واسعاً وألقى الضوء على اسمها، ووصفت بالكثير من العبارات المادحة من قبل محبيها ومؤيديها إثر صدور كتبها لاحقاً، مثل أنها تمثل (صوتاً منعشاً)، وأنها (باحثة مغربية واسعة الخيال تقتحم تخوماً جديدة من المروج والبراري)، وأيضاً أنها (تكتشف إجابات متجددة لسلسلة الأساطير المنتشرة في أرجاء العالم العربي). وكانت قمة الإشادة بها عندما وضعتها إحدى المجلات الأجنبية -لا أذكر اسمها الآن- في عداد قائمة أصحاب الرؤى المئة في العالم لعام 1995. ويعتبر عملها (نساء على أجنحة الحلم) أكثر أعمالها انتشاراً، وقد ترجم إلى الكثير من اللغات، وهو عمل روائي على شكل مذكرات. وقيل عن مميزات أعمال المرنيسي إنها توازن بين التحليل العلمي والإبداع الأدبي في الصياغة. وعندما تم اختيارها من بين عشرين مرشحاً من قبل لجنة تحكيم جائزة الأمير أستورياس للأدب (أرفع الجوائز الأدبية بإسبانيا)، مناصفة مع سوزان سونتاغ؛ علقت الكاتبة العربية الراحلة بالقول: (إن هذا يمنحني الأمل والانتعاش فيما يتعلق بمستقبل العالم العربي والمجتمع المدني).

أمبرتو إيكو

الباحث في الألغاز التاريخية المشوقة

علي فاضل: تونس

توفي الكاتب الإيطالي أمبرتو إيكو بتاريخ 19 فبراير 2016 عن عمر ناهز 84 سنة. في البداية لم يكن إيكو معروفاً خارج أروقة الجامعة حتى الخمسينات تقريباً، عندما وجد نفسه من مشاهير العالم بين عشية وضحاها بفضل روايته الأولى، التي كانت قصة بوليسية استثنائية. ففي سنة 1980 فاجأ إيكو العالم بأولى رواياته (اسم الوردة)، وقدم فيها نصاً اكتملت فيه شروط الفن الروائي بأعلى درجات الإتقان، سارداً حكاية بوليسية مشوقة تجري أحداثها في دير ناء في القرن الرابع عشر الميلادي. كان إيكو مثالاً استثنائياً للمثقفين الأوروبيين؛ إذ جمع بين ذكاء فريد عن الماضي، وقدرة لا تنضب لاستشراف المستقبل.

ولد أمبرتو إيكو يوم 5 يناير 1932 في مدينة صغيرة في الشمال الإيطالي، أليساندريا، وعاش طفولته في ظل عائلة ميسورة الحال، وكان من المقرر أن يلتحق بالجامعة لدراسة المحاماة لكنه عدل عن ذلك وفضل التخصص في فلسفة وآداب القرون الوسطى. وبعد حصوله على شهادة الدكتوراه سنة 1954 بدأ بتدريس الفلسفة في جامعة تورينو والعمل في الإذاعة الفرنسية وتلفزيون RAI والصحافة، محرراً للشؤون الثقافية، إلى جانب نشاطه في دار نشر (بومبيني) التي استمر فيها حتى 1975. كما درّس السيميائية في كلية الآداب والفلسفة البولونية في سنة 1971، وفي العام نفسه أسّس مجلة فيرسوس العالمية للدراسات السيميائية. لم يكن هذا العلم التجريبي الذي افتتحه اللغوي الفرنسي الراحل رولان بارت؛ بالنسبة لإيكو مجرد نظرية؛ بل اعتبره صلة ربط بين التفكير والممارسة الأدبية، بين المعرفة العلمية والثقافات الشعبية.

يتميّز السيميائي والروائي الإيطالي أمبرتو إيكو عن غيره من أهل الثقافة والعلم؛ أنه يجمع في كتاباته بين فلسفة اللغة والترجمة وتأويل النص والخلق الإبداعي، ممثّلاً في خمس روايات من بينها الرواية الشهيرة (اسم الوردة) (1980) و(بندول فوكو) (1988) و(جزيرة اليوم السابق) (1994) و(الشعلة الغامضة للملكة لوانا). (2004)، أما آخر رواياته فقد صدرت سنة 2014 بعنوان (العدد صفر)، وهي قصة مغامرات معاصرة تتركز حول عالم الصحافة. وفي رصيد إيكو عشرات المقالات الأدبية عن موضوعات متنوعة، تشمل الجماليات في القرون الوسطى وذاكرة النبات وشخصية (جيمس بوند) وتاريخ الجمال والقبح.

وترجمت رواية «اسم الوردة» إلى عشرات اللغات، وحققت مبيعات تجاوزت 14 مليون نسخة، وحصلت على عدة جوائز أدبية دولية. كما تم اقتباسها سنة 1986 في فيلم سينمائي من إخراج الفرنسي جان جاك أنو، مع شون كونري بدور الراهب ويليم، المكلف بالتحقيق في شأن الوفاة المريبة لأحد الرهبان في دير في شمال إيطاليا. وأرجع إيكو نجاح الكتاب لتشابه الخبرات المشتركة بين البشر في القرنين الرابع عشر وأواخر القرن العشرين. وقد رصد إيكو في روايته المذكورة ظواهر وتحولات المجتمع الأوروبي في انتقاله من سلطة الكنيسة إلى الانفتاح على الفكر الفلسفي تمهيداً للإصلاح الديني، من خلال قصة الراهب ويليام الذي يلتحق بدير تحدث فيه سلسلة من الجرائم. ويرفض ويليام نظرية الأرواح الشريرة ويستخدم تحليله المنطقي الذي يقوده إلى اكتشاف المجرم الذي يعيش بين جدران الدير نفسه.

وقد مهّد شكل الرواية انطلاقة جديدة للكاتب أمبرتو إيكو، الذي كان قد اشتهر قبل ظهور روايته (اسم الوردة) بكتاباته الأكاديمية بدرجة كبيرة حول السيميائية، ودراسة الإشارات والمقالات الأسبوعية في المجلة السياسية الإيطالية المعروفة **L'Espresso**. أما روايته الثانية، (رقاص فوكو)، فكانت أقل نجاحاً دولياً، ولكنها لا تزال تنال استحساناً كبيراً. وكانت روايته الأخيرة، (الرقم صفر)، التي تدور أحداثها في غرفة الأخبار لصحيفة إيطالية، قد نشرت في السنة الماضية.

رغم أنه لم يكن معروفاً في المشهد الثقافي سوى بمؤلفاته النظرية في فلسفة اللغة والتأويل والدلالة؛ كان أمبرتو إيكو فيلسوفاً عارفاً بأدب القرون الوسطى ومنظراً رفيع المستوى لبنية النص الأدبي ورموزه وعلاماته، ولم يجرؤ على دخول ميدان التطبيق العملي لأفكاره النظرية إلا في سنة 1980، بعد ظهور أولى رواياته (اسم الوردة)، ليكتسح بذلك المسرح الروائي بعمل متكامل فنياً وفكرياً، وليعلن عن نفسه منذ ذلك الحين واحداً من أهم الروائيين المعاصرين في العالم. وإن ما يميز رواياته هو اتساع مجالها المعرفي الذي يجعلها تتجاوز البناء القصصي المتقن إلى البحث العميق في محطات تاريخية فاصلة في الثقافة والدين والسياسة، مستغلاً في ذلك معرفته النظرية العميقة في هذه المجالات.

الشنفرى حين خلع القبيلة ومضى!

حتى نلتقي

عبدالله أحمد الأسمري: أبها



حين أحس الشاعر الجاهلي عمرو بن مالك الملقب بالشنفرى صاحب (لامية العرب)، بالظلم وعرف أن للحرية ثمنها الكبير، ورأى أن الترحل والتوحش ذو قيمة ذاتية تصون النفس عن الهوان أعلن خلع القبيلة، وتمرد على تقاليدها القاسية، ورأى أن يشق عصا الطاعة لأنهم لم يبادروا إلى نصرته عندما تم سبيه صغيراً من قبل قبيلة سلامان بن مفرج، أراد أن يحقق لنفسه كياناً مستقلاً بعيداً عن أذى الناس وأن يكون له وطنه المستقل، وطن يسامر نجمة تلمع في بيتها السماوي، وبرقاً ينهض من عتمة الليل، وغيمة تنزف ماءها عابرة الأفق، والصحراء التي يملأ عينيه بأفقها الممتد اللانهائي، لقد اختار وطنه الجديد وأطلق صرخة مدوية:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم
فإني إلى قوم سواكم لأميلُ

وبهذا شرع في رحلة الانتصار للذات الجريحة. لقد حدد الرحلة بتوقيت فلكي ملائم هو الليل حيث يتسع الليل للراحلين:

لقد حمت الحاجات والليل مقمرُ
وشدت لطيات مطايا وأرحلُ

لقد ترحل في فدافد الأرض ونسج ما يناسبه من الخيوط المأساوية التي هي أكثر سحقاً وقهراً، وأعلن عبر رحيله فلسفة موت المكان، يطمح إلى فضاء خال من النفاق والتخاذل:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متعزلُ

لكنه اختار مجتمعاً أشد توحشاً وصرامة، اختار الوحوش لأنها في نظره أقل ضرراً من الإنسان، هم مستودع السر:

ولي دونكم أهلون سيد عملس
وأرقط زهلول وعرفاء جيألُ

الذئب رمز التشرد والتوحش والقوة فأسقط عليه ما يجيش في نفسه وتبادل معه الصور والمعاناة، أما النمر رمز الافتراس والبطش، والضبع يقتات على جثث القتلى، فلا غرابة أن يستأنس بالحيونات الكاسرة نكاية بالإنسان المتغطرس المنافق. لقد احترف الصعلكة إيماناً بمبادئ سامية وقيم فاضلة سعياً لإقامة العدل وتحقيق المساواة، لقد عاش الصعاليك صحوة ضمير مبكراً؛ فحين يكون هناك ظلم وتجبر وسوء توزيع للثروات يتناسل الصعاليك، ويكثر المغتربون وتظل بوصلة المجتمع تتأرجح صعوداً ونزولاً إلى أن يتحقق شكل مقبول من العدالة ورفع الظلم.

لقد أثبت الشنفرى قدرة انتصار الضحية على الجلاد بعدما جلس في طريق الموت بقلب مشيع، والثأر يغلي في دمه كذئب كئيب في العراء، لكن شيئاً كاشتياق الموت يدفعه ليبلغ بطشه الممتد، ليكشف عن صدره العاري لأمطار الرماح ولا إجابة عن سؤال الموت فوق أطلال الجماجم، فقتل مئة من بني سلامان انتقاماً لسبيه وحرمانه الحرية.. نعم عاش مغترباً مشرداً لايجد ضرورة للقبر فمن تصعلك في حياته لا يضيره استقراره في الممات وهو القائل:

لا تقبروني إن قبري محرم
عليكم ولكن أبشري أم عامر

نعم.. إنه شاعر الحرب والقفار.



محمد العجيان - صحفي سعودي



دأبت المجلة العربية على إهداء قرائها كتيباً مرفقاً مع العدد في مختلف العلوم والفنون، في التراث والآداب والتاريخ والموضوعات ذات الطابع العلمي والثقافي.

المجلة العربية